

معسكر اعتقال دورا

رمسيس عوض

منذ ما يقرب من ثلاثين عاما مضت، لم يكن معسكر الاعتقال متلبو أو متلبو دورا mittelbau-dora، الشهير باسم دورا، معروفا في العالم الناطق باللغة الإنجليزية.

تميز معسكر دورا بالعمل لفترة قصيرة حيث أن عمره لم يزد على العشرين شهرا الأخيرة من زمن الحرب العالمية الثانية. وقد تعمدت حكومة الولايات المتحدة ووسائل الإعلام الغربية تجاهله بسبب علاقة هذا المعسكر بمهندس الصواريخ الألماني الكبير براون (١٩١٢ - ١٩٧٧) wernher von braun الذي ساعد أمريكا في وضع أول قمر صناعي أمريكي في مداره وهبوط أول رواد فضاء أمريكان على سطح القمر.

تصميم الغلاف: أحمد بلال



المجلس الأعلى للثقافة

من ملفات جرائم النازية وأسرارها العسكرية

معسكر اعتقال دورا

رمسيس عوض



٢٠١٢

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عوض ، رمسيس
من ملفات جرائم النازية وأسرارها العسكرية :
معسكر اعتقال دورا / تأليف : رمسيس عوض
القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة ، ط ١ ، ٢٠١٢
٢١٦ ص ، ٢٤ سم
١ - النازية
(أ) العنوان ٣٢٠,٥٣٣

رقم الإيداع ١٩٥٠٠ / ٢٠١١
الترقيم الدولى 3 - 436 - 704 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هى اجتهادات أصحابها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأى المجلس.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El- Gabalaya St. Opera House. El Gezira. Cairo

Tel. : 27352396 Fax : 27358084

www.scc.gov.eg

الفهرس

(١) تنطق بالألمانية "بوخنفالد" لأن حرف W ينطق (ف) لا (و) مثلما هو باللغة الإنجليزية، ومن المعروف أن إرنست يتهلمان رئيس الحزب الشيوعى الألمانى قد قضى نحبه فى هذا المعسكر .

(١) انظر الهامش السابق .

مقدمة

منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا مضت لم يكن معسكر الاعتقال متلبو [١] أو متلبو دورا Mittelbau- Dora الشهير باسم دورا معروفًا فى العالم الناطق باللغة الإنجليزية . تميز معسكر دورا بالعمل لفترة قصيرة حيث إن عمره لم يزد على العشرين شهراً الأخيرة من زمن الحرب العالمية الثانية . وقد تعمدت حكومة الولايات المتحدة ووسائل الإعلام الغربية تجاهله بسبب علاقة هذا المعسكر بمهندس الصواريخ الألمانى الكبير فيرنهرفون براون (١٩١٢ - ١٩٧٧) Wernher Von Braun الذى ساعد أمريكا فى وضع أول قمر صناعى أمريكى فى مداره وهبوط أول رواد فضاء أمريكان على سطح القمر. والجدير بالذكر أن عام ١٩٧٩ شاهد نشر كتاب بعنوان دورا . وهو ترجمة لمذكرات سطرها زعيم من زعماء المقاومة الفرنسية قُدِّر له البقاء على قيض الحياة اسمه جين ميشيل Jean Michel وبذلك يكون هذا الرجل أول من عرف العالم الخارجى بوجود هذا المعسكر وحفز كتاب جين ميشيل "الوحدة المناهضة للنازية وملاحقة النازيين" التابعة لإدارة العدل الدول الأمريكية إلى التحقيق مع مجموعة من مهندسى الصواريخ الألمان السابقين وإعادة أحد أهم مساعدى براون واسمه آرثر رودلف Arthur Rudolph إلى ألمانيا عام ١٩٨٤ . علمًا بأن هذا الرجل الذى يعمل فى وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية ناسا NASA كمدير لمشروع إطلاق صاروخ الفضاء أبولو - زحل سبق له العمل فى ألمانيا النازية مديراً للإنتاج فى مصنع ميتلويرك Mittelwerk للصواريخ الباليستية طراز V2 مسخراً فى سبيل ذلك عمالة سجناء دورا الأمر الذى

(١) "يفيل باو" المبنى المركزى أو الأوسط .

أدى إلى وفاة الآلاف منهم. وأدت إثارة قضية رودلف إلى فتح ملفات الجرائم النازية من جديد. وفتح هذا شهية الصحفيين ومعدى البرامج التليفزيونية فى أواخر عقد الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن العشرين . فضلاً عن توفر الباحثين على دراسة العلاقة بين برنامج الصواريخ ومعسكر اعتقال دورا فى بحوث مكتوبة باللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية . وفى عام ١٩٩٧ ظهرت ترجمة إنجليزية لمذكرات مهمة لسجين فرنسى آخر نجا من الموت اسمه يفيس بيون Yves Beaon[١] تحت عنوان "كوكبدورا" Planet Dora

ورغم ذلك فقد ظلت المكتبة الإنجليزية التى تتناول معسكرات الاعتقال النازية بحاجة إلى دراسات أكثر استفاضة لمعسكر دورا ، ومما يزيد من أهمية الدراسة الراهنة التى نقدمها إلى القارىء العربى أن المؤرخ الكبير إبرهارد جاكل Eberhard Jackel شبه مؤلفها أندريه سليير André Sellier بيوجن كوجن Eugen Kogon صاحب الفضل فى الكشف عن معسكر بوخنوالد للاعتقال وقد استند سيلييه فى كتابه "تاريخ معسكر دورا" ، فى موضوعية وحياد ، على شهادات غيره من الناجين من معسكر دورا وعلى اللغات التى تحتفظ بها الجمعية الفرنسية للناجين من معسكرات دورا– إلريخ Dora- Ellrich وبوخنوالد – دورا Buchenwald-Dora وعلى مراسلاته مع السجناء الفرنسيين والبلجيكيين والتشيكيين والسلوفاكيين والجدير بالذكر أن أكثر من نصف سجناء دورا كانوا من الروس والأوكرانيين والبولنديين، ولا شك أن ضآلة معرفة الغرب آنذاك باللغات السلافية جعلت صوتهم ضعيفًا واهنًا فى كتاب أندريه سيلييه وغيره من الكتب. فضلاً عن أن اليهود فى معسكر دورا ظلوا أقلية حتى بدأت عمليات الترحيل الجماعى لنزلاء معسكرى أوشفيتز وجروس روزن فى أواخر يناير ١٩٤٥ .

قلنا إن أهمية الكتاب الذى ألفه أندريه سيلييه بعنوان "تاريخ معسكر دورا" ترجع إلى أن مؤلفه الذى كان سجينًا يحمل رقم ٣٩٧٥٠ كان مؤرخًا، والجدير بالذكر أن عددًا قليلاً من السجناء الألمان والنمساويين ممن احتلو مواقع مهمة فى معسكرات

---

(١) إيف بيو .

الاعتقال تمكنوا من فهم النظام العام الذى تسير هذه المعسكرات بمقتضاه ، علماً بأن النازيين قاموا بتدمير الجانب الأعظم من الوثائق الخاصة بمعسكر دورا فى الأسابيع الأخيرة التى سبقت نهاية الحرب العالمية الثانية . غير أن بعض هذه الوثائق نجا من الاندثار. والذى لا شك فيه أن كتابات بعض المؤرخين أمثال يوجن كوجن وهرمان لانجبين Hermann Langbein ووالتر بارتل Walter Bartel جعلت من الممكن تفسير مضمون الوثائق التى لم تندثر ، بالإضافة إلى الشهادات التى أدلى بها أفراد وحدة البوليس الخاصة أمام محكمة مجرمى الحرب. والجدير بالملاحظة أن جميع معسكرات الاعتقال النازية طرأت عليها تغيرات كبيرة فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٤٣ و ١٩٤٥ بسبب الزيادة الواضحة فى عدد المعسكرات الفرعية وفى عدد السجناء، والجدير بالذكر أن كتاب أندريه سيليير "تاريخ معسكر دورا للاعتقال" يعتمد فى تأليفه على خلاصة الشهادات التى أدلى بها نحو خمسمائة سجين سابق، يروى الكتاب الأحداث المتتابعة التى وقعت فى مصنع دورا المقام تحت الأرض وفى توابع هذا المعسكر مثل إلريخ وهارزونجن Harzungen ومواقع العمل الموجودة تحت الأرض فى وادى زورج Zorge ومواقع العمل فى السكك الحديدية فى وادى هلم Helme .

كان النازيون يسخرون عمالة سجناء معسكر دورا فى إنتاج السلاح وصواريخ V2 فى مصنع بينيموند Peenemund على البلطيق الذى تعرض لقصف الحلفاء، الأمر الذى أدى إلى نقل إنتاج صواريخ V2 إلى موقع تحت الأرض فى ثورينجيا Thuringia ثم التركيز على صناعة الطائرات والصواريخ فى مصنع أنشأه السجناء تحت الأرض. أقيم معسكر دورا فى أواخر أغسطس ١٩٤٣ فى نفس الوقت الذى استؤنف فيه بناء نفق دورا لإنتاج صواريخ V2 وفى ربيع عام ١٩٤٤ أقيم خط سكة حديد تحت الأرض فى المنطقة المجاورة فى نفس الوقت الذى أقيمت فيه المعسكرات الفرعية ، وقد احتدم صراع على النفوذ والهيمنة حول إنتاج الأسلحة السرية المتمثلة فى صواريخ V2 و V1 وأجزاء الطائرات بين رجال وحدة البوليس الخاصة والفنيين التكنوقراط المدنيين والعسكريين ، وبمعنى آخر احتدم الصراع بين وزير الإنتاج الحربى ألبرت سبير Albert Speer ومهندسيه والمتخصصين فى إنتاج المدفعية فى جانب وخبراء صناعة الصواريخ

بقيادة فيرنهر فون براون فى جانب آخر ، وبالنظر إلى سيطرة وحدة البوليس الخاصة على عمالة معسكر دورا فقد أغراها ذلك بالسعى إلى السيطرة على الإنتاج الحربى فى الرايخ الألمانى ، وتمثل هذا الصراع المحتدم على السلطة فى السعى إلى السيطرة على إنتاج الرايخ الحربى.

كان المصنع القائم فى نفق دورا الوحيد الذى تخصص فى إنتاج صواريخ V2 ثم صواريخ V1 . وبسبب احتدام الصراع تدخل هتلر بنفسه لحسمه ووضع حد له . ولهذا لم تكن إدارة معسكر دورا تحظى بالاستقلال ، وعلى أية حال ترجع أهمية هذا المعسكر إلى تخصصه فى إنتاج الأسلحة السرية .

كان معسكر دورا يقع فى منطقة غير مطروقة قد تكون مجهولة لدى أصحاب الخبرة المحدودة ولكنها غير مستعصية على مخابرات الحلفاء. وفى الأشهر الأخيرة من الحرب أصبح متيلبو صنواً لمعسكر دورا ومعسكراته المجاورة وعندما وصلت إليه القوات الأمريكية فى أبريل ١٩٤٥ لم تجد فيه سوى عدد قليل من السجناء لأن رجال وحدة البوليس الخاصة قاموا بإجلائهم بطريقة تؤدى إلى هلاكهم، وعند وصول القوات الأمريكية لم تجد أمامها غير مجموعة من الهياكل العظمية فى معسكرات معروفة باسم ثكنات نوردهاوزن Nordhausen ، وعندما أجريت محاكمات مجرمى الحرب فى معسكر دورا كان يشار إليها بمحاكمات دورا. والجدير بالذكر أن القوات الأمريكية والسوفيتية أخفت عن العالم وجود نفق دورا بسبب تنافسها على الفوز بأكبر عدد من أفراد فريق بيينموند البحثى فى مجال تكنولوجيا الصواريخ. وهكذا لم تكن هناك ثمة مشكلة فى التعرف على الدور الذى لعبه فون براون وفريقه البحثى فى تطوير تكنولوجيا الصواريخ.

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها نشأت فى فرنسا جمعيات من السجناء السابقين فى معسكر دورا وملحقاته مثل معسكرى إلريخ وهارزونجن . وأيضاً تكونت جمعية أخرى باسم بوخنوالد - دورا تضم سجناء معسكر بوخنوالد والمعسكرات الفرعية التى أعتمدت عليه مثلما اعتمد عليه معسكر دورا فى أيامه الباكرة ، وكان بعض السجناء ينتمون إلى كلتا الجمعيتين فى نفس الوقت .

وفى أواخر عقد الثمانينات من القرن العشرين بادرت جمعية دورا- إلريخ بإنشاء اللجنة التاريخية بهدف تجميع أكبر عدد من الشهادات سواء أكانت منشورة أو مجرد مذكرات يوزعها أصحابها من السجناء بين أصدقائهم وأفراد أسرهم أو مجرد مخطوطات ، والجدير بالذكر أن نبذة عن معسكر دورا ظهرت عام ١٩٨٩ ساعدت فى إلقاء الضوء على تاريخ معسكر دورا ، كما أسهمت المراسلات مع الجمعية البلجيكية لسجناء معسكرات الاعتقال فى الكشف عن بعض الجوانب الخافية فى معسكر دورا وتوابعه المجهولة .

يقول أندرييه سيلبير مؤلف كتاب "تاريخ معسكر دورا" ، إنه كان سجينًا عاديًا فى هذا المعسكر وإنه لم يكن فى أى يوم زعيمًا من زعماء المقاومة ضد النازية وإن اعتقاله تم فى نفس الوقت الذى اعتقل فيه والده . وقد ألحق النازيون أندرييه سيلبير بالعمل ككهربائى فى المصنع الموجود فى النفق رغم أن وظيفته الأصلية كانت تدريس التاريخ فى مدرسة كامبراى Cambrai العليا .

قضى سيلبير بضعة أعوام فى تأليف كتابه بمساعدة أخلص أصدقائه من سجناء دورا أمثال لويس جارنييه Louis Garnier وجين مياليت Jean Mialet وجاك برون Jacques Brunn وأعضاء لجنة أميكال دوران إلريخ التاريخية أمثال يفيس بيون Yves Béon وأندريه كاردون Andre Cardon وماكس دوتيليه Max Dutilleux وإيتيين إيكرت Etienn Eckert ولوسيان فايمان Lucien Fayman وجين جنستون Jean Gineston وإتيين لافوند Etienne Lafond وجورج سوبيروس Georges Soubirous إلى جانب جى ديكولونيه Guy Ducolone رئيس جمعية بوخنوالد - دورا - وسكرتيرها العام جين كورمونت Jean Cormont . ويعترف أندريه سيلبير بفضل الجمعية البلجيكية عليه. وكذلك بالمساعدة الكبيرة التى وفرها له كل من إرنست أبل Ernest Abel وليوبولد كلاسنس Leapold Claessens وأكسفيير ديلونى Xavier Delogen وألبرت فان هوى Al-bert Van Hoey وريموند واترخت Raymond Wautrecht وسكرتيرة الجمعية البلجيكية مارى كلير دى بوا دى فرويلاند MArie- Claire due Bois de Vroylande ابنة سجين توفى فى معسكر إلريخ .

ويعبر أندريه سيلبير عن امتنانه لاثنين من المتعاقبين على رئاسة الجمعية التاريخية وهما لوسيان فايمان Lucien - Fayman وجورج صوبيروس Georgés Soubirous فالفضل يرجع إليهما في جمع وفرز المجموعة الأولى الكبيرة من شهادات السجناء التي اعتمد عليها سيلبير في تأليف كتابه . وأيضاً عبر سيلبير عن امتنانه لصديقه السلوفيني ميلان فيليبسيك Milan Filipice الذي كان زميله أيام الشباب في مهنة التدريس أثناء الزج بهما في معسكر سكريرر Scherer . كان ميلان يتحدث اللغة الفرنسية ونشر كتاباً عن دورا بمساعدة نفر من أصدقائه. ولكن مؤلفنا أندريه سولبير عجز عن قراءته لقلة إلمامه باللغة السلوفينية وأيضاً يبرز أندريه سيلبير فضل عدد آخر من أصدقائه عليه مثل الضوء الذي سلطه ماكسيم كوتيت Maxime Cottet على معسكر هارزونجن الفرعي وريموند واترخت Raymond Wautrecht الذي ألقى مزيداً من الضوء على معسكري دورا الفرعيين هارزونجن وأورينبرج Oranienburg وكليمنت روبرت نيكولا Clement- Robert Nicola الذي ألقى الضوء على هارزونجن بالإضافة إلى الضوء الذي ألقاه صديقاه بويلك كاسرن Boelcke Kaserne وبرنارد داستورج Bernard D'Astrog على معسكر برجن بلسن . ويضيف أندريه سيلبير إلى قائمة أصحاب الفضل عليه في تأليفه كتابه عن تاريخ معسكر دورا ثلاثة متخصصين لم يبخلوا عليه بالمساعدة هم بول لي جوبيل Paul Le Goupil وإيفيس لي مانر Yves Le Maner وجواشيم نياندر Joachim Neander ويتمتع بول لي جوبيل السجين السابق في كل من معسكر بوخنوالد ومعسكر لانجستين الفرعي بمهارة شديدة في استخدام الأرشيفات والملفات ، ويبرز سيلبير الدور الكبير الذي لعبه مارنر المدرس بمدرسة القديس أومر Omer العليا في إلقاء الضوء على موقع معسكر ويزرنيس Wizernes الفرعي نظراً لخبرته الواسعة في تاريخ تطوير الصواريخ V2 ومعرفته الكبيرة بأهمية نفق دورا. ويجدر بالذكر أن جوشيم نياندر حصل عام ١٩٩٧ على الدكتوراه . عن بحثه حول معسكر اعتقال متيلبو والترحيلات التي جرت في هذا المعسكر في أبريل ١٩٤٥ . ويعبر سيلبير عن حزنه على وفاة بعض أصدقائه الذين ساعدوه في تأليف كتابه دون أن يمهلهم القدر حتى يظهر هذا الكتاب إلى النور . وأخيراً لا ينسى سليير التنويه بالدور الذي لعبته كارولين وابنه جين في إتمام كتابه " تاريخ معسكر دورا للاعتقال" . الذي سوف نعرضه في الصفحات التالية .

الفصل الأول

حالة ألمانيا فى أغسطس ١٩٤٣

١ - الموقف العسكرى :

يبدأ تاريخ معسكر دورا للاعتقال فى ٢٨ أغسطس ١٩٤٣ بوصول أول فوج من سجناء معسكر بوخنوالد إليه بعد أن تدهور وضع الجيش الألمانى بشكل واضح فى السنة السابقة . ففى ٢٣ أغسطس ١٩٤٢ تمكنت القوات النازية من الوصول إلى ستالنجراد الواقعة على نهر الفولجا ومن رفع العلم النازى الذى يحمل الصليب المعقوف على أعلى قمة فى جبال القوقاز . وأيضًا توالت انتصارات روميل فى إفريقيا حتى استطاع الوصول إلى مدينة العلمين على الحدود المصرية فى شهر يوليه ١٩٤٢ ولكن هذه الصورة مالبثت أن تغيرت تمامًا بحلول أغسطس ١٩٤٣ وخاصة على الجبهة الشرقية حيث استطاع الجيش الأحمر إحكام الحصار على ستالنجراد منذ ٢٢ نوفمبر ١٩٤٢ ، الأمر الذى دفع الجيش السادس الألمانى إلى الاستسلام الكامل فى ٢ فبراير ١٩٤٣ . وبطبيعة الحال سعى هتلر ما وسعه السعى إلى ردع القوات السوفيتية التى بدأت تعزز مواقعها فقامت بشن العملية العسكرية المعروفة باسم القلعة يوم ٥ يوليه ١٩٤٣ حيث اندلعت أكبر المعارك العسكرية فى تاريخ الحروب البشرية تكبد فيها الجانبان خسائر هائلة ، وفى ١٢ يوليه ١٩٤٣ ، أدرك هتلر أن سير المعارك فى الجبهة الشرقية ليست لصالحه، وانتهى الأمر بتمكن الجيش الأحمر من استرداد أوريل يوم ٥ أغسطس ١٩٤٣ وخاركوف يوم ٢٢ أغسطس من نفس العام، وباسترجاع أوكرانيا اضطر الألمان إلى الانسحاب باتجاه نهر دنيبير Denieper ونفس الشىء حدث للقوات النازية فى شمال إفريقيا، فبعد تقدم روميل الساحق لحقت الهزيمة به فى العلمين فى

نوفمبر ١٩٤٢ . واستولت القوات البريطانية على طرابلس فى ٢٣ يناير ١٩٤٣ ، كما استطاعت القوات الأنجلو - الأمريكية النزول فى مراكش والجزائر يوم ٨ نوفمبر ١٩٤٢ ، فضلاً عن أن هذه القوات افتتحت جبهة جديدة فى تونس . وبحلول يوم ١٣ مايو ١٩٤٣ انتهت الحرب بين الحلفاء والمحور فى شمال أفريقيا باستسلام آخر معاقل القوات الألمانية والإيطالية المرابطة فى تونس .

وأيضًا تمكنت قوات الحلفاء من غزو جزيرة صقلية يوم ١٠ يوليه ١٩٤٣ فسقطت فى يدها يوم ١٨ أغسطس من نفس العام . وفى روما تمت الإطاحة بموسولينى والزج به فى السجن يوم ٢٥ يوليه ١٩٤٣ ، وكلف فيكتور إيمانويل ملك إيطاليا آنذاك الفيلد مارشال بادوجليو Badoglio كى يحل محل الدوتشى المخلوع. وتشكك هتلر فى قدرة هذا الملك الإيطالى والفيلدر مارشال بودجليو على الصمود ولهذا قرر القيام باحتلال إيطاليا وتوالت الأحداث الدرامية فى شهر سبتمبر حيث أعلنت الحكومة الإيطالية فى الثامن من هذا الشهر عقد هدنة مع قوات الحلفاء وقررت نقل مقر الحكومة من روما إلى برنديسىBrindisi . وفى يوم ٩ سبتمبر ١٩٤٣ قام الجيش الأمريكى باحتلال سالرنو Salerno كما قام الجيش البريطانى باحتلال تارنتو Taranto . غير أن الألمان تمكنوا يوم ١٠ سبتبمر ١٩٤٣ من احتلال روما ، وإطلاق سراح موسولينى فى ١٢ سبتمبر من نفس العام. وأيضًا قام الألمان بأسر القوات الإيطالية الموجودة فى كل من إيطاليا والبلقان .

وفى منتصف ١٩٤٣ واجه الألمان محنة عسكرية أخرى بسبب ضعف قواتهم الجوية بالمقارنة بقوات الحلفاء الجوية التى كثفت غاراتها الجوية على الألمان. فقد قام السلاح الجوى البريطانى أيام ٢٤ و ٢٧ و ٢٩ يوليه من نفس العام بقصف هامبورج قصفًا مكثفًا ثلاث مرات مخلفًا وراءه دمارًا عظيمًا. كما أن طائرات الحلفاء قامت ليلة ١٧ / ١٨ أغسطس ١٩٤٣ بشن هجوم جوى شديد الضراوة على مركز إنتاج الصواريخ الألمانية من قاعدة بنيموند Peenemunde . وفى نفس الوقت أغارت الطائرات الأمريكية على المصانع الألمانية الكبيرة القائمة من كل من رجينزبرج

Regensburg وشونيفورت Schweinfurt . وتسببت هذه الهزائم المتلاحقة التى لحقت بسلاح الطيران النازى فى انتحار رئيس أركانه الجنرال جيشونك Jeschonneck يوم ١٨ أغسطس ١٩٤٣ . حتى الغواصات الألمانية واجهت محنة عسكرية شديدة فى منتصف عام ١٩٤٣ .

وعقب نزول القوات الأنجلو أمريكية فى شمال إفريقيا قامت القوات الألمانية باحتلال فرنسا واستولت على منطقتها الحرة فى ١١ سنة ١٩٤٢ . وبحلول ١٦ فبراير ١٩٤٣ تولى النظام النازى تأسيس ما يعرف اختصاراً بـ STo أى مؤسسة خدمة العمل الإجبارى ، الأمر الذى حفز كثيراً من الفرنسيين إلى الانضمام إلى صفوف المقاومة السرية ضد الحكم النازى .

وتساعدنا هذه الخلفية على فهم ما حدث فى معسكر دورا فى أغسطس ١٩٤٣ على حقيقته ، فقد دفعت الهزائم النكراء المتلاحقة القوات النازية إلى الشروع فى تطوير أسلحتها ، وبالنظر إلى قيام الحلفاء بتكثيف غاراتهم الجوية على مصانع الأسلحة الألمانية أصبح من الضرورى إنشاء بدائل لها تحت الأرض. وبطبيعة الحال أغرى احتلال النازين لمساحات شاسعة من أوكرانيا وإيطاليا وفرنسا بتسخير عمالة السجناء فى معسكر الاعتقال.

٢ - ألبرت سبير Albert Speer ووزارة التسلح الألمانية :

فى أغسطس ١٩٤٣ تمت إقامة مصنع جديد لإنتاج صواريخ طراز V2 تحت إدارة ألبرت سبير المسئول بوزارة التسلح الألمانية التى تأسست فى ١٧ مارس ١٩٤٠ ، وتولى تسيير شئونها الدكتور فريتز تودت Fritz Todt الذى ولد فى عام ١٨٩١ ثم صار عضواً فى الحزب النازى عام ١٩٢٢ . وفى عام ١٩٣٣ أنشأ تودت مؤسسة باسمه وهى مؤسسة شبه عسكرية تضطلع بمسئولية تنفيذالتحصينات الضخمة وإنشاء المصانع الكبيرة فى ألمانيا . وكان هدف النظام النازى من إنشاء وزارة التسلح عام ١٩٤٠ هو

حل المشاكل التى تواجه إنتاج السلاح النازى . ولكن مؤسسة تودت لم تكن مسئولة عن الإنتاج البحرى والجوى . ومن ثم لم يكن لها أن تتدخل فى مشروع أو خطة السنوات الأربع التى وضعها هرمان جورنج Hermann Goring لبناء حائط الدفاع الأطلسى . ومنذ أواخر عام ١٩٤١ فصاعداً أصبح شغل تودت الشاغل إعادة بناء خطوط المواصلات ، وخاصة إقامة خطوط السكك الحديدية فى الأراضى السوفيتية التى نجحت القوات النازية فى اجتياحها والتى تعرضت للهدم والتدمير المنتظم وواجه مشروع تودت صعوبات كأداء فى منطقة أوكرانيا بوجه خاص حيث كان المهندس ألبرت سبير يعمل تحت رئاسته . وفى وائل فبراير عام ١٩٤٢ بينما كان سبير فى مهمة فى بلدة دنيبرويتروفسك Denepropetrovsk تساقطت ثلوج كثيفة منعته من أخذ القطار، الأمر الذى اضطره إلى استخدام الطائرة يوم ٧ فبراير ١٩٤٢ للذهاب إلى مركز قيادة الفوهرر فى راستنبرج Rastenburg فى بروسيا الشرقية . وتصادف أن توفى تودت يوم ٨ فبراير فى حادث تحطم الطائرة التى تحمله أثناء إقلاعها فى ظروف غير واضحة. وبعد مرور خمس ساعات على تحطيمها كلف هتلر ألبرت بير بتولى جميع المهام المخولة لسلفه تودت . وعاد سبير البالغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً إلى برلين بالقطار فى اليوم التالى الموافق ٩ فبراير ليتسلم عمله الجديد .

ولد سبير فى بلدة مانهايم Mannheim عام ١٩٠٥ .وكان والده مهندساً معمارياً شديد الثراء. ودرس سبير العمارة فى ميونيخ وعندما استولى الحزب النازى على تقاليد الحكم فى يناير ١٩٣٣ عهد إليه جوبلز – الذى عينه هتلر فيما بعد وزيراً للدعاية – بالإشراف على مشروعاته المعمارية . وفى خريف ١٩٣٣ استطاع سبير أن يلفت إليه نظر هتلر الذى كان شديد الشغف بهندسة العمارة فأصبح من المقربين إليه. وفى يناير ١٩٣٧ قام هتلر بتعيينه وزيراً للدولة وهو لم يتجاوز الثانية والثلاثين من عمره. وفى عام ١٩٣٩ ، بدأ سبير يدرس المطارات وأحواض السفن والمصانع والمخابئ من الغارات . وفى صيف ١٩٤١ طلب إليه الفوهرر توطين الألمان فى أوكرانيا المحتلة وإنشاء

المستعمرات لهم هناك. ولكن مهمته الأصلية تلخصت فى إعادة بناء خطوط السكك الحديدية الأوكرانية المدمرة .

أبقى سبير مساعدى تودت فى أماكنهم ولم يحاول استبدالهم أو تغييرهم فأبقى إكسافر دورش Xaver Dorsch رئيساً لمؤسسة تودت ومنحه قدراً كبيراً من الاستقلال . فضلاً عن أنه أتخذ من كارل أوتو سور Karl Otto Saur نائبه الأول. وفى ١٣ فبراير ١٩٤٢ منحه هتلر المزيد من الصلاحيات استفاد منها فى مجال التصنيع فى الاعتماد على الفنيين والتكنوقراط الألمان .

واصطدم سبير بمشكلتى توزيع المواد الخام وتوفير العمالة اللازمة للمصانع. ولكنه أخفق فى إقناع الفوهورر بضرورة التجنيد الشامل للنساء لسد نقص العمالة المطلوبة، وهو ما فعلته بريطانيا العظمى فى حربها ضد النازية . وحاول فريتز سوكل Fritz Souckel عمدة ثورنجيا Thuringia وأحد أصدقاء هتلر القدامى أن يبذل كل ما فى وسعه للتغلب على مشكلة نقص عمالة المصانع الألمانية بتجنيد الرجال والنساء فى أوكرانيا فقط بل فى جميع الأراضى الواقعة تحت الاحتلال النازى. فضلاً عن جلب العمالة من كل من إيطاليا وبلجيكا وهولندا . وكما أسلفنا قامت منظمة ستو Sto بفرض الخدمة الإجبارية فى فرنسا فى فبراير ١٩٤٣ .

غير أن ما حدث فى معسكر دورا .ومنطقة البينيموند عام ١٩٤٣ يدل على أن النازيين لم يكتفوا بهذه العمالة الفرنسية الإجبارية بل أضافوا إليها عمالة السجناء فى معسكرات الاعتقال .

٣ - اتساع نفوذ وحدة البوليس الخاصة:

فى منتصف عام ١٩٤٣ تضم نفوذ وحدة البوليس الخاصة SS لدرجة أنها أصبحت دولة داخل الدولة النازية. ويرجع تاريخ تأسيس هذه الوحدة إلى عام ١٩٢٣، وسميت وحدة البوليس الخاصة فى عام ١٩٢٥ وكان الهدف من إنشائها فى عام ١٩٢٥

حماية هتلر زعيم الحزب النازى. وفى عام ١٩٢٩ أسندت قيادة هذا التنظيم إلى هنريش هملر الذى جعل منه قوة محدودة العدد ولكنها شديدة التنظيم تدين للفوهرر بالولاء الأعمى. وهى بذلك تختلف تمامًا عن تنظيم نازى آخر يعرف بالعاصفة SA يرأسه إرنست روهم Ernst Rohm ، وهم تنظيم جماهيرى مهمته التصدى للتنظيمات الشيوعية والاشتباك معها فى الشوارع . وفى خريف عام ١٩٣٢ ، وصل عدد تنظيم العاصفة SA إلى نحو سبعمائة ألف نازى مقابل خمسين ألف عضو فى وحدة البوليس الخاصة. ومنذ بداية قيام النظام النازى عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤ استطاعت وحدة البوليس الخاصة التغلب على تنظيم العاصفة ورئيسه روهم Rohm وإزاحته من طريقها يوم ٣٠ يونيه ١٩٣٤ . وفى نهاية هذه الفترة أصبح هملر رئيس وحدة البوليس الخاصة يسيطر على معسكرات الاعتقال وعلى جهاز الشرطة . وفى يوليه ١٩٣٤ تمكن ثيودور إيك -The odor Eicke من إقامة معسكر داكاو [1] الشهير وصار رئيسًا له ، كما أصبح هذا المعسكر مثلاً يحتذى أقيم على نمطه معسكر ساشسنهاوزن فى عام ١٩٣٦ وبوخنوالد فى ١٩٣٧ ، وماثاوزن فى ١٩٣٨ ورافنربروك فى ١٩٣٩ بهدف الزج بالمعارضين للنظام النازى فيها .

وكان استيلاء البوليس على السلطة فى ألمانيا النازية أمرًامعقدًا ففى عام ١٩٣١ قام هملر بتأسيس خدمة الأمن المعروفة اختصارًا بـ SD كجزء من الحزب النازى واسندت رئاسته إلى صديق هتلر الحميم ريناهارد هيدريش Rienhard Heydrich . وعندما وصل هتلر إلى سدة الحكم فى ١٩٣٣ اعتمد البوليس السياسى النازى فى إحكام قبضته على عدة مقاطعات مثل بروسيا وبافاريا وسكسونيا عن طريق إنشاء جورنج لجهاز الجستابو ، كما قام هملر بإقامة تنظيمات مماثلة فى كثير من المقاطعات الأخرى. بل إنه استطاع فى أبريل ١٩٣٤ أن يسيطر على القلم السياسى (الجستابو) فى بروسيا . وفى يونيه ١٩٣٦ تمكن هملر من جمع شمل جماعات الشرطة المتنوعة

---

(١) داخاو .

وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٩ تم دمج البوليس السياسى بإدارة خدمة الأمن فى تنظيم سيشار إليه اختصاراً بـ RSHA أو مكتب الأمن المركزى فى الرايخ وفى نفس الوقت قام البوليس الجنائى والجستابو بتشكيل شرطة أمن يشار إليها اختصاراً بـ SIPO ، وفى معظم الحالات تولى أفراد وحدة البوليس الخاصة إدارة الفروع المتنوعة داخل تنظيم مكتب الرايخ للأمن المركزى RSHA الذى كان يخضع لسلطة هيدريش الذى اغتيل فى براغ عام ١٩٤٢ ليحل محله إرنست كالتنبرونر Ernest Kaltenbrunner

وفى عام ١٩٣٥ بلغ أعضاء وحدة البوليس الخاصة سبعة آلاف ارتفع عددهم فى عام ١٩٣٩ إلى ثلاثة وعشرين ألفًا. وفى عام ١٩٤٠ أرسلت وحدة البوليس الخاصة أربع فرق إلى هولندا ثم إلى فرنسا وكانت إحدى هذه الفرق التى عرفت بفرقة الموت تكون من حراس المعسكر وبعد أن كان تعدادها ثمانين ألفًا فى عام ١٩٤٠ ارتفع إلى مائة وأربعين ألفًا من ١٩٤٢ ثم إلى ثلاثمائة ألف فى نهاية عام ١٩٤٣ .

ورغم ما حظيت به وحدة البوليس الخاصة من نفوذ عسكرى وسياسى فإن رئيسها هملر كان يصبو إلى تحقيق النفوذ الاقتصادى الأمر الذى أدى إلى إنشاء المكتب المركزى للاقتصاد والإدارة برئاسة أوزوالد بوهل Oswald Pohl ويشار إليه اختصاراً بـ WVHA . وكان هذا التنظيم فى عام ١٩٤٢ يتكون من خمس إدارات واحدة خاصة بالميزانية وثانية خاصة بالإمدادات والملابس وهى إدارات فنية بحتة، فضلاً عن إدارة ثالثة للتشييد والبناء ويديرها هانز كاملر Hans Kammler الذى تولى بناء غرف الغاز فى معسكر أوشفيتز وتختص الإدارة الرابعة التى يرأسها إيك، الذى نقل إلى جبهة القتال الشرقية ووافته المنية فى عام ١٩٤٣ ، بالتفتيش على معسكرات الاعتقال. وعلى أية حال حل ريتشارد جكوس محل سلفه إيك وتولى وحدة التفتيش على معسكرات الاعتقال . أما الإدارة الخاصة فهى الخاصة بالاقتصاد وكانت خاضعة لسلطة بوهل المباشرة . والجدير بالذكر أن المكتب المركزى للاقتصاد والإدارة WVHA بدأ العمل عام ١٩٣٨ فى بناء منشآت معسكرين هما أورانيبرج [١] Oranienburg وشنسهاوزن بالإضافة إلى ثكنات وحدة البوليس الخاصة والورش والمصانع .

---

(١) أورانيان بورج .

٤ – طموحات وحدة البوليس الخاصة الاقتصادية :

لفترة طويلة ظل اشتراك وحدة البوليس الخاصة المباشر فى النشاط الاقتصادى محدوداً وقاصراً على مصانع الطوب والحجارة الألمانية التى أنشئت يوم ٢٩ أبريل ١٩٣٨ ، واتبع النازيون فى محاجر ماثاوزن ومضارب الطوب فى أورنينبرج [١] سياسة قمع السجناء. ونفس الشيء حدث فى محاجر عدد كبير من معسكرات الاعتقال الأخرى مثل بوخنوالد ودورا .

وفى ٢٦ يناير ١٩٤٢ كتب هملر إلى جلوكس بخصوص ترحيل اليهود الألمان يقول : "يتعين نقل المهام الاقتصادية الضخمة إلى المعسكرات خلال الأسابيع القادمة. وسوف يبلغك بوهل بالتفاصيل" . وبناء على التعليمات التى أصدرها هملر يوم ١٦ مارس (١٩٤٢) توجه بوهل إلى مكتب سبير طالباً منه أن يحدد عدد السجناء الصالحين للعمل فى مجال التصنيع الحربى . وبدا لى أنه سوف يقدم لى خمسة وعشرين ألف سجين بينهم ستة آلاف من معسكر ساشسنهاوزن وخمسة آلاف من معسكر بوخنوالد .

كانت هناك عدة طرق لاختيار مكان المعسكر وربط المصنع به استخدم أبسطها فى أواخر ١٩٤٢ مع معسكر وساشنهاوزن بإقامة معسكر فى قلب المصنع المقام مثل معسكر هنيكل Heinkel المقام داخل مصنع هنيكل لصناعة الطائرات فى جرمندورف Ger-mendof القريبة من أورينبيرج ، وهو معسكر كبير للغاية اشتمل فى عام ١٩٤٤ على سبعة أو ثمانية آلاف سجين بينهم ألف سجين فرنسى. وكانت هناك طريقة أخرى تتمثل فى إقامة المعسكر بالقرب من المصنع كما حدث عند إنشاء معسكر فولكنسى Folkens-ee الذى تم إنشاؤه فى عام ١٩٤٣ غرب برلين بجوار مصنع ديماج Demag لبناء السكك الحديدية ودبابات طراز تيجر Tiger .

وجدير بالذكر أن النازيين ألحقوا بعض سجناء معسكر ساشنسهاوزن بالعمل فى مصنع ديماج . ولا شك أن قرب هذا المعسكر من المكتب المركزى للاقتصاد والإدارة

(١) انظر الهامش السابق .

سهل ارتباطه بوزارة التسلح التى أدار سبير دفتها. وكان هناك معسكر صغير يعرف بمعسكر سبير تخصص فى استخراج المعادن الخالية من الحديد من كابلات الكهرباء القديمة. وتميزت خطة إنشاء معسكر دورا بأنها رمت إلى إقامة مصنع ومعسكر فى ذات الوقت بحيث يكمل أحدهما الأمر .

ولكن كثرة الوفيات بين السجناء وقفت عائقًا فى طريق الإنتاج الحربى. وهذا واضح من المذكرة التى أرسلها جلوكس يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٤٢ إلى أطباء المعسكرات العاملين فى وحدة البوليس الخاصة . تقول هذه المذكرة : "مرفق للعلم جدول بالسجناء القادمين إلى والخارجين من جميع معسكرات الاعتقال" ويبدو من هذا الجدول أن عدد السجناء القادمين وصل إلى ١٣٦ ألف سجين توفى منهم سبعون ألف سجين . ومع ارتفاع معدلات الوفيات إلى هذا الحد لم يتمكن السجناء من الوصول إلى العدد الذى تطلبه قيادة وحدة البوليس الخاصة .. ولهذا يتعين على أطباء المعسكرات بذل عناية أكبر بطعام السجناء عما سبق ."ويستطرد جلوكس فى مذكرته قائلاً : "أضف إلى ذلك أنه يتعين على الأطباء إبداء القلق حول ظروف العمل فى مواقع العمل المختلفة وتحسينها بقدر الإمكان . "وتنتهى مذكرة جلوكس بهذه العبارة : "إن قيادة الوحدة الخاصة أمرت بتخفيض معدلات الوفيات تخفيضًا كبيرًا . "ولكن رغم مرور عام كامل على كتابة هذه المذكرة لم يعرها أحد التفاتًا كما يتضح من سوء أحوال معسكر دورا .

الفصل الثانى

برنامج الصواريخ الألمانى قبل إنشاء معسكر دورا

تاريخ معسكر دورا والمصنع المقام فى النفق هو جزء لا يتجزأ من تطور صناعة الصواريخ الألمانية، والكتابات التى تتناول هذا الموضوع وفيرة للغاية. ومن أهم الكتب الصادرة مؤخراً فى هذا الشأن ذلك الكتاب الذى نشره المؤرخ الكندى مايكل ج نوفلد Michael J. Neufeld عام ١٩٥٥ بعنوان إلرايخ وصناعة الصواريخ" والكتاب يتتبع في اتزان واضح الجوانب التقنية والسياسية لهذه الصناعة منذ عقد العشرينات فى القرن العشرين حتى استسلام إلرايخ الثالث عام ١٩٤٥ .

١ - صناعة الصواريخ الألمانية قبل الحرب العالمية الثانية:

إطلاق الصواريخ - على المستوى النظرى البحت - أثار اهتمام العالم الروسى كونستنتاتين تسيولكوفسكى Kosntantin Tsiolkovsky فى عام ١٩٠٣ وروبرت جودارد Robert Goddard فى الولايات المتحدة. ولكن العلماء فى كل من ألمانيا وروسيا سعوا إلى تطبيق نظريات الصواريخ لغزو الفضاء وفى عقد العشرينيات من القرن العشرين أظهرت ألمانيا اهتماماً كبيراً بتجارب إطلاق الصواريخ نبرز فيما يلى بعض أهم نقاطها:-

(أولاً) إن هرمان أوبرث Hermann Oberth لعب دوراً مهماً فى صناعة الصواريخ. كان أوبرث أستاذاً للرياضيات فى ترانسلفانيا ومواطناً رومانياً فى فترة من حياته . وفى عام ١٩٢٣ نشر أوبرث فى ألمانيا بحثاً بعنوان "إرسال الصواريخ إلى الفضاء الخارجى" ورغم أن كتابه أثار اهتمام عدد محدود من الناس فقد حظى باهتمام المخرج فرتيز لانج Fritz Lang الذى أخرج فى عام ١٩٢٩ فيلماً بعنوان "امرأة على سطح القمر" مستنداً فى ذلك إلى الدعم العلمى الذى قدمه أوبرث له .

وفى سبتمبر ١٩٣٠ أنشاء المتحمسون لصناعة الصواريخ نادياً خاصاً بهم يجتمعون فيه، واستأجروا لهذا الغرض موقعاً عسكرياً مهجوراً يشيرون إليه باسم راكتنفلوجبلاتز Raketenflugpttz يمارسون فيه هوايتهم ، وكان معظم أعضاء هذا النادى من الشبان مثل أوبرث نفسه كما كان أصغرهم واسمه ورنهر فون براون Wernher Von Braun[1] ينحدر من عائلة ارستقراطية محافظة . ورغم اشتعال هؤلاء الشبان الهواة بالحماس وإبقائهم للأسس العلمية التى ينبنى عليها إطلاق الصاروخ فإنهم فشلوا فى إجراء التجارب العملية بسبب الافتقار إلى التمويل والتنظيم وعجزهم عن حل مشاكل تقنية عديدة. وفى تلك الفترة احتل الاتحاد السوفيتي المرتبة التالية لألمانيا فى مجال صناعة الصواريخ التى جرب إطلاقها سيرج كوروليف Serge Korolev وهو من مواليد عام ١٩٠٧ .

ولكن اهتمام الهواة بإجراء التجارب الخاصة بإطلاق الصواريخ من راكتنفلوجبلاتز مالبث أن أثار اهتمام المحترفين ابتداء بضباط المدفعية التابعين لمكتب أوامر الجيش الذى يضطلع بالقسم التطبيقى لأبحاث الصواريخ فى هيرسوافينانت Heeres Waffenant . وفى عام ١٩٣٢ تولى العقيد كارل إميل بيكر Karl Emil Becker رئاسة هذا القسم. ثم تمت فى عام ١٩٣٨ ترقيته إلى رتبة لواء فأصبح مديراً لهذا القسم، وكانت التجارب على أرض التدريب العسكرى فى كومر سدورف Kummersdorf جنوب

(١) ڤرنر فون بلويرج .

برلين بالقرب من زوسن Zossen . علمًا بأن معاهدة فرساى حظرت على الألمان المهزومين فى الحرب العالمية الأولى العمل على تطوير المدفعية الثقيلة . ورغم ذلك فقد استمر الألمان فى دراسة الصواريخ وإجراء بعض البحوث عليها .

وفى يونيه تظاهر فى كومر سدورف عدد من الشبان المشار إليهم المتحمسين لدراسة الصواريخ فعرض عليهم بيكر أن يمد إليهم يد المساعدة شريطة الاحتفاظ بهذا الأمر سرًا، ولم يقبل هذا الشرط سوى طالب واحد هو فون براون وفى ديسمبر عام ١٩٣٢ حصل هذا الشاب على عقد عمل خاص بالصواريخ فى كومر سدورف فى نفس الوقت الذى كان يحضر فيه للحصول على درجة الدكتوراه فى جامعة برلين تحت إشراف الدكتور إريخ شومان Erich Schumann . ورغم حصول فون على درجة الدكتوراه بامتياز فقد احتفظ المسئولون بعنوان الرسالة وموضوعها سرا خافيًا على عامة الناس .

والجدير بالذكر أن ضباط سلاح المدفعية فى الجيش الألمانى اعتلوا مناصب قيادية فى الفترة النازية . وبعد أن أقصى هتلر من وزارة الحربية ضابط المدفعية ورنر فون بلومبرج Werner Von Blomberg [1] عين رجل مدفعية آخر بدلاً منه هو والتر فون بروشتش Walter Von Brauchitsch الذى قام بترقية بيكر . ويفسر لنا هذا استمرار تشجيع ألمانيا ودعمها لأبحاث الصواريخ فى الفترة من ١٩٣٢ حتى ١٩٤٠ . والجدير بالذكر أن أوثق الوشائج ربطت بين الجيش الألمانى ومراكز الأبحاث فى الجامعات الألمانية .

وفى كومر سدورف عمل فون براون فى عدة مجالات مثل صناعة المعادن وشكل الصواريخ ومشاكل الاشتعال ونظم الإرشاد ثم التحق بالعمل إلى جانبه اثنان من الهواة السابقين فى مجال الصواريخ اللذان لعبا دورا بارزًا فى قاعدة بينيموند وهما

---

(١) فرنر فون بلو مبرج .

والتـــــر ريدل[1] Walter Riedel في ينـاير ١٩٣٤ وآرثر ردولف Arthur Rudolph في أغسطس من نفس العـام . وعندمـا اتضح فـشل الصـاروخ طراز A1 قـام فـون براون بتصميم صـاروخ آخر طراز AZ الذي ثبت نجاحه عند تجربته في جزيرة بوركوم Bork-um في ديسمبر ١٩٣٤ . ورغم نجاح الصـاروخ A2 فإن مداه كان محدوداً . والجدير بالذكر أن جوبلز أطلق اسم V2 على الصاروخ A4 الذي استحدث في سبتمبر ١٩٤٤ .

وفي مارس ١٩٣٥ أدانت ألمانيا القيود العسكرية المكبلة التي فرضتها معاهدة فرساي عليـها وكشـفت عن برنامـجـهـا لإعادة التسلح مع التـركيـز بوجه خـاص على الطيران. والجدير بالذكر أن ولفرام فون ريختوفن Wolfram Von Richthofan الخبير في تطوير السلاح كان على علاقة طيبة ببكر واشترك معه في تنفيذ بعض البرامج. وفي يونيه عام ١٩٣٥ اقترح فون براون إقامة قاعدة خاصة للصواريخ وتوصل إلى اتفاق من حيث المبدأ بهذا الشأن مع مكتب التسلح وسـلاح الطيـران الألماني، وفي أواخر عـام ١٩٣٥ اكتشف فون براون موقعًا مناسبًا لإنشاء هذه القاعدة في الجزء الشمالي من جزيرة يوسدوم Usedom في البلطيق . ووافق مكتب الأوامر العسكرية وسلاح الطيران على إنشـاء القـاعـدة الجوية. وتم شـراء أرض بينيـموند في ١ من أبريل ١٩٣٦ وبدأت أعمال تشييدها في أغسطس من هذا العام .

وفي شـمـال الجـزيرة تم تخـصـيص منطقـة بينيـمـوند الغـربيـة لسـلاح الطيـران وبينيـموند الشـرقـيـة لصناعة الصـواريخ التي ينتـجـهـا مكتب الأوامـر العسكرية. ولكن الخلاف ما لبث أن دب بين المسئولين عن قاعدة سلاح الطيران، والمسئولين عن تطوير الصواريخ فتقرر انفصال القاعدتين رسميًا عن بعضهما بعضًا في أبريل ١٩٣٨ .

تولى السيطرة على قاعدة بينيموند رجلان هما والتر دورنبرجرWalter Dornberger وفون براون . ولد والتر دورنبرجر عام ١٨٩٥ وتم تعيينه في صيف ١٩٣٦ رئيسًا لمكتب قطاع الصواريخ الجديد.

(١) ڤالتر ريدل .

وابتداء من صيف ١٩٣٨ تولى ضابط مدفعية آخر هو ليو زانس Leo Zanssen إدارة قاعدة بينيموند الجوية ، وفى مايو ١٩٣٧ أصبح ورنهر فون براون البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً مديرها الفنى. وتوطدت الصداقة بين دورنبرجر وفون براون ، وأجريت بعض التجارب على إطلاق الصواريخ فى ديسمبر ١٩٣٧ فى ساحل بينيموند على جزيرة صغيرة هى جزيرة جريفسوالد Greifswalder ولكن هذه التجارب أصابها الإخفاق ثلاث مرات اعترف بها فون براون واستوعبها وتعلم منها . ولكن جهود براون ركزت على صنع الصواريخ من طراز A4 . وهى الصواريخ التى كان معسكر دورا ينتجها والتى عرفت فى عام ١٩٤٤ بصواريخ V2 واستغرقت التجارب على الصاروخ V2 ستة أعوام من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٤٤ حتى صار هذا الصاروخ فاعلاً ، ويرجع الفضل إلى دورنبرجر فى توفير التمويل والعمالة والتقنية اللازمة لوضع هذا المشروع موضوع التنفيذ ، وتمثلت تحديات تصنيع هذا الصاروخ فى ثلاثة أمور تعلق أولها باختراع المحرك أو الموتور الذى أسندت مسئولية اختراعه إلى الكيميائى والتر ثيل Walter thiel وتعلق الأمر الثانى بديناميكا الفضاء التى أسندت إلى عالم فيزياء شاب يدعى رودلف هيرمان Rudolf Hermann ، وتولى الأمر الثالث الخاص بنظم الإرشاد باحث يدعى إرنست شتاينهوف Ernst Steinhoff ولنجاح مشروع الصاروخ V2 كان من الضرورى التنسيق بين مجالات البحث المختلفة . ومن جانبه ركز دورنبرجر على جميع الإمكانات المتوافرة فى قاعدة بينيموند الجوية. وتم فى دورا إنشاء نفق على طراز حديث ومعمل خاص بتنظيم الإرشاد ومنصات إطلاق الصواريخ ومحطة كهرباء وأيضاً تم إنشاء مركز صغير للإيواء وممارسة الرياضة . وقد وجد العاملون عبئًا شديداً وصعوبة بالغة فى ذلك الموقع بسبب وعورته من ناحية وصعوبة الوصول إلى الجزيرة من ناحية أخرى. وكان عدد العاملين فى قاعدة بينيموند فى سبتمبر ١٩٣٩ ثلاثة آلاف عامل .

والجدير بالذكر أن النظام النازى ظل لا يتدخل فى سير برنامج الصواريخ حتى عام ١٩٤٠ ورغم أن بعض العاملين فى هذا البرنامج كانوا من أسوأ النماذج بين أعضاء الحزب النازى أمثال رودلف وهرمان وشيتنهوف فإن البعض الآخر لم يكونوا

منتمين إلى هذا الحزب أمثال والتر ريدل أو ثييل أو دورنبرجر وزانسن ، وفى ١ مايو ١٩٤٠ تقدم فون براون للالتحاق بوحدة البوليس الخاصة برتبة ملازم ثان بناء على توصية دورنبرجر ، وكان الهدف من برنامج الصواريخ استحداث صاروخ يفوق مداه مدفع باريس الذى استخدمه الألمان عام ١٩١٨ لضرب باريس من مسافة خمسة وسبعين ميلاً .

٢ - تطوير الصواريخ الألمانية أثناء الحرب في الفترة من ١٩٤٠ حتى ١٩٤٣ :

من الغريب أن نرى نوعا من الارتباك فى سياسة التسلح التى اتبعتها ألمانيا النازية فى السنوات الأولى من نشوب الحرب العالمية الثانية ، ولكن هذا الارتباك لم يؤثر على العمل فى برنامج الصواريخ ولكنه جعل دورنبرجر دائم الحذر ، وفى نوفمبر ١٩٣٩ شعرت ألمانيا النازية بنقص فى السلام والذخيرة واعتبر النازيون مكتب الأوامر العسكرية Ordnance Office مسئولاً عن هذا النقص ، وللتغلب على مشكلة هذا النقص قام هتلر بتعيين تودت وزيراً للتسلح فى ١٧ مارس ١٩٤٠ ، ولم يستطع بيكر الفكاك من مشاكله الشخصية فأقدم على الانتحار فى ٨ أبريل من نفس العام ، وعين خلفًا له ضابط مدفعية آخر هو الجنرال إميل ليب Emil Leeb الذى ظل يشغل موقعه حتى عام ١٩٤٥ ، واستمر ليب فى انتهاج نفس سياسة بيكر، ولكنه كان يفتقر إلى تجربته ونفوذه، وعلى أية حال استمر دورنبرجر يتمتع بتأييد فون بروتشتش رئيس أركان الجيش حتى ديسمبر ١٩٤١ (١) .

واحتدم خلاف لم يكن من السهل حسمه وهو خلاف حول الأولويات التى تمثلت فى أى الأسلحة كانت ألمانيا النازية فى أمس الحاجة إليها : الطائرات أو الغواصات أو الصواريخ ، واستمرت هذه المشكلة محتدمة نحو سنة ونصف تاركة وراءها خلافات لم

(١) براوختش .

يستطع هتلر نفسه حسمها . وفى ٢٠ أغسطس ١٩٤١ استقبل هتلر وفداً مكونًا من دورنبرجر وفون براون وشينهوف بالإضافة إلى فروم Fromm وكتيل Keitel القادمين من بروسيا الشرقية . واستطاعت القوات النازية آنذاك اكتساح أوربا الشرقية الأمر الذى أغراها بالإقدام على تدمير إنجلترا عن طريق دكها بالصواريخ البعيدة المدى . ولهذا اكتسبت صناعة الصواريخ طراز V2 أولوية قصوى وطلب هتلر إنتاج عدد كبير من هذه الصواريخ . ورأى دورنبرجر كما رأى الكثيرون من زملائه عدم تكليف القطاع الخاص بإنتاج هذا النوع من الصواريخ . وحبذوا إنتاجها فى موقع قاعدة بينيموند كما حبذوا ضرورة إقامة علاقات طيبة بين المهندس المكلف بإنتاج الصواريخ والمهندس المنوط به تطويرها ، ولكن دورنبرج لم يتمكن من إقناع المسئولين بتوفير ما يحتاج إليه من الصلب والعمالة المطلوبة بسبب وجود بعض العيوب التى تشوب الصواريخ A4 والتى أصبح يشار إليها بـ V2 .

وفى ٨ فبراير ١٩٤٢ أصبح ألبرت سبير بموازرة هتلر وزير التسلح خلفًا لتودت الذى توفى فى حادثة تحطم طائرته . واهتم سبير بتطوير الصواريخ وكانت له معرفة جيدة ببينيموند نتيجة رئاسته مكتب التشييد والإنشاء هناك واشتغاله كمهندس معمارى فى هذه القاعدة ، وهناك قابل سبير فون براون وقادة مشروع الصواريخ الشبان الذين توثقت صلاته بهم .

كان يفترض تجميع صواريخ A4 (أو V2) فى قاعدة بينيموند ولكنه تقرر تجميعها فى أواخر ١٩٤١ فى مصانع زيبلين Zeppelin [١] فى فرايد ريتششفن Fridrichshof-en. ثم تقرر فى مارس ١٩٤٣ تجميعها فى مصنع راكس فيرك Rax Werke فى فيندنيو ستادت Neustadt فى جنوب فيينا . وكذلك وقع الاختيار على موقع رابع فى فولكنس فى ديماج غرب برلين . ولكن تم صرف النظر عن هذا الموقع الأخير . وقرر ديجنكولب Degenkolb أن يصل سقف إنتاج الصواريخ فى كل موقع إنتاجى إلى ثلاثمائة صاروخ يوميًا بحلول شهر ديسمبر ١٩٤٣ .

---

(١) تزيبلين .

وفى قاعدة بينيموند احتدم النزاع بين قطاع إنتاج الصواريخ وقطاع تطويرها، وتجشم رئيس المهندسين مسئولية شاقة وجسيمة بسبب كثرة ما اقترحه جناح التطوير من تعديلات فى تصميم الصواريخ. وزاد من تفاقم المشكلات الخاصة بإنتاج صواريخ V2 قلة العمالة الفنية الألمانية المطلوبة لهذا الغرض، الأمر الذى اقتضى استخدام العمالة الأجنبية متجاهلاً بذلك المخاوف الأمنية . وفى العادة استخدم النازيون العمالة الإيطالية والبولندية فى أعمال البناء والتشييد ، وللتغلب على مشكلات نقص العمالة المطلوبة لإنتاج الصواريخ اضطر النازيون إلى إستخدام العمالة البولندية وأسرى الحرب السوفييت . وأنيط بجاجاز Jagas رئيس اللجنة الفرعية مهمة إنتاج الصواريخ، وبحلول شهر أبريل ١٩٤٣ كان هناك أكثر من ثلثمائة عامل أجنبى يعملون فى مجمع بينيموند .

وفى مايو ١٩٤٣ قام سبير رسميًا بإنشاء لجنة القصف بالقنابل البعيدة المدى يرأسها والدر مان باترسن Walderman Patersen . وفى ٢٦ مايو ١٩٤٣ دعا سبير مساعده سور وينجولف والجنرال فروم والفيلد مارشال ميلخ والأدميرال كارل دونيتز Karl Donitz وكثيراً من المرموقين لزيارة قاعدة بينيموند كى يشاهدوا بأنفسهم تجربة إطلاق صاروخين من طراز V2 أى A4 ، وأصابت تجربة إطلاق الصاروخ الأول نجاحًا عظيمًا فى حين شاب إطلاق الصاروخ الثانى شىء من الإخفاق ، والجدير بالذكر أن الإخفاق الكامل صادف محاولتين أخريين لإطلاق صواريخ من طراز Fi 103 ومع ذلك فقد أوصت اللجنة الزائرة بإنتاج هذين النوعين من الصواريخ باعتبار أنهما يكملان بعضهما بعضًا ، ويبدو أن سبير ومليخ كانا صاحبىْ هذه التوصية .

وفيما بعد قام هتلر فى ٧ يوليه ١٩٤٣ باستقبال كل من فون براون وشيتنهون فى راستنبورج فى حضرة سبير وكيتل Keitel وقام فون براون بالتعليق على فيلم يصور التجربة الناجحة لإطلاق الصاروخ فى حين ألقى دور نبرجر محاضرة حول هذا الموضوع. وقد أبدى هتلر تأثره الواضح بأفكار فون براون الذى منحته الجامعات الألمانية درجة الأستاذية .

وضع ديجنكولب إلى فريقه عدداً من المستشارين على رأسهم آلبين سواتزكى -Al bin Sawatzki الذى نجح نجاحًا باهرًا فى صنع دبابات من طراز النمر فى مصنع هنشل فى كاسل Kassel الذى كلف فى ٤ أغسطس ١٩٤٣ بإعداد خطة لإنتاج صواريخ V2 فى أواخر هذا الشهر، ولكن قصف الحلفاء العنيف والمكثف لقاعدة بينيموند خلال ليلة ١٧ / ١٨ أغسطس من العام المذكور نسف هذه الخطة الإنتاجية لصواريخ V2 من أساسها ولم يحضر الاجتماعات التى تناقش خطة الصواريخ أى من رجال وحدة البوليس الخاصة أو حتى رئيسها هملر رغم أنه أبدى اهتماماً واضحاً بهذا الموضوع . وفى ١١ ديسمبر ١٩٤٢ قام هملر بزيارة قاعدة بينيموند كى يشاهد بنفسه عملية إطلاق صاروخ باءت بالفشل جاءت عقب عملية إطلاق صاروخ تمت بنجاح يوم ٣ أكتوبر ١٩٤٢ .

وبعد ذلك زار هملر هذه القاعدة للمرة الثانية يوم ٢٨ يونيه ١٩٤٣ وبهذه المناسبة ارتدى فون براون الزى العسكرى الخاصة بوحدة البوليس الخاصة. وهى إحدى المناسبات النادرة التى لبس فيها هذا الزى وتمت ترقيته إلى رتبة رائد. ولم يكن من الممكن إجراء التجارب وإنتاج الصواريخ لولا إمداد معسكرات الإعتقال النازية بالعمالة المطلوبة .

والجدير بالذكر أن الرعيل الأول من السجناء الذين استخدمتهم مصانع إنتاج الصواريخ لم يكونوا من سجناء معسكر بوخنوالد الذين قدموا إلى معسكر دورا فى ٢٨ أغسطس ١٩٤٣ فقد سبق استخدام سجناء آخرين فى قاعدتى بينيموند وفرايد ريتشافن بناء على مبادرة من جاجر عقب شكوى رودلف وتعبيره عن قلقه من نقص العمالة فى مجال إنتاج الصواريخ ، ولهذا تولى جاجر تنظيم زيارة له لمصانع هينكيل فى أورانينبرج حيث جاء للعمل هناك سجناء من معسكر ساشسنهاوزن ، وقد أورد رودلف تفاصيل هذه الزيارة التى حدثت فى ١٢ أبريل ١٩٤٣ . وقد وافق دور نبرجر على عقد اجتماع يوم ٢ يونيه ١٩٤٣ فى مكتب هاينز كونز Heinz Kunze مساعد ديجينكولب Degenkolb وتقرر فى هذا الاجتماع طلب عمالة ألف وأربعمائة سجين عن طريق مؤسسته WVHA التابعة لوحدة البوليس الخاصة .

وكان التقرير الذى أعده رودلف ومحاضر الاجتماع الذى عقد فى كونز إيذانًا ببداية وفاة آلاف السجناء فى معسكر دورا دون أن يظهر رودلف أى تأثر بوفاتهم ، كان رودلف يفضل تشغيل العمالة الألمانية ولكن نقصها أجبره على تشغيل العمالة الأجنبية رغم خطرها على الأمن وكانت العمالة الفرنسية بوجه خاص موضع شك كبير وأيضًا ركز النازيون اهتمامهم على عمالة سجناء الحرب الروس المحبوسين فى معسكر تراسنهايد Trassenheide ورحب جاجر بتشغيلهم حتى لا يعول هم إيوائهم وإطعامهم ودفع أجورهم .

وفى قاعدة بينيموند بلغ عدد أوائل السجناء القادمين من معسكر بوخنوالد يوم ٢٠ يونيه ١٩٤٣ مائتى سجين من الألمان والفرنسيين . وفى ١١ يونيه فى نفس هذا العام وصل الفوج التالى المكون من أربعمائة سجين معظمهم من الفرنسيين وكذلك وصل إلى معسكر فينو نيوستادت خمسمائة سجين من معسكر ماثاوزن يوم ٢٠ يونيه من العام المشار إليه ليبدأوا العمل فى مصانع زبلين فى فريدريشافن . وفى يوم ١٤ أغسطس تمت فى سولوجو Sawlgou إقامة معسكر آخر من سجناء داكاو فى منطقة سوابيا العليا Upper Swabia لإنتاج نصف أجسام طائرات زبلن قاذفات الصواريخ V2 التى كانت تجمع فى قاعدة بينيموند ثم فى دورا .

وهناك عدد من الشهود الذين كانوا على علم بالأحوال المعيشية فى قاعدة بينيموند لصناعة الصواريخ مثل السجناء الفرنسيين التالية أسماؤهم : روجر برترو Roger Barthereau وأندريه كاسييه Andre Cassier ويوجين لورنت Eugene Laurent وميشيل فيلكس Michel Fliecx الذى تناول فى أربع عشرة صفحة قصة مقاومته وترحيله إلى قاعدة بينيموند من ١١ يوليو إلى ١١ أكتوبر ١٩٤٣ ، ويخبرنا فى هذه الصفحات بما حدث خلال الشهر السابق لقصف الحلفاء لقاعدة بينيموند ثم القصف الذى طال هذه القاعدة ثم الأحداث التالية لهذا القصف حتى عودته إلى معسكر بوخنوالد . وأيضًا يصور لنا فيلكس ما كابده من عذاب فيما بعد فى معسكرى دورا وبرجن بلسن ، ويتضح من مذكرات فيلكسن أن الدور الأرضى من مصنع الصواريخ V2 كان

مخصصًا لإيواء العمال فى مساكن نظيفة وكمكان للاغتسال ، وكان رجال وحدة البوليس الخاصة يقومون بحراسة العاملين من السجناء تحت قيادة قائد سكير . وكان يحلو لمشرف ألمانى من رومانيا أن يضرب السجناء بكل وحشية. وأيضًا كان من بين المشرفين سجين سياسى ألمانى يدين بالشيوعية. ولكن المشرفين الألمان الآخرين كانوا من عتاة المجرمين، وكانت علاقة السجناء العاملين فى قاعدة بينيموند بالمدنيين معقولة ، كما كانت معدلات الوفيات بينهم منخفضة ، ويذكر شتايمل Steimel أن أربعة سجناء مجرمين ألمان توفوا نتيجة استعمال مادة الميثانول فى قاعدة بينيموند بسبب قيامهم بخلط مادة الأثيانول بالميثانول من أجل حماية محصول البطاطس من العطب ، ولكن هذه الممارسة توقفت بعد قصف الحلفاء لهذه القاعدة وتدمير مصنع الصواريخ وهو ما أدى إلى قتل المشرف على المعسكر وتمكن السجناء المجرمين من السيطرة عليه .

كان كثير من سجناء المعسكر القادمين من فينر نيوستادت من الفرنسيين الذين بقوا فى معسكر ماثاوزن منذ وصولهم من بلدة كومبيين فى أول أبريل ١٩٤٣ ، وتم على الفور تخصيص مجمع مغلق لإنشاء المصنع الجديد من مبان صلبة ومتينة ، وكان هذا المجمع قريبًا من راكس ويرك Rax Werke وهو مصنع تخصص فى إنشاء قضبان السكة الحديد ، وفى بادئ الأمر كانت الأحوال المعيشية هناك مقبولة وذلك قبل وصول المزيد من السجناء الروس من معسكر ماثاوزن تحت قيادة الكابو جورج فينكنزيلر Georg Finkenzeller الذى عاد إلى الظهور من جديد عام ١٩٤٤ فى معسكر دورا .

لاحظ البريطانيون النشاط الكبير الذى كان يجرى فى قاعدة بينيموند منذ أواخر ١٩٣٦ ، ففى البداية قام جاسوس ألمانى بتبليغ الملحق البحرى فى أوسلو بوجود قاعدة لإجراء التجارب على الصواريخ فى إحدى جزر البلطيق النائية وأيضًا انتشرت إشاعات فى الأقطار الإسكندنافية عن وجود صواريخ رآها الصيادون على مبعدة من بورنهولم Bornholm ، وفيما بعد قامت حركة المقاومة البولندية ضد النازية بالكشف عن معلومات استخباراتية أكثر دقة نقلاً عن بعض العاملين فى قاعدة بينيموند ، وأخيرًا قامت بعض طائرات الحلفاء الاستطلاعية يوم ١٥ مايو ١٩٤٢ بالتقاط صور بعض

المدمـرات الرابضـة فى سـوينمـوند Swinenmunde[1] ، وفى طريق عودته من مـهـمتـه الاسـتطلاعية التقط أحد طيارى قوات الحلفاء صـوراً عديدة لقاعدة بينيمـوند كشـفت اللثام عن تفصيلات مدهشة .

وفى أبريل عـام ١٩٤٣ كلفت السلطات البريطانيـة عضـواً فـى البرلمان البريطانى يدعى دزكان ساندرز Duncan Sands قريب ونستون تشـترشل البالغ من العمر أربعة وثلاثين عـامًا بفحص هذه الصـور، وسـاعده على فـحصـها أنه كان يعمل فى سـلاح المدفعية قبل أن يصاب فى قدمه واستدل ساندز من فحصه لصور القـاعدة الملتقطة من الجـو على وجود شـيـئين يتمـيـزان بالطول على شكل الطوربيد إلى جانب وجود أبنيـة متنوعة أقيمت مـؤخراً فى شـمال فرنسا ، وكان المسئول الرئيسى عن إجراء الفـحوص والاسـتقـصـاء الدكتـور ر.ف جـونز R.V. Jones المسـتشـار العلمـى المتعـاون مع قـسم الاستخبارات بوزارة الطيران المدنى .

وفى يوم ٢٩ يونيـه ١٩٤٣ قرر ونسـتـون تشـرشـل بناء على توصيات لجنة الدفاع شن غارة ليلية مروعة (أعطاها اسمًا سريًا أسطوريًا هو الهايدرا Hydra أى الحية ذات التسـعة رءوس والتـى يظهر لـها رأس بدلاً من أى رأس يقطع لها) على قاعدة بينيمـوند الجوية. وفـوجىء العـاملون فى هذه القـاعدة بـالهـجوم العـاتى عليـهم فارتبكت صـفوفـهم ارتبـاكًا شـديداً . ودفـع هـذا الـهـجوم العنيف والمباغت النازيـين إلى تغـيير اسم القـاعدة وعدم الإشـارة إلى هذا الاسـم فـى الوثائق الجـديدة، ولهـذا توقف النازيون منذ ١ يونيـه ١٩٤٣ عن استـخدام قاعدة بينيموند الجـوية التى تغير اسـمها بعدئذ إلى حديقة هيمات للمدفـعية رقم ٢ "Heimat-Artillerie Park" التى يشـار إليها اختصـاراً HAP والتى أعيد إنشـاؤها فى مـوقع آخر هو كارلشـاجن Karlshagen وهـو قرية واقـعة فى أقـصـى جنوب جزيرة يوسدوم . والجدير بالذكر أن كاربشـاجن هو اسم معسكر السجناء هناك .

وكمـا أسلفنا شـنت القـوات الأمـريكيـة والبـريطانيـة غارة مروعة فى ليلة ١٧ / ١٨ أغـسطس ١٩٤٣ كـان القـمـر فـيـهـا مكتـمـلاً وسـاطعًا ولجـأ البـريطانيـون إلى تضليل

---

(١) سوينموندا .

الطيارات الأمريكية بعيداً عن قاعدة بينيموند في اتجاه بريلين للتركيز على ضربها بأكثر من ستمائة طائرة واستمرت الغارة نحو ساعة كاملة، وفى النهاية نجحت نيران المدفعية الألمانية المضادة للطائرات فى إسقاط أربعين قاذفة قنابل تابعة لقوات الحلفاء. ولكن عنف الضربة لم يمنع الخبير الألمانى فى مجال الصواريخ من إنقاذ الخطط والملفات من الاحتراق ، وكانت الخسائر فى الأرواح عظيمة حيث بلغ عدد القتلى ٧٣٥ كثيرون منهم بين سجناء الحرب الروس والعمال البولنديين القاطنين فى ثكنات معسكر تراسندهايد Trasenheide إلى جانب وفاة ١٧٨ من الفنيين الألمان مثل الدكتور والتر ثييل Walter Thiel وعائلته .

وبسبب هذه الغارة المدمرة أدرك الألمان أن قاعدة بينيموند الجوية لم تعد مكانًا آمنًا لصناعة الصواريخ ، ولهذا رأوا من الضرورى إقامة مصنع الصواريخ فى مكان أكثر أمانًا من الغارات الجوية وهكذا تبعثر وتناثر المجمع الصناعى الكبير الذى تولى دورنبرجر إقامته وتصادف أن تعرضت مصانع داكس ويرك فى فينر نيو ستادت لقصف مماثل يوم ١٣ أغسطس من نفس العام . وفى يوم ٢٧ أغسطس دمر الحلفاء بلوكات إبرليك السكنية Eperllecques وأصبحت غير صالحة للاستعمال .

ولم يمض أكثر من عشرة أيام حتى استوعب القواد النازيون الدرس ففى ١٨ أغسطس ١٩٤٣ ركب سبير الطائرة متوجهًا إلى بينيموند وسونيفورت Schweinfurt وراتسبون Ratisbonne [١] لمشاهدة ما ألحقته القاذفات البريطانية والأمريكية من دمار وخلال هذا الوقت غادر هملر مركز قيادته فى هوشوالد Hochwald [٢] فى بروسيا الشرقية لمقابلة هتلر فى راستنبرج وطلب منه الموافقة على اتخاذ ثلاث خطوات أولها: نقل مكان إنتاج الصواريخ طراز A4 (أو V2) إلى موقع سرى تحت الأرض ، ثانيًا : نقل قاعدة إجراء التجارب على الصواريخ إلى معسكر تدريب تابع لوحدة البوليس

(١) شفاينفورت .

(٢) هوخفالد .

الخاصة فى بليزنا Blizna فى بولندا ، ثالثًا : استخدام عمالة معسكر الاعتقال فى مصانع الصواريخ وفى ٢٠ أغسطس ١٩٤٣ حضر كل من سبير وسور إلى هو شوالد بناء على تعليمات هتلر لمقابلة هملر لوضع هذه الاقتراحات الثلاثة موضع التنفيذ . وتم تكليف البريجادير الدكتور هانز كاملر بالاضطلاع بالدور الذى يتعين على وحدة البوليس الخاصة أداءه ، وفى ٢٥ أغسطس ١٩٤٣ قام دور نبرجر بالاتصال بفون براون تليفونيًا لترتيب مقابلة مع المسئولين فى قاعدة برينيموند لوضع خطة لنقل مصانع إنتاج الصواريخ إلى موقع آخر . ويبدو أنه كان هناك اتجاه لاختيار منطقة السار Saar كموقع جديد كما أسندت مسئولية التنفيذ إلى كل من سواتزكى Sawatzki وررودلف .

وفى يوم ٢٦ أغسطس ١٩٤٣ عقد بير فى مكتبه اجتماعًا ضم دورنبرجر وكاملر وسور ودجنكولب وقرروا اختيار تل كوهشتين موقعًا لإنشاء مصانع إنتاج الصواريخ فى إنفاق بداخله ، وقامت شركة ويفو WIFO بحفر الأنفاق فى هذا الموقع وفى ٢٨ أغسطس ١٩٤٣ قام كاملر بجلب الرعيل الأول من السجناء من معسكر بوخنوالد لبدء العمل فى الموقع الجديد .

٣ - حفريات شركة ويفكو فى تل كوهنشتين جنوب جبال هارز Harz

قامت شركة ويفكو بحفر مجمع صناعة الصواريخ الجديد الذى تقرر نقله من قاعدة بينيموند إلى تل كوهنشتين فى جنوب جبال هارز ، وكانت أفواج السجناء المتعاقبة القادمة من بوخنوالد لا تعرف شيئًا عن هذا المجمع المنحوت فى الصخور تحت سطح الأرض كما كانت لا تعرف حتى اسم التل الذى حفرت فيه الأنفاق، ولم يعرف هؤلاء السجناء أن هذا الموقع موجود عند جبال هارز فى ثورينجيا إلا فيما بعد، ونحن نجد معلومات عن موقع دورا فى كتابات المؤرخ الألمانى مانفرد بورنمان Manfred Bornnemann المنحدر من هذه المنطقة ويعرف تاريخها وجغرافيتها، نشر بورنمان فى عام ١٩٩٤ نسخة جديدة ومنقحة من كتابه عن دورا . كانت الأشجار تغطى جبال هارز

الواقعة فى أقصى شمال سلسلة من التلال والوديان والجبال ، ويصل ارتفاع قمة جبال هارز إلى ٣٧١٢ قدمًا ولكن ارتفاع هضبتها تراوح بين ١٦٠٠ و ١٩٠٠ قدم، كما أن هذه المنطقة الجبلية شاهدت نشاطًا تعدينيًا كبيرًا بسبب كثرة مناجم المعادن فيها .

ويسبب قرب سلاسل هارز الجبلية من برلين وهامبورج ولينبرج كانت هذه المنطقة قبل عام ١٩٣٩ منتجعًا يشتمل على عدة فنادق وفيلات الأمر الذى وفر للإداريين المنقولين من قاعدة بينيموند عام ١٩٤٣ المكاتب والمساكن اللازمة ورغم قسوة الجو فى هارز فإن المدن والقرى من الطرف الجنوبى تمتعت بنوع من الوقاية النسبية ، ومن ثم كانت الرياح فى دورا أقل فى قسوتها من الرياح التى تهب على بوخنوالد .

وكان هناك على حافة جبال هارز تل يعرف باسم كوهنشتين وصل ارتفاعه إلى ١٠٩ قدمًا حيث قام السجناء بحفر طبقة من التل تتكون من معدن كبريتات الكالسيوم غير المائية كما أنه توجد فى وادى زورج Zorge الواقع فى أسفل جبال هارز محاجر غنية بهذاالمعدن .

وفى عام ١٩٣٤ قامت وزارة الاقتصاد والرايخ الألمانى بتأسيس شركة ويفر التى اضطلعت بمهمة تجميع وتخزين احتياطى مادة الهيدروكربون المستخرجة من مختلف مواقع التعدين فى ألمانيا، فضلاً عن اشتغال هذه الشركة بصناعة القطارات والمواسير ، كما استطاعت شركة ويفو عام ١٩٣٥ أن تعقد صفقة مع شركة فاربن من أجل إنشاء مستودع ضخم فى نيدر ساشور Niedersachswer وحفر مجمع صناعى داخل تل كوهنشتين ، واتضح أن هذه الصفقة كانت رابحة للطرفين ، وطبقًا للخطة الموضوعة كان الهدف.

كالتالى بحلول عام ١٩٤٤ يتم استكمال حفر نفقين متوازيين من الشمال إلى الجنوب ثم ربطهما عند مسافات منتظمة بدهاليز ويبلغ طول كل دهليز ٤٩٠ قدمًا .

بدأت أعمال الحفر قبل الحرب فى يونيه ١٩٣٦ ومرت بثلاث مراحل انتهت المرحلة الأولى فى مايو ١٩٣٧ بإقامة الدهليز رقم ١٨ وامتدت المرحلة الثانية من يونيه ١٩٣٧

حتى أغسطس ١٩٤٠ ، وانتهت بحفر الدهليز ٣٠ فى النفق الأول والدهليز ٣٢ فى النفق الثانى . ثم استؤنف العمل لإتمام المرحلة الثالثة بعدد أقل من العمال فى يوليه ١٩٤١، ولكن العمل توقف في أغسطس ١٩٤٣ ، وسبق إتمام النفق الثانى قبل إتمام النفق الأول الذى لم يكن له مخرج من الجنوب، غير أنه تم حفر دهليز جديد فى النفق الأول يصل إلى الجانب الشرقى من تل كوهنشتين ، ويلغ عرض الأنفاق المحفورة تحت الأرض ثلاثين قدمًا وارتفاعها ثلاثة وعشرين قدمًا، وطبقًا لما يقوله بورنمان تم استخراج ٣٥ مليون قدم مكعب أى نحو ثلاثة وثلاثين طنًا من معدن كبريتات الكالسيوم غير المائية ، وهناك من يذهب إلى أن سجناء الحرب الروس هم الذين قاموا بحفر هذه الأنفاق .

وفى نهاية عقد الثلاثينيات استطاعت شركة ريفو تحويل دهاليز الأنفاق إلى مستودعات للهيدروكربونات واحتياطى الجازولين والدبابات. وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية زادت أنشطة شركة ريفو فاستطاعت تخزين بضائع متنوعة فى هذه الدهاليز وكانت العمالة اللازمة لهذه المستودعات تُختار أصلاً من السجناء الألمان ولكن بحلول عام ١٩٤٣ شملت عدداً معيناً من السجناء التشيكيين والفرنسيين التابعين لمؤسسة STO.

وفى عام ١٩٤٠ اضطلعت شركة ريفو بمسئولية الاحتفاظ بغنائم الحرب واستجماع المواد الخام ، ولهذا الغرض أنشأت هذه الشركة فروعًا لها وخاصة فى باريس وبروكسل ، وبعد انتهاء الحرب قام الجهاز الفرنسى للتحقيقات المالية فى ألمانيا بفحص الأوراق المتعلقة بأنشطة هذه الشركة ، وقد أفرد المؤرخ الفرنسى جاك ديلارى Jacques Delarue الجزء الأول من كتابه "التجارة غير المشروعة والجريمة خلال فترة الاحتلال النازى" ، لتناول الجوانب الخفية من تجارة السوق السوداء والدور الذى لعبته المنظمات الألمانية المختلفة فى هذا الشأن، ومن ثم برز الاهتمام بالشركة التجارية للمواد الخام المعروفة اختصاراً باسم روجس ROGES التابعة لمونيو والتى أنشئت عام ١٩٤٠ ، ويقول المؤرخ الفرنسى دولارى فى هذا الشأن : "ورغم أن الدور الذى لعبته

شركة روجس كان إداريًا خالصًا ومن ثم خافيًا عن الأنظار فإنه كان دورًا بالغ الأهمية ، فقد تركزت فى يد هذه الشركة جميع الخيوط الخاصة بجميع البضائع التى تستوردها ألمانيا من العالم الخارجي ، وكانت التنظيمات المشترية لهذه البضائع تعلن كل ٤٨ ساعة بانتظام تسلمها لهذه البضائع حسب أصنافها ، وأشرفت شركة روجس التجارية للمواد الخام على سلامة ودقة هذه البضائع بعد تسلمها بدون ضرائب فى السوق الحرة باعتبارها ملكًا للحكومة الألمانية ، فضلاً عن تحملها المسئولية عن عملية الشحن من ألفها إلى يائها عن طريق إحدى شركات النقل المعتمدة ، وأيضًا كانت الشركة التجارية روجس تتسلم المبالغ المالية التى يحددها لها مندوب الخطة الرباعية المقررة المفروض إنجازها فى أربعة أعوام والتى وفرت العملات اللازمة لمكاتب المشتريات لشراء البضائع من السوق السوداء. فضلاً عن تكليف الشركة التجارية روجس بإعادة بيع نفس البضائع المشتراة فى الأراضى الألمانية إلى الشركات التى يحددها قطاع التوزيع بأسعار تتولى تحديدها المكاتب الاقتصادية القومية ، وكانت أسعار بيع هذه السلع تقل عن أسعار شرائها، ومعنى ذلك أنها كانت سلعًا مدعمة تولت وزارة المالية تعويض روجس بدفع فروق الأسعار . كما كانت وزارة المالية تتكفل بدفع المصروفات التى تتكبدها روجس فى إجراء العمليات التى تقوم بها ، وبطبيعة الحال لم تكن الخزانة الألمانية هى التى تتحمل هذه النفقات بل تحملتها فرنسا والدول الأخرى الواقعة تحت الاحتلال النازى ويبدو من أوراق المحاسبات والدخل والمنصرف أن ألمانيا اشترت هذه البضائع ودفعت أثمانها فى حين أن الواقع يدل على أنها استولت عليها بالمجان .

وهكذا تتضح لنا أهمية الدور الذى لعبته شركة ويفو والشركة التجارية روجس فى اقتصاد الحزب النازى، فلا غرو إذا رأينا هذا الاقتصاد قادرًا على إنجاز مشروع هائل فى ضخامته وتكاليفه مثل شق تل كوهنشتين وحفر الأنفاق العملاقة فيه .

وقبل أن نتحدث عن جحيم معسكردورا للاعتقال يجدر بنا أن نتناول ترحيل أفواج السجناء من معسكر بوخنوالد إلى دورا .

٤ - ترحيل أفواج السجناء من معسكر بوخنوالد للعمل فى معسكر دورا:

إن فحص أفواج السجناء القادمة من معسكر بوخنوالد وهى فى طريقها إلى معسكر دورا فى الفترة من يونيه ١٩٤٣ إلى يناير ١٩٤٤ قمين بأن يلقى الضوء على آليات التغيير التى طرأت على معسكرات الاعتقال عمومًا ، واللافت للنظر أولا الحجم الضخم للأفواج القادمة من أوكرانيا وبالذات من دينبروبتروسك Dnepropet rovsk أيام ٢٦ يوليه و ٢٦ و ٢٩ أغسطس و١٩ سبتمبر ١٩٤٣ إلى جانب الأفواج القادمة من كيرفوجراد Kirovograd يومى ١١ أكتوبر و١٧ نوفمبر ١٩٤٣ ومن نيكولاييف Niko-laiev فى ٦ أكتوبر و ٢٧ و ٣٠ نوفمبر ١٩٤٣ ثم فى ٢٣ مارس ١٩٤٤ . وهذه الأفواج تشبه الإخلاء المطرد للمعسكرات فى أوكرانيا فى أعقاب تقهقر القوات الألمانية بعد انهزامها فى كيرسك فى أوائل شهر يوليه من العام المشار إليه ، وكانت أعداد المرحلين من أوكرانيا على النحو التالى : ٤١٤٠ من دينبروبتروفسك و٨٤٧ من كيروفوجراد و ١٥٦٩ من نيكولاييف و ٢٣٣ من كييف. وبهذا وصل مجموع القادمين من أوكرانيا إلى ٦٧٨٩ ، وتم ترحيل عدد كبير منهم إلى معسكر دورا ليلتحقوا بالعمل فى الأنفاق المحفورة بعد وضعهم بفترة فى الحجر الصحى ، أما المجموعة الأخرى من الأفواج المرحلة فقد جاءت من منطقة كومبيين الفرنسية على النحو التالى : ٩٦٢ فى ٢٧ يونيه و٩٠٠ فى ٤ سبتمبر و٩٨٩ فى ١٨ سبتمبر و ٩١١ فى ٣٠ أكتوبر و٩٢١ فى ١٦ ديسمبر ١٩٤٣ و١٩٣٩ فى ١٩ يناير و ١٩٩٠ فى ٢٤ يناير و١٥٨٠ فى ٢٩ يناير ١٩٤٠ ، وهكذا بلغ مجموع المرحلين ١٠١٩٢ معظمهم من الفرنسيين وقلة منهم من الأجانب الذين يعيشون فى فرنسا ، والجدير بالذكر أن الفوج المرحل فى ١٩ يناير ١٩٤٠ اشتمل على مجموعة من الجمهوريين الإسبان .

وفى الفترة الواقعة من يناير حتى مايو ١٩٤٣ جاءت ثلاثة أفواج كبيرة من كومبيين إلى معسكر ساشسنهاوزن بلغ عددها فى البداية ٣٦٥٠ ثم فوجان آخران إلى معسكر ماثاوزن وصل عددها إلى ألفى مهجر ، وبعد ذلك التاريخ حتى مارس ١٩٤٤

كانت جميع الأفواج ترسل إلى معسكر بوخنوالد ، وكانت الأفواج الأولى من المرحلين من الشباب الذين تمردوا على السلطة النازية فانخرط بعضهم فى المقاومة وحاول البعض الهروب عن طريق جبال البيرنيز إلى إسبانيا للوصول إلى شمال إفريقيا .

وتبين من الأفواج التى قام النازيون بترحليها صوب معسكر بوخنوالد والتى أعقبتها أفواج أخرى فى طريقها إلى دورا وجود عدد كبير من السجناء الفرنسيين عندما قامت قوات الحلفاء بتحريره الأمر الذى يفسر تسمية معسكر دورا بالمقبرة الفرنسية .

سبق لنا أن ذكرنا أن حكومة بادوجليو الإيطالية عقدت هدنة مع جيوش الحلفاء فى ١٨ سبتمبر ١٩٤٣ قام الجيش الألمانى على إثرها باحتلال روما يوم ١٢ سبتمبر من نفس العام ، وباحتلال روما تمكن النازيون من السيطرة على المعسكرات الإيطالية التى أقامها نظام موسولينى الفاشى لجيش اليوغسلافيين والسلوفيين والكرواتيين الذين وصل الكثيرون منهم إلى معسكر دورا بعد مضى عدة أسابيع عن طريق معسكرى داكاو [١] وبوخنوالد [٢] . وأيضًا جاء معهم جنود إيطاليون أسرهم الألمان فى البلقان ومن إيطاليا نفسها بعد احتلالهم لها، فضلاً عن وصول سجناء آخرين إلى دورا من معسكرات اعتقال أخرى وعلى رأسها معسكر أوشفيتز ، فضلاً عن أن معسكر دورا ضم جنسيات مختلفة إلى جانب الجنسيات السالفة الذكر فمن المعروف أن النازيين فى الأسابيع الأولى قاموا بإرسال عدة أفواج من البولنديين إلى بوخنوالد ، إلى جانب التشيكيين الذين جاءوا إلى معسكر دورا عن طريق معسكر أوشفيتز .

---

(١) داخاو وبوخنفالد .

الفصل الثالث

جحيم معسكر دورا

مقدمة :

تبدأ هذه المقدمة بالتنظيم الجديد الذى أعده النازيون لبرنامج الصواريخ فى أغسطس ١٩٤٣ فنقول إن العسكريين الألمان فى هذا التاريخ اتخذوا قرارات بالغة الأهمية بعد قيام قوات الحلفاء بتدمير قاعدة الصواريخ فى بينيموند فقد أدت غارتهم العاتية عليها إلى فصل إدارة تصميم الصواريخ طراز V2 عن موقع إنتاجها رغم تشبث دورنبرجر بدمجها ، وانتهى الأمر بأن قرر النازيون استحداث تنظيم جديد لبرنامج الصواريخ .

إقامة مصنع ميتلوبرك Mittelwerk

كما سبق أن رأينا أدت غارة الحلفاء العاتية على قاعدة بينيموند إلى نقل مصنع إنتاج صواريخ V2 على جناح السرعة إلى مجمع جديد لصناعة الصواريخ محفور فى تل كوهنتشتين فى دورا ، واقتضى ذلك بطبيعة الحال نقل الإدارة الألمانية والسجناء الذين سبق ترحيلهم من معسكر بوخنوالد إلى قاعدة بينيموند / كارلشاجن وأسندت مهمة إنشاء مصنع الصواريخ الجديد إلى ساواتزكى الذى خطط البرنامج برمته وورودلف الذى اضطلع بمسئولية إقامة المصنع ، وكما أسلفنا تخصص رودلف فى

صناعة الصواريخ ، وفى نفس الوقت انتقلت عملية إنتاج صواريخ V2 من سيطرة مكتب الأوامر إلى يد شركة أنشئت مؤخراً فى برلين يوم ٢١ سبتمبر ١٩٤٣ باسم Mittelwerk gmbH بناء على قرار تمخض عنه اجتماع برئاسة سبير ومشاركة كل من ديجنكولب وكوتز وأيضاً حضر هذا الاجتماع البروفسيور هتلاج Hettlage المشرف على التمويل والشئون المالية وكاملر ممثلاً لوحدة البوليس الخاصة وفرانز وهلينج Franz Wehling مدير شركة ويفو المالكة لأنفاق دورا وأنشىء صندوق التسلح فى ٤ مايو ١٩٤٢ برأس المال اللازم لإدارة مصنع الصواريخ الجديد. وتولى هذا الصندوق توزيع الصلب والمعادن الخالية من شوائب الحديد. وكان لهذا التنظيم مكاتب فى البلاد التى تحتلها القوات النازية بوجه عام وفرنسا بوجه خاص، وكذلك حضر هذا الاجتماع كيرت كتلر Kurt Kottler مدير مصنع بورسيج لإنتاج القاطرات فى بلدة هنجسدروف Hennigsorf بالقرب من برلين . وكانت مكاتب مصنع ميتلويرك تشغل مبانى دير قديم تحول إلى ممارسة الأنشطة العلمانية فى القرن السادس عشر ، وتولى إدارة هذا المصنع كل من ساواتزكى وأوتوفورشنر Otto Forschner قائد معسكر دورا ومسئول الأمن فيه .

وفى ١ أكتوبر ١٩٤٣ وضع ساواتزكى خطة إنشاء مصنع صواريخ تحت سطح الأرض تزيد مساحته على مليون قدم مربع، وكان يفترض أن تصل عمالة هذا المصنع إلى ١٨ ألف شخص يتكونون من ألفى مدنى ألمانى وستة عشر ألف سجين من جميع الجنسيات، وقبل الغارة المدمرة التى شنها الحلفاء على قاعدة بينيموند كانت هناك ثلاثة مواقع مرشحة لتجميع صواريخ V2 وهذه المواقع الثلاثة هى قاعدة بينيموند التى وقع عليها الاختيار بالفعل وفرايد رشهافن Friedrichshafen وموقع فينر ستادت الذى تم استبعاده فى نوفمبر ١٩٤٣ أى بعد القصف الذى دمر قاعدة بينيموند ، كما تم نقل المعدات والعاملين فى قاعدة بينيموند سواء أكانوا من الألمان أو السجناء إلى معسكر دورا ، وهكذا تركزت عملية تجـــميع الصاروخ V2 فى الأنفاق المحفورة فى معسكر دورا .

تناثر المواقع وبعثرتها :

لم يكن نقل مصنع إنتاج الصواريخ النتيجة الوحيدة الناجمة عن قصف قاعدة بينيموند بل إن هذه القاعدة تفتتت إلى وحدات متنوعة تبحث عن مواقع جديدة لها. ولحق دمار عظيم فى مناطق بينيموند الآهلة بالسكان ، كما أن المنشآت الصناعية أصابها عطب كان دورنبرجر يأمل فى إصلاحه ولا يزال التاريخ يحتفظ لنا بشهادة أدلى بها مؤخراً فى عام ١٩٨٩ سجين كهربائى فرنسى اسمه روجر برثيرو Roger Berthe-reau تناول فيها مدى الدمار الذى ألحقته غارة الحلفاء على محطات الكهرباء . ويعترف هذا الكهربائى بأنه اشترك مع بعض زملائه فى تخريب هذه المحطات وزيادة تحطيمها .

ورغم قصف قاعدة بينيموند فإن وحدة تطوير الصواريخ هناك تحت رئاسة فيرنر فون براون لم تبرح مكانها حتى إخلاء المعسكر فى فبراير ١٩٤٥ . والجدير بالذكر أن السلطات النازية كانت قد قررت فى أكتوبر ١٩٤٣ نقل هذه الوحدة فى أوائل عام ١٩٤٤ إلى منطقة إبنسى فى أعالى النمسا على الشاطىء الجنوبى لبحيرة ترونسى Traunsee فى مجمع تحت الأرض كان من المزمع حفره، وقد حضر سجناء من معسكر ماثاوزن إلى الموقع الجديد فى ١٨ نوفمبر ١٩٤٣ لبدء عمليات الحفر التى استمرت حتى أبريل ١٩٤٥ ، وانتهز فون براون فرصة العوائق الكثيرة التى اعترضت عمليات الحفر للاستمرار فى البقاء فى قاعدة بينيموند التى تحولت إلى قاعدة عسكرية بعد أن كانت قاعدة صواريخ .

وفى سبتمبر ١٩٤٣ قام الجنرال فروم بنقل رئيس قاعدة بينيموند وأسند إليه مهمة إنشاء وحدة تدريب متخصصة فى إطلاق الصواريخ ، واتخذ دورنبرجر من موقع شويدت Schwedt على نهر الأودر Oder مركزاً لقيادته ، واستمر تعاونه مع فون براون سهلاً وميسوراً قبل نقله واستبدال زانسن Zsnssen به .

وإلى جانب نقل موقع مصنع إنتاج الصواريخ تم نقل مكان إجراء التجارب عليها. فبعد أن كانت صواريخ V2 تنطلق من قاعدة بينيموند إلى الشرق فى اتجاه البلطيق

تقرر إطلاقها فى إتجاه الشمال من بليزنا Blizna التى كانت فى السابق مكاناً للمدفعية البولندية استولت عليه وحدة البوليس الخاصة . وهو يقع على بعد تسعين ميلاً شمال شرق كراكو Krakow قرب التقاء نهر الفيستولا بنهر السان أطلقت عليه وحدة البوليس الخاصة اسم هايدلاجر Heidelager . وتقرر أن تسير الخطة على النحو التالى: يتم تصميم الصاروخ فى وحدة التطوير التى بقيت فى قاعدة بينيموند لحين نقله إلى إبنسى، وفى ورش ميتلورك فى نفق دورا يتم تجميع الصاروخ وإرساله إلى بليزنا لتجربته ، فإذا تبين أن الصاروخ يحتاج إلى تعديل تتم إعادته إلى قاعدة بينيموند لدراسة ما فيه من عيوب لإصلاحها فى مجمع ميتلورك ثم إعادته إلى بليزنا لتجربته مرة أخرى ، ولكن هذا النظام كان نظرياً ولم يطبق من الناحية العملية حتى نهاية عام ١٩٤٣ ، والواقع أن الخبراء الألمان لم ينتجوا صاروخاً واحداً فى الفترة الواقعة فى أغسطس ١٩٤٣ حتى يناير ١٩٤٤ ، وأيضاً بقيت فى قاعدة بينيموند الصواريخ الثمانية التى سبق صنعها فى أوائل أغسطس ١٩٤٣ ، وأمضى سجناء دورا أربعة أشهر مروعة لإنشاء الصواريخ طراز V2 فى الأنفاق تحت سطح الأرض كما تقرر فى أواخر عام ١٩٤٣ نقل ما يعرف بنفق رودلف هيرمان إلى كوشيل Kochel على حافة جبال الألب جنوب ميونيخ ، ولكن العمل لم يبدأ فى هذا النفق إلا فى أكتوبر ١٩٤٤ .

وسارع النازيون بإقامة مركزين لوضع محركات صواريخ V2 موضع الاختبار فى موقعين هما لهستن Lehesten وردى زيبف Redi-Zipf ففى منطقة لهستر تم تخصيص محجر صلصال على حدود ثورنجيا وبارفاريا جنوب سالفلد Saalfeld لهذا الغرض . كما صدرت الأوامر إلى سجناء معسكرات الاعتقال بالحفر فى تل ردى زيبف فى أعالى النمسا شمال شرق سالزبورج ، وتم افتتاح موقع العمل فى ردى زيبف الذى شيده سجناء ماثاوزن شرق سالزبورج كما تم افتتاح موقع العمل فى ردى زيبف الذى شيده سجناء معسكر ماثاون فى ٤ أكتوبر ١٩٤٣ . أما موقع ليهستن فقد أقامه سجناء معسكر بوخنوالد وتم افتتاحه فى نفس الوقت ، وكانت صناعة صواريخ طراز V2 فى كل من دورا ولهستن وإبنسى وريدل زيبف تعتمد اعتماداً كاملاً على عمالة معسكرات الاعتقال النازية .

عنابر وورش وزرنيس Wizernes

قام دورنبرجر يوم ٤ أكتوبر ١٩٤٣ بزيارة هتلر ليشرح له وجهة نظره فى اختيار مواقع صنع الصواريخ ، ولكن هتلر الذى ضرب عرض الحائط بمشورته أمر بتشييد مبنى جديد للعنابر والورش فى وزرنيس جنوب مدينة سانت أومر Saint-Omer فى شمال فرنسا كى يحل محل موقع إبرليك EperLecques الذى تعرض لقصف قوات الحلفاء يوم ٧ سبتمبر ١٩٤٣ وكان الموقع الجديد على بعد اثنى عشر ميلاً من الموقع القديم وقريبًا من خط سكة حديد سانت أومر بولونى ويمكن الحفر فيه لإنشاء أنفاق طولها أربعة أميال ونصف ويمكن تخزين عدد ضخم من صواريخ V2 فيها تمهيدًا لإطلاقها، ولحماية الموقع من قنابل الحلفاء قام النازيون ببناء قبة هائلة الحجم من الخرسانة المسلحة فوق الجزء الرئيسى منه سمكها ١٦ قدمًا ومحيطها ٢٣٤ قدمًا ، وكانت هذه الكتلة الخرسانية الهائلة تزن خمسين ألف طن . وأوكلت منظمة TODT مهمة تشييدها إلى شركة كبيرة هى شركة راينلاند .

الالتزام بالسرية :

حفاظًا على السرية لجأ النازيون إلى تغيير أسماء المواقع القديمة واستبدال أسماء جديدة بها مثل تغيير اسم قاعدة بينيموند إلى قاعدة كارلشاجن Karlshagen وابتداء من أغسطس عام ١٩٤٣ أصبح إجراء مثل هذه التغييرات منتظمًا ، فمعسكر ليهستن كان يشار إليه باسم Laura . كما أن معسكر دورا نفسه لم يكن معروفًا بهذا الاسم فى بادىء الأمر، والجدير بالذكر أن معسكرى دورا ولورا اعتمدا فى عمالتهما على معسكر بوخنوالد. أما مواقع العمل فى أعالى النمسا والتى أقامها سجناء معسكر ماثاوزن فأصبحت تحمل أسماء بعض المواد المعدنية . فعلى سبيل المثال أطلق اسم الأسمنت على معسكر إبنسى واسم الصخرة على معسكر ريدل زيبف وفى بعض الأحيان كانت أسماء الحيوانات تستبدل بأسماء المواقع ، ففى

سبتمبر ١٩٤٣ أطلق اسم الجدى على إحدى وحدات قاعدة البينيموند ، وإمعاناً فى التمويه زعم ساوتزكى أنه أعد أول خطة خاصة بصنع الصواريخ يوم ١ أكتوبر ١٩٤٣ فى موقع أسماه هامر سفلد Hammersfeld وهو مكان من نسج خياله وليس له أى وجود فى الواقع .

ولكن النازيين مالبثوا أن تخلوا عن هذا الاسم الخيالى ، وأيضًا بغرض التمويه كان عنوان مراسلات معسكر دورا هو البلوك رقم ١٧ فى معسكر بوخنوالد . ثم تغير هذا العنوان إلى سانجر هاوزن Sangerhausen وهو اسم مدينة تبعد نحو ثلاثين ميلاً إلى الشرق من نورد هاوسن .

الأشهر التسعة الأولى فى دورا :

لم يتوقف ترحيل أفواج السجناء من معسكر بوخنوالد إلى معسكر دورا منذ سبتمبر ١٩٤٣ حتى مارس ١٩٤٤، وكان الفوج المرحل فى ١١ فبراير ١٩٤٤ يشمل عددًا كبيرًا من السجناء الفرنسيين القادمين من كومبيين ، وفى نهاية الأمر أصبح هدف النازيين الحصول على العدد المطلوب من العمال الذين تحتاج إليهم ميلتويرك ، ولكن تعين قبل ذلك تسخير أعداد هائلة من السجناء فى تجهيز الموقع وإقامة مصنع الصواريخ فيه، الأمر الذى أدى إلى سقوط عدد كبير من الضحايا بينهم تم نقل جثثهم لحرقها فى محرقة معسكر بوخنوالد .

وبحلول شهر فبراير ١٩٤٤ التحق السجناء فور وصولهم بالعمل فى العنابر المحفورة تحت سطح الأرض وتشييد أماكن الإيواء اللازمة ، ولكن أولوية التشييد كانت لإنشاء المصنع وتجهيزه وليس للإيواء ، ولهذا السبب تأجلت إقامة المعسكر الخارجى ، ولم يتم إيواء السجناء العاملين خارج المعسكر إلا فى يناير ١٩٤٤ فى مساكن خارج الأنفاق فى حين ظل آخرون يسكنون داخل هذه الأنفاق حتى شهرى أبريل ومايو ١٩٤٤ . وفى شهر مايو خرجت آخر دفعة من السجناء العاملين فى قطاع الكهرباء فى معسكر

AEg عن الإنفاق وكان بينهم ليون برونشارت Leon Bronchart وصديقه جورج أرجو Georges Argoux الذى جاء فى سبتمبر ١٩٤٣ حيث استمرت معيشتهم تحت سطح الأرض تسعة أشهر كاملة .

وعانى جميع السجناء من اكتظاظ البلوكات وسوء الأحوال الصحية والغريب أن عنابر نومهم كانت تقع فى قلب موقع العمل بكل ما يثيره من ضجيج وغبار. ولاستكمال حفر النفق (أ) تعين إخلاء أنفاق وعنابر كوهنشتين من البضائع التى تخزنها شركة ويفر هناك واستمرت عمليات إعادة الحفر ووضع الخرسانة المسلحة وتركيب الشبكات الكهربائية والآلات والورش . ونتيجة لهذا عاشت الفوضى وضربت بأطنابها فى كل مكان ، ويبدو أن السجناء العاملين خارج الأنفاق فى شق الطرق ومد خطوط السكك الحديدية لم يكونوا أفضل حالاً من زملائهم العاملين داخل الأنفاق فهم يخوضون فى الطين ويعانون من شدة البرودة وعلى أية حال ظل هؤلاء العاملون خارج الأنفاق لمدة شهور يعودون إليها للمبيت فيها .

لم يبدأ مصنع صواريخ V2 المقام تحت الأرض فى إنتاجها لتجربتها فى بليزنا إلا فى عام ١٩٤٤ ، كما أن المصنع لم يكتمل بناؤه إلا فى شهرى مارس وأبريل من هذا العام، وباستكمال الأنفاق والعنابر تحت الأرض أمكن للسجناء مغادرة عنابر النوم المحفورة تحت الأرض للمبيت فى بلوكات مقامة فوق سطح الأرض ، والجدير بالذكر أن أفواج السجناء التى قام معسكر بوخنوالد بترحيلها إلى دورا فى مارس ١٩٤٤ للعمل هناك كانت محظوظة لأنها لم تنم داخل الأنفاق المحفورة تحت الأرض .

تعاقب الأفواج المرحلة من معسكر بوخنوالد إلى معسكر دورا:

كانت أفواج السجناء القادمة من معسكر بوخنوالد إلى معسكر دورا تتكون أساساً من السجناء المحتجزين فى الحجر الصحى بنفس ترتيب وصولها إلى بوخنوالد

ويمكن تتبع الزيادة المطردة فى هذه الأفواج المرحلة بالنسبة للسجناء الفرنسيين والسجناء من الجنسيات الأخرى المقبوض عليهم فى الأراضى الفرنسية ، ونفس الشىء ينطبق على الأفواج القادمة من أوكرانيا ، ولكن هناك بوجه عام صعوبة فى استقاء المعلومات والبيانات وكان الفوج الأول الذى وصل إلى معسكر بوخنوالد من كومبين فى ٢٧ يونيه ١٩٤٣ يضم ألف سجين ليصبح عدد السجناء المرحلين ١٤ ألف مرحل، ويذكر أن مجموعة منهم وصلت إلى قاعدة بينيموند / كارلشاجن فى ١١ يوليه ١٩٤٣ ولكن آخرين ظلوا فى معسكر بوخنوالد انتظاراً لترحيل جانب منهم إلى دورا فى بداية شهر سبتمبر .

ثم جاء إلى بوخنوالد فى ٤ سبتمبر ٩٤٣ فوج ثان من السجناء قوامه تسعمائة سجين ، وبهذا الفوج وصل رقم السجناء إلى مسلسل العشرين ألف تقريبًا غادر عدد كبير منهم إلى معسكر دورا يوم ٢٨ سبتمبر و ٢٩ سبتمبر من نفس العام ، والجدير بالذكر أن الفوج المكون من ألف سجين والذى وصل يوم ١٨ سبتمبر ١٩٤٣ إلى بوخنوالد رفع مسلسل أرقام السجناء إلى ٢١ ألف غير أن الكثيرين منهم وصلوا يوم ١٣ أكتوبر إلى دورا، وتدل سجلات معسكر بوخنوالد على وصول فوج مكون من ٦١ سجينًا إليه قادمين من معسكر ساشسنهاوزن يوم ٢٠ سبتمبر من العام المذكور تم ترحيلهم على الفور إلى معسكر دورا، وكانت هذه المجموعة الأخيرة تضم ستين من عمال المناجم جاءوا من باس دى كاليه Pas-de-Calais ومن بلدة هنيو Huy من بلجيكا ومن ليون برونخارت لتصل أرقامهم إلى مسلسل ٢١٩٨٣ فى حين زادت أرقام الآخرين على ٢٢ ألف ثم إلى مسلسل ٢٨ ألف ، وتم إرسال المجموعتين فوراً إلى معسكر دورا، ولكن بعض السجناء الفرنسيين المرحلين مثل لويس جيرارد Lauis Girard ومارسيل بايلون Marcel Baillon وجورج فيرندو Geores Virondeau لم يأتوا إلى دورا من كومبيين بل جاءوا من سجون مختلفة فى كل من فرنسا وألمانيا وفى البداية كان الفوج القادم من كومبيين فى ٣٠ أكتوبر ١٩٤٣ يتكون من ألف مرحل مات منهم تسعة وثمانون ، وبطبيعة الحال لم يكن عدد الوفيات بين الأفواج المرحلة ثابتًا، فقد اختلف من فوج إلى آخر، وقد تراوح عدد السجناء المرحلين إلى دورا فى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٣ بين

ثلاثين وواحد وثلاثين ألف سجين ، وفي نفس اليوم وصل إلى بوخنوالد فوج قادم من معسكر ماثاوزن ، ولكن هذا الفوج الذى جاء أصلاً من معسكر فينر نيوستادت تم نقله إلى معسكر دورا يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ ، وبذلك زاد عدد سجناء دورا على ٣١٥٠٠ سجين وعندما وصل الفوج القادم من كومبين والمكون من ألف مرحل يوم ١٦ ديسمبر ١٩٤٣ كان العدد قد وصل إلى نحو ٣٨ ألف سجين ولكن الجزء الأخير من هذا العدد- وهو من منطقة الألزاس واللورين جاء من معسكر ناتزويلر Natzweiler (أو ستروتهوف Struthof) وتم نقلهم إلى معسكر دورا فى ديسمبر ١٩٤٣ ثم لحق بهم عدد آخر فى يناير ١٩٤٤ .

وفي يناير ١٩٤٤ ألقى القبض على ٥٦٠٠ فرنسى وأجنبى ممن يعيشون على الأراضى الفرنسية فى عملية تعرف باسم "زبد البحر" ، وتم ترحيلهم فى ثلاثة أفواج إلى بوخنوالد فى ١٩ و ٢٤ و ٢٩ يناير ١٩٤٤ ، وبعد ذلك ارتفع عدد السجناء المرحلين إلى دورا من ٣٩٤٠٠ سجين إلى ٤٤ ألف سجين وقد وصل أول فوجين من المرحلين إلى معسكر دورا فى عدة مجموعات فى فبراير ١٩٤٤ ليلتحقوا فوراً بالعمل داخل الأنفاق المحفورة تحت الأرض ، أما الفوج الثانى الذى وصل فى مارس ١٩٤٤ فقد بقى فى هذا المعسكر والجدير بالذكر أن بعض السجناء الفرنسيين ظلوا فترة فى معسكر بوخنوالد قبل إرسالهم إلى معسكر دورا مثل أندريه جويشارد Andre Guichard الذى يحمل رقم سجين ١٤٨٩٠ والذى وصل فى ديسمبر ١٩٤٣ ، وجى راءول ديفال Guy Raoul-Duval الذى وصل فى يناير ١٩٤٤ حاملاً رقم سجين ٢١٦٩٣ ، وخلال هذه الفترة استمر المرحلون الفرنسيون فى الوصول إلى دورا، ويعرف الباحثون ما جرى لهؤلاء الفرنسيين أكثر مما يعرفون عن الجنسيات الأخرى ، وعلى أية حال فمن المعروف أن السجناء اليوغسلافيين الذين يحملون أرقام سجن مسلسل ٣٢٠٠٠ وصلوا إلى معسكر دورار فرادى قادمين من إيطاليا فى نهاية أكتوبر ١٩٤٣ ، وكذلك وصل إليه فى منتصف ١٩٤٣ بولنديون كثيرون يحملون أرقام المسلسل ٣٣ ألف و ٣٤ ألف .

أفواج مرحلة من قاعدة بينيموند وفينر نيو ستادت وساشنسنهاوزن:

كانت أحوال السجناء المرحلين من معسكر بوخنوالد إلى قاعدة بينيموند الجوية محتملة قبل قصف قوات الحلفاء لها فى ١٨ أغسطس ١٩٤٣ ، ونجم عن القصف تغيران مهمان فى هذا المعسكر أولهما أن العناصر الإجرامية الألمانية استولت على مقاليد الأمور فى هذا المعسكر، وعلى رأسهم مجرم عتيد يدعى ميشكا Mischka ويتمثل التغيير الثانى فى اكتظاظ أماكن إيواء السجناء بسبب تدمير عنابر النوم، وقد أفرد السجين ميشيل فليكس Michel Fliecx جانباً من مذكراته لوصف الفوضى التى عاثت بالقاعدة الجوية فى بينيموند بعد تدميرها بالقنابل وفى نهاية الأمر تم إرسال جميع سجناء هذه القاعدة إلى بوخنوالد ثم إلى أنفاق دورا .

ونظراً لما تعرض له معسكر نيو ستادت من أخطار الغارات التى وقعت أحدثها فى ٢ نوفمبر ١٩٤٣ تقرر وقف عجلة الإنتاج فيه وتم إجلاء الموقع فى ١٧ نوفمبر ١٩٤٣ كما تم نقل بعض المواد والمعدات والمدنيين والسجناء إلى أنفاق دورا للعمل فيها، ويبدو أن بقية السجناء تم إرسالهم للعمل فى معسكر ريدل زبيف الذى افتتح بقدوم فوج من السجناء من معسكر ماثاوزن ، والجدير بالذكر أن عمال المناجم الذين وصلوا من معسكر ساشيسنهاوزن فى فوج خاص كلفوا بمهمة الانتهاء من حفر النفق (أ) فى كوهنشتين .

جحيم الحياة داخل الأنفاق:

لم يكن هناك فى شمال كوهنشتين الواقعة فى وادى زورج Zorge أى مكان لتركيبات ومنشآت ضخمة جديدة ، ولكن الأمر اختلف فى جنوب كوهنشتين حيث أمكن إنشاء مستودع لتخزين البضائع إلى جانب بناء معسكر لوحدة البوليس الخاصة ، ومعسكر اعتقال فى الوادى الصغير .

وفى سبتمبر عام ١٩٤٣ أقيم بالقرب من مخرج النفق الجنوبى هيكل مبدئى للمعسكر المزمع إنشاؤه إلى جانب إقامة بعض الخيام العسكرية لإيواء رجال وحدة

البوليس الخاصة، ولم يكن هناك أى سبيل آخر للوصول إلى هذا الهيكل المبدئى نظراً لعدم الانتهاء من حفر النفق (أ) ، وما إن وقعت أبصار السجناء على النفق حتى أصابهم الهم والغم والكرب العظيم فقد تعين عليهم أن يدلفوا إليه عن طريق باب خشبى ضخم ليتلقفهم ظلام النفق الدامس ، وكان الداخل إليه يتعثر فى أكوام الرمال والكابلات والعوارض الخشبية المبعثرة على الأرض ، يقول أحد شهود العيان إن الماء كان يتسرب من الصخور مكوناً بركًا آسنة وبسبب تسرب الماء صارت أرضية النفق لزجة مما جعل السجناء اللابسين أحذية خشبية يتزحلقون وترجع شهادة شهود العيان جيرى بينيس Jiri Benes وليون بروتشارت وجين ميالت Jean Mialet إلى سبتمبر/ أكتوبر عام ١٩٤٣ ، يقول هؤلاء الشهود إنهم وجدوا كومة من المراتب نصف المحشوة بالقش فأخذو واحدة وحاولوا أن يمدوا أجسامهم عليها فى القاعة رقم ٣٩ ولكنهم وجدوا أنفسهم يرقدون فى الماء كما وجدوا أطراف الصخور المدببة تصيبهم بالكدمات .

ننتقل إلى الحديث عن "النفق" و"عنابر النوم" فنقول إنه تم تحويل القاعات أرقام (٤٣) و(٤٤) و(٤٥) و(٤٦) إلى عنابر نوم ، ويذكر لنا السجينان إميل نيروت Emile Nerot وجين رييج Jean Rieg أنهما اشتركا فى نقل المراتب القش إلى داخل النفق واستمر إعداد السجناء لهذه المراتب القش والنوم عليها لأكثر من سبعة أشهر حتى مايو ١٩٤٤، وكانت هذه القاعات الأربع المخصصة للنوم تقع على اليمين فى نهاية النفق رقم (أ) وذلك بعد الانتهاء من حفره مباشرة ، وخصصت هذه العنابر لإيواء السجناء فى حين خصصت العنابر الأخرى السابقة الذكر لمبانى المصنع وبعد الاستغناء عن عنابر النوم فى صيف ١٩٤٤ استخدمت لصناعة الصواريخ طراز V1 التى أنتجتها مصانع فولكس واجن فى فالنسلبن Fallensleben وعلى عكس بقية القاعات كانت عنابر مصنع فوكس إيجن لا تؤدى إلى النفق حيث إن الطريق كان مسدوداً ويخلو من التهوية، وكان مكان الحفر يقع بعد مدخل القاعة ٤٦ ، واستمر الحفر يومياً لمدة أربعة وعشرين ساعة فى ورديتين كل منهما يستغرق اثنتى عشرة ساعة، وبمعنى آخر كانت عنابر النوم ملاصقة لمواقع الحفر وما يثيره من غبار وأتربة

وضجيج طرق المطارق وتفجير المتفجرات وجلبة العربات المتحركة المليئة بالحجارة . وحتى تم إجلاء عنابر النوم من شاغليها كان الحفر لا يزال مستمرًا .

وفى تلك الفترة لم يكن هناك ماء جار فى النفق، صحيح أنه كانت هناك مواسير لنقل الماء ولكن الماء فيها كان لا يصلح للشرب بل لعجن الخرسانة فقط، ولهذا استحال الاستحمام على السجناء ، وهدى التفكير النازيين إلى تخصيص فرقة من السجناء مهمتها قطع البراميل مناصفة لاستخدامها كجرادل لقضاء الحاجة ودفن البراز فى حفر خارج النفق والقيام بتنظيف مراحيض وحدة البوليس الخاصة، وبطبيعة الحال كانت هذه المهمة كريهة وتعرض القائم بها لعدوى التيفوس والدوزنتاريا ، وقد التحق السجين بينيس بهذا العمل المقيت لفترة ما .

وفى الربع الأول من عام ١٩٤٤ تراوح إجمالى عدد السجناء العاملين فى معسكر دورا بين أحد عشر ألفًا وخمسمائة واثنى عشر ألفًا عاش مالا يقل عن عشرة آلاف منهم فى النفق. ومعنى ذلك أن نحو خمسة آلاف سجين عاشوا بصفة دائمة فى عنابر النوم الأربعة ، غير أن شركة ويفو أصدرت يوم ٣١ ديسمبر ١٩٤٣ تقريرًا يتضمن معلومات مغلوطة تشير إلى إيواء خمسة آلاف وخمسمائة سجين فى ثكنات المعسكر ، ويعتبر بورثمان مسئولاً عن إشاعة هذه المعلومات المغلوطة ، التى اعتمد عليها نيوفلد Neufeld فى تقديراته. وقد بلغت مساحة عنابر النوم أربعمائة قدم طولاً وأربعين قدمًا عرضًا وثلاثين قدمًا ارتفاعًا. وفى هذه المساحة الخانقة المعتمة والمكتظة بالسجناء أخذ القمل ينتشر فى مراتب نومهم وفى ملابسهم ، وكانت قدرة هذا القمل على التكاثر والانتشار تفوق قدرة السجناء على سحقه .

حملة تطهير السجناء من القمل فى ٢٩ فبراير ١٩٤٤ :

بدأ القمل فى الانتشار والانتقال من السجناء إلى وحدة البوليس الخاصة والمدنيين الألمان أنفسهم ، وخشيت السلطات النازية من انتشار وباء التيفوس على نطاق واسع،

الأمـر الذى جـعلهـا تقـوم بحـملة تنظيف وتطـهيـر عـامـة يوم ٢٩ فـبـراير ١٩٤٤ ، واستمرت هذه الحملة عدة أيام وليال. وتم تطهير العشرة آلاف سجين الذين يعيشون فى النفق . وقـد ترك لنا السـجين شـارلس سـادرون Charles Sadron الذى وصل مؤخرًا إلى معسكر دورا وصفًا مفصلاً لحملة النظافة هذه وكيف أن جسمه امتلأ بالقمل والحشرات، وكان السجناء يتطهرون وهم عراة كما ولدتهم أماتهم بعد أن يتولى الحلاق حلق كل جزء من أجسامهم من قمة الرأس حتى أخمص القدم فى البرد القارص ، وفى طريقهم إلى الحمامات كان السجناء يخلعون ملابسهم ويضعون قمصانهم فى كومة على اليمين ويضعون سراويلهم فى كومة على الشمال ثم يصطفون فى طابور فى حجرات الاستحمام بالدشات وهم يحملون أحذيتهم فى أيديهم . وكان على يمين مدخل غرفة الاستحمام حوض كبير مبنى من الأسمنت يصل إليه السجين عن طريق الصعود إلى عتبة مكونة من ثلاث درجات، ولم يكن ماء هذا الحوض نظيفًا على الإطلاق فقد تراكمت فيه قاذورات مئات السجناء المستحمين من قبل وبذلك تأكد تلوثه ، وكان هناك مشرف يتلخص عمله فى التأكد من أن كل سجين غمس كل جسمه ورأسه فى هذا الماء الملوث، وبعد هذه المرحلة من الاغتسال تجمهر المغتسلون تحت دش ينزل منه ماء ساخن على رءوسهم فينعشهم رغم احمرار جلدهم من شدة الدعك ورغم ما ينتشر فيه من حشرات وقروح، ثم يدخل السجناء المغتسلون غرفة مجاورة لاستعادة ملابسهم بعد تطهيرها وأجسامهم لا تزال مبتلة بالماء المتساقط لتستقبلهم فى ظلمة الليل ريح صرصر عاتية مما عرضهم بطبيعة الحال للإصابات بالالتهابات الرئوية، وكان أحد رجال وحدة البوليس الخاصة يهوى بعصاه على السجناء الذين يرى أنهم يتأخرون فى ارتداء ملابسهم ، وفى وسط هذا الهرج والمرج كان السجين يرتدى أية ملابس يجدها أمامه سواء أكانت على مقاسه أم لا، وأحيانًا كان السجين السيء الحظ يلبس فى عجلته الملابس الداخلية الخاصة بإنسان من الواضح من اتساخها بالبراز أنه يعانى من الدوزنتاريا . وأخيرًا اقتادهم الكابو وأجسامهم وملابسهم لا تزال مبتلة إلى فراش واضح البلل والرطوبة .

الجوع ووجبات الطعام والطرود:

عانى سجناء دورا كثيراً فى الأشهر الأولى من شدة الجوع كما ظلوا يعانون منه فى الأشهر الأخيرة . وكتب السجين مارسيل بيريل Marcel Pierrel يصف أثر الجوع فيه وفى بقية زملائه من السجناء ، وأيضًا تناول السجين ماكس دوتيليه Max Dutillieu أثره وكيف يتلوى المرء منه لبضع ساعات حتى يعتاد عليه ، ورغم ذلك فهو قمين . بإنهاك الجائع وتبديد قواه حتى يفتك به فى نهاية الأمر ، وكان بعض سجناء وسجينات دورا يحلمون بالموائد العامرة بالطعام الوفير وأنواعه الشهية كي ينسوا واقعهم المر .

كانت حصة السجين من الطعام تتكون من سلطانية شوربة وقطعة خبز ولحسة مادجارين وقطعة جبن قريش أو ملعقةِ مربى أو قطعة صغيرة من السجق، كان بعض السجناء يفضلون الاحتفاظ بقطعة الخبز للاستمتاع بأكلها فى صبيحة اليوم التالى فإذا بسجين آخر يسطو عليها أثناء استغراق صاحبها فى النوم ليلاً، وبطبيعة الحال كانت سرقة الخبز إحدى المشكلات الكأداء التى واجهها سجناء دورا وغيره من معسكرات الاعتقال الأخرى، وكان توزيع الطعام على سجناء دورا العاملين فى الأنفاق عملاً شاقًا، ويقول لنا أوتاكر ليتوميسكى Litomsky – وهو سجين تشيكى – بمزيد من الفخر كيف أنه نجح فى تنظيم عملية توزيع الطعام فقد أقام طاولة للتوزيع فيها نافذة يتسلم السجين من خلالها وجبته بعد التأكد من رقمه الدال على هويته ويضيف هذا التشيكى أن البلوكات الأخرى فشلت فى توزيع حصص الطعام ، الأمر الذى اضطرها إلى الاستعانة بوحدة البوليس الخاصة .

ويروى لنا فيلكس Fliecx أن الخبز كان يعبأ فى أجولة كل جوال منها يحتوى على مائتى رغيف، واصطف السجناء العاملون فى دورا تحت الأرض فى طابور طويل داخل الأنفاق تحت إشراف رجل يلبس قفاز الملاكمة فى يده ليهوى به على أى سجين يحاول الإخلال بالنظام والاقتراب أكثر من اللازم من نقطة التوزيع وكان التيار الكهربائى كثيراً ما يصيبه الخلل ومع انقطاعه عاثت الفوضى فى الأنفاق وعلت الصيحات وداس الواقفون فى الطابور بعضهم بعضًا ، ومع عودة التيار الكهربائى يكتشف الموزع فتح جوال الخبز واختفاء كل محتوياته أحيانًا .

وكان السجناء العاملون فى الأنفاق يتلقون طروداً من الطعام تعرضت للفساد بسبب الرطوبة، ونظراً لانتشار السرقة لجأ السجناء إلى الاحتفاظ بحصتهم من الخبز والطعام تحت رءوسهم عند النوم، ويبدو أن معظم السارقين كانوا من العصابات المكونة من الشباب الأوكرانى ويشهد السجينان الفرنسيان جاكوب وفيلكس أن السجناء أغاروا على العربات التى تنقل الطعام قبل وصولها إلى المطابخ ، ولم يكن العمل فى أنفاق دورا مقبضاً ومضنياً وحسب بل تسبب فى وفاة الكثير من العاملين.

مخزن شركة ويفو للبضائع والمنتجات يتحول إلى مصنع ميتلويرك:

بعد ١٨ أغسطس ١٩٤٣ اضطرت مخازن شركة ويفو إلى التخلص من منشآتها الموجودة تحت الأرض فى كوهنشتين من أجل إقامة مصنع لإنتاج صواريخ V2 ونشأت مشكلة اختيار الشخص المناسب للقيام بهذه المهمة بعد قصف الحلفاء لقاعدة بينيموند وكذلك قصف معسكر تراسنهايد الذى يأوى العمال الروس والبولنديين، وخاصة بعد أن تقرر بشكل مؤكد إلحاق سجناء معسكرات الاعتقال وبعض المدنيين الألمان بالعمل فى أنفاق دورا . وتولت وزارة التسلح الألمانية تكليف شركة ويفو التى كانت تربطها علاقات بالمقاولين وتحتفظ ببعض المعدات فى الموقع بتخصيص عنابر كوهنشتين لإقامة مصنع ميتلورك .

وطبقًا للعقد الموقع فى ٥ سبتمبر ١٩٤٣ أصبحت شركة ويفو مسئولة عن تنفيذ برنامج إنجاز المرحلة الثالثة من حفر إنفاق كوهنشتين ، وأيضًا امتد هذا البرنامج ليشتمل على بناء المصنع والمكاتب التى يديرها ساوتزكى إلى جانب ثكنات وحدة البوليس الخاصة، فضلاً عن إنشاء معسكر اعتقال يعرف بمعسكر استراحة السجناء ، والجدير بالذكر أن ثكنات وحدة البوليس الخاصة ومعسكر الاعتقال المشار إليه وإدارة المصنع كانت تشكل كلاً واحداً لا يمكن تقسيمه أو تجزئته وهكذا عاش المدنيون الألمان وعدة عساكر والسجناء ورجال وحدة البوليس الخاصة فى نفس المكان .

وفى أواخر أغسطس ١٩٤٣ ألحقت شركة ويفو بالعمل عدداً آخر من العمال الأجانب الذين يحتفظون بأوراق عمل قانونية ، وكان هؤلاء العمال ينتمون إلى جنسيات مختلفة فمنهم فرنسيون وتشيكيون بالإضافة إلى ثلاثة بلجيكيين ، وفى أكتوبر ١٩٤٣ اشتغل هؤلاء العمال فى الجزء الشمالى من النفق ولكن سمح لهم بالتحرك بحرية خارجه بعد الانتهاء من أعمالهم ، وفى نهاية شهر أكتوبر ألقى النازيون القبض عليهم لأسباب أمنية وألبسوهم زى السجن وعليه مثلث أبيض يحمل حرف W وكوّن هؤلاء السجناء معسكراً مصغراً خاصاً بهم .

إخلاء مستودع الوقود التابع لمعسكر ويفو:

كان لابد من إخلاء مستودع الوقود حتى يمكن إقامة المصنع داخل الأنفاق ، وكانت العنابر المحفورة مستديرة الشكل حتى يمكن تركيب خزانات الوقود الأسطوانية الضخمة فيها والتى قام بعض السجناء بتفريغها ويبدو أن النازيين قاموا بنقل الوقود من عنابر دورا إلى بوهيميا – مورافيا وأيضاً كانت هناك خزانات مليئة بالجازولين ويروى لنا ميااليت Mialet عملية نقل هذه الخزانات وشحنها فى عربات السكة الحديد للبضائع تحت إشراف رجل ألمانى مدنى، والجدير بالذكر أن براميل الجازولين الفارغة كانت تصلح بعد قطعها إلى جزأين لاستخدام السجناء لها كمراحيض ويشير الشاهدان بورنمان ونوفيلد إلى وجود مخزون من الغازات السامة وهو ما يدحضه نياندر Nearnder ويشير بينيس Benes ودميوتر Demuyter ودوتيليه Dutillieux ومارتن Martin إلى وجود منتجات نحاسية وكيماوية هناك. وقد مات السجناء الروس الذين شربوا كحول الميثيل شر ميتة. وعلى أية حال كانت هناك بالفعل صناديق من زجاجات الخمر وعلب الطعام المحفوظ، يقول دوتيلييه فى هذا الشأن : "أذكر أنى شاهدت كثيرين من زملائى السجناء الفرنسيين والروس فى حالة سكر بين بعد أن اكتشفوا صناديق الخمور، وكانت شركة ويفو تحصل على هذه الأطايب من السوق السوداء فى فرنسا على وجه الخصوص .

استكمال النفق (أ) :

كان حفر السجناء النفق (أ) من خلال طرفه الجنوبي وفي ظل الظروف الصعبة بمثابة حفر قبورهم بأيديهم ، وكانت فرق العمل تتعاقب في ورديتين مدة كل منهما اثنتا عشرة ساعة، ثم ينامون بعدها في عنابر النوم دون اغتسال وسط الضجيج والغبار. وعندما وصل برونشارت Bronchart ومعه نفر من أصدقائه إلى معسكر دورا شهد بالفوضى التي رآها في الأنفاق . قال : "رغم المخاطر التي واجهتني بسبب الفوضى الضاربة بأطنابها تمكنت من زيارة أصدقائي من عمال المناجم في مواقع عملهم . وكان هدفي من وراء ذلك أن أبدد وحدتهم عن طريق الاتصال بهم وأكتشف إذا كان عملهم أقل تعذيبًا ولا إنسانية ، وراعني ما رأيت فبادئ ذي بدء واجهتني أثناء اقترابي من القطاع طبقة من الغبار تملأ أجواء النفق وشبه عتمة تعود إلى قصور في نظام الإنارة زادها انتشار الغبار في الجو، وصدمتني ضوضاء تصم الآذان وأصوات فرقعة التفجرات وطرق المطارق والمثاقب والعربات التي تجري على قضبان بدائية الصنع يتسبب التواؤها واعوجاجها في خروجها عن القضبان ، الأمر الذي أعطى الكابوهات الأعذار – كما لو كانوا بحاجة إلى أعذار – لضرب السجناء وهم ينهكون أنفسهم في إعادة العربات الخارجة عن القضبان إلى مكانها .

توفير المونة لبناء معسكرات السجناء الخارجية :

غادر السجناء الأنفاق كل يوم لمدة شهر للقيام ببعض أعمال البناء خارجها وشق الطرق وإنشاء خط سكة حديد لربط المصنع المقام في الأنفاق بالعالم الخارجي من جهة الجنوب ، وتم شحن أول دفعة من الصواريخ إلى بليزنا ، ويذكر جميع السجناء الأرضية الباردة المبتلة، يقول السجين بينيس في هذا الشأن إن أمطار الخريف كونت بركة يتراوح عمقها بين اثنتي عشرة بوصة وعشرين بوصة وكانت البرك التي غطت الشوارع غير المستكملة أسوأ حالاً وأضل سبيلاً فإذا مرت شاحنة في هذه البركة

غرق طابور السجناء المجاور بطوفان من الطين يغطيهم من قمم رءوسهم إلى أخمص أقدامهم، ولأن هؤلاء السجناء عادوا إلى الأنفاق ليناموا ساعتين أو ثلاثًا دون خلع ملابسهم أو أحذيتهم المتسخة فإن مراتب القش التى ينامون عليها تحولت إلى كتل من طين .

وطبقًا لشهادة كل من أوشابى Auchabie وألابرت Alabert كان معسكر كابلسير Kabalsir أسوأ المعسكرات جميعًا ، يقول هذان الرجلان فى شهادتيهما : كان معسكر كابلسير الذى يعمل سجناؤه فى شركة AEg مسئولاً عن مد كابل كهربائى كبير لتزويد معسكر دورا بالكهرباء الآتية من محطة كهرباء نورد هاوزن، وظل هذا المعسكر يعمل لمدة ثلاثة أشهر بدأت تقريبًا فى ديسمبر ١٩٤٣ حتى يناير وفبراير ١٩٤٤ ، وتمخض عمل أفراد هذا المعسكر عن حفر حفرات بالجاروف لوضع كابل الكهرباء فيها ثم ملئها. ولم يكن عدد العاملين فى هذا المشروع ثابتًا حيث إن العمل فيه بدأ بمائة وحدة انخفض عددها فى أواخر سبتمبر إلى أقل من عشرين وحدة ثم ارتفعت مرة أخرى إلى مائة وحدة لينخفض عددها فى أواخر يناير إلى خمس عشرة وحدة ثم إلى نحو عشرين وحدة فى أواخر فبراير عند انتهاء العمل، وهكذا اكتمل العمل على يد سجناء لا يزيد عددهم على أصابع اليد .

بناء الثكنات :

جرت العادة فى معسكرات الاعتقال أن يتولى السجناء بناء المعسكر بعد بناء ثكنات وحدة البوليس الخاصة ، ولكن الوضع فى دورا كان مختلفًا إذ يبدو أن إنشاء المصنع داخل الأنفاق وتشغيله كان له أولوية على بناء ثكنات وحدة البوليس الخاصة الذين ظلوا يسكنون الخيام حتى تمكن السجناء من إنشاء ثكناتهم وذلك بعد انتهاء ورديات عملهم فى الأنفاق أو مصانع الطوب .

إقامة مصنع صواريخ V2 داخل النفق:

إن إقامة مصنع إنتاج الصواريخ V2 فى أنفاق معسكر دورا لم يكن بالأمر السهل أبدا. وطبقًا لردولف تأخر تصنيع هذه الصواريخ حتى ٣١ ديسمبر ١٩٤٣ ففى هذا اليوم أنتج المصنع أول إنتاج رمزى له من الصواريخ التى لم يزد عددها على خمسة أو أربعة صواريخ تشوبها العيوب تم شحنها فى عربات السكة الحديد . وأيضًا تم تفكيك منشآت شركة ويفو وإجراء التحسينات الأساسية فى الأنفاق والعنابر فى الوقت المحدد له .

ويخبرنا جيرى بينيس Jiri Benes بالصعوبات الكأداء التى واجهها عمال الأنفاق فى مد خط سكة حديد داخلها تحت إشراف خمسة مهندسين وبعد مد هذا الخط فوق طبقة سميكة من الخرسانة المسلحة جاء مهندس سادس ليأمر العمال برفع القضبان لمسافة قدمين ونصف إلى الشمال وبطبيعة الحال كان تحريك القضبان أمرًا مضنيًا وخاصة تكسير وإزالة ميل ونصف من طبقة الخرسانة المسلحة التى يصل سمكها إلى ست بوصات، ويستطرد بينيس قائلاً إنها لمفارقة ما بعدها مفارقة أن يصدر هذا المهندس فى القطاع الجنوبى أمرًا بنزع قضبان السكة الحديد فى حين استمر السجناء الآخرون فى القطاع الشمالى فى صب الخرسانة المسلحة التى أمر مهندس القطاع الجنوبى بصبها ووصلت المعدات فى العربات فى فينر نيوستادت ، ولكن اتضح أنها ثقيلة وغير عملية وانتظر سجناء أنفاق دورا وصول معدات وعربات أخرى من مكان آخر هو سوانيموند Swinemunde ، ولكن اتضح أيضًا أن هذه العربات لا يمكنها السير على خطوط ضيقة ، الأمر الذى اضطر السجناء إلى مد خطوط سكة حديد جديدة، ورغم ذلك فقد ظلت هذه الخطوط غير صالحة لسير العربات فطلب السجناء من المهندس الحضور فجاء مساعده وأخذ مقاسات أخرى للقضبان وقررا استبعاد أحد القضبان الضيقة. وأخيرًا تم انتزاع القضبان ذات المقاس الضيق فى قطاع نفق (ب) فى الجنوب . وأحضرت عربات جديدة صالحة للسير فى جزء من خط السكة الحديد طوله أربعمائة ياردة، وفى الجزء الأوسط كان هناك خط واحد من المقاس الضيق صالح

للاستعمال . وفى مؤخرة الجزء الشمالى تم انتزاع جميع منشآت مصنع محركات الطائرات الذى كان مستقلاً عن مصنع انتاج الصواريخ V2 .

ويذكر سبير أن وزير التسلح سافر فى صبيحة العاشر من ديسمبر (١٩٤٣) إلى جبال هارز Harz لزيارة المصنع الجديد، فبذل المهندسون قصارى جهدهم واستنفدوا كل طاقتهم فى العمل لدرجة أن رؤساءهم أرغموهم على أخذ إجازات للراحة والاستجمام ، ويعطينا دوتيلييه صورة قاتمة ومفزعة عن عمليات شحن الآلات والمعدات ثم تفريغها داخل الأنفاق بقوله : "وللتعامل مع هذه المعدات والآلات استعملنا العوارض والأعمدة الخشبية وبكرات الصلب والحبال نشدها ونرخيها ، ولكن القائمين بهذا العمل كانوا يفتقرون إلى الخبرة من ناحية وإلى القوة من ناحية أخرى . فلا غرو إذا رأينا الكثيرين منهم يسلمون الروح ."

معسكرا شركة AEg وشركة كونيك Koenic

كان العمل داخل الأنفاق يتطلب نوعًا من التخصص والخبرة ، وكان وضع عمال الكهرباء داخل أنفاق دورا متميزًا بالقياس إلى غيرهم من العمال ، وهناك شواهد كثيرة مستقاة من شهادات السجناء الفرنسيين تدل على كثرة عددهم من معسكرات شركة AEg وسهولة التحاقهم بالعمل فيه . والجدير بالذكر أن ستة فرنسيين التحقوا بالعمل فى هذه الشركة كعمال كهرباء ومن بينهم برونشارت وجورج أرجو Georges Argoux وكوهرن Koehren وتولى هؤلاء العمال بشركة AEg تركيب معدات الإضاءة فى العنبر الرئيسى فى النفقين الداخليين إلى جانب حفر الخنادق لدفن كابلات الضغط العالى فيها، والجدير بالذكر أن ميفريت Mefret الذى وصل إلى نفق دورا يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٣ التحق فور وصوله بالعمل فى شركة AEg كعامل كهرباء برفقة كهربائى آخر محترف هو مارسيل بيرثيت Marcel Berthet . والتحق بنفس الفريق العامل فى مجال الكهرباء سجين اسمه جاكوب زوده أحد أصدقائه بأوراق مزورة للعمل ككهربائى فى شركة AEg .

وأيضًا كان هناك معسكر آخر أو فريق آخر من الكهربائية يعرف بمعسكر كوينيك Koenic الذى تولى الإشراف عليه كابو فرنسي وانضم إلى هذا الفريق عمال كهرباء هواة أمثال جورج سوبيروس Soubirous وريموند دى ميريبل Raymond de Miribel ، ولكن انضمامهم لم يدم طويلاً ، ويجدر بالذكر أن ظروف عمل كل من بيوثيرو القادم من قاعدة بينيموند وصديقه تشوكيت Choquet إلى دورا فى شتاء ١٩٤٣ - ١٩٤٤ لم تكن سيئة .

ليون برونشارت:

كان برونشارت فى سبتمبر ١٩٤٣ فى السابعة والأربعين من عمره . وهو من مواليد بابوم Bapoume فى منطقة سوم Somme فى شمال فرنسا وينحدر والده العامل فى كسر الحجارة وعضو نقابة العمال من أصل بلجيكى ، وفى عام ١٩١٤ تطوع برونشارت للتجنيد فى الجيش ولكن سرعان ما تم أسره، وزج به فى سجون مختلفة من بينها أوهردرف Ohrdruf حيث حاول الهرب عدة مرات دون جدوى وفى نوفمبر ١٩١٧ تم اطلاق سراحه باعتباره عضوًا فى السلاح الطبى وعاد إلى فرنسا عن طريق سويسرا ثم التحق بالعمل فى الفيلق الأجنبى كحامل نقالة الجرحى. ومنح وسام صليب الحرب والميدالية العسكرية ، ثم التحق بالعمل فى شركة أورليانز للسكة الحديد فى عام ١٩١٩ كعطشجى ثم كمهندس قاطرات فى عام ١٩٢١ ، وكان نشاطه ملحوظًا كداعية للاشتراكية وعضو فى نقابات العمال . وفى عام ١٩٤٠ اشترك فى الحرب الثانية وعمل فى قطاع السكك الحديدية، ثم نقل إلى برايف Brive حيث اشترك فى أعمال المقاومة فقبض عليه بعد أن قام البعض بالتبليغ عنه فى يناير ١٩٤٣ مع نفر من رفاقه من صفوف المقاومة التى انضم إليها ابنه الأكبر ، وتم نقل هذه المجموعة إلى كومبيين ثم إلى ساشنسهاوزن وذهب برفقة ابنه من هناك إلى معسكر ستاكن Staaken الذى بنى سجناؤه معسكر فالكنس Falkensee ثم أعيد فى ١١ سبتمبر إلى أورينبرج لاستجوابه فى أعقاب المزيد من الاعتقالات التى حدثت فى فرنسا، ثم أرسل إلى

معسكر دورا عن طريق معسكر بوخنوالد برفقة مجموعة من عمال المناجم ، وبسبب حبسه لمدة ثلاثة أعوام فى المعسكرات الألمانية فى الفترة من ١٩١٤ حتى ١٩١٧ تعلم الألمانية وكعامل يدوى اكتسب خبرة واسعة فى مجالات مختلفة ودفعته توجهاته السياسية فى كل من ستاكن ثم فالكنسى إلى إقامة علاقات قوية مع قائد البلوك الذى يعيش فيه وهو ألمانى يدين بالمذهب الشيوعى ، وفى دورا وجد يسرًا بالغًا فى التعامل مع الكابو المشرف على هذا المعسكر . فضلاً عن شدة اعتزازه بتاريخه العسكرى. وبعد اعتزاله العمل فى ١٩٤٧ ظل محتفظًا بنشاطه ونشر عام ١٩٦٩ مذكرات بعنوان "عامل وجندى" .

تزايد الحاجة إلى العمالة :

شعر المسئولون عن إنتاج الصواريخ V2 بالقلق بشأن تدريب الفريق اللازم لتجميع الصواريخ تحت إمرة مدنيين ألمان عاديين جاء معظمهم من بينيموند وتميزوا بالكفاءة ، عندئذ بدأ الخبراء بالتجمع والاستقرار فى مكان واحد ظلوا فيه حتى النهاية تقريبًا . ورغم أن هذا الفريق من العمال تميز بالخبرة فإنهم ظلهوا يعيشون داخل الأنفاق حتى مايو ١٩٤٤ ، ولم تكن خبرتهم تقتصر على أعمالهم داخل الأنفاق بل امتدت أنشطة البعض منهم إلى خارج الأنفاق مثل المبيض جاك فيرن Jacques Vern الذى يقول : "سألونا إذا كان هناك منا من يعمل مبيضًا فرفعت يدى فأخذونى للعمل، بدأنا بالتمويه فى نقل الأحجار خارج الأنفاق ثم قمنا بالتمويه لإخفاء مدخل النفق عن الأنظار ثم التمويه بإخفاء معالم المبانى المخصصة لإيواء السجناء" .

الفصل الرابع

الموت فى معسكر دورا

مستشفى دورا :

كان هناك مستشفى فى كل معسكر من معسكرات الاعتقال، وكانت نوعية المستشفى تعتمد كثيراً على شخصية طبيب الوحدة الخاصة المشرف عليه كما تعتمد على الكابو المسيطر على السجناء. فضلاً عن اعتماده على مهارة وكفاءة الطبيب المشرف وقد أقيم هذا المستشفى على عجل فى الأشهر الأولى من إنشاء معسكر دورا وفى البداية كانت هناك خيمة قريبة من مدخل النفق، وأخيراً تم تحويل أحد بلوكات المعسكر الأولى – وهو البلوك رقم ١٦ الواقع فى الجانب الشمالى من المعسكر – إلى مستشفى .

وفى العادة كان هناك مستوصف للعلاج الخارجى به عدد من المراهم لعلاج جميع أنواع الجروح . وأيضًا كان فى المستوصف من يشخص حالة المريض ويتخذ قراراً بإدخاله المستشفى أو إعطائه فترة محدودة من الراحة أو إعادته إلى المعسكر. وكان المريض يعتبر مريضًا بحق إذا ارتفعت درجة حرارته إلى ٣٩ درجة ، وظل هذا معيار المرض لفترة طويلة من الزمن فى ثكنة فى النفق فى نهاية القاعة ٣٦ فيما يبدو .

كان هنريش بلازا Heinrich Plaza أول الأطباء المعينين فى مستشفى دورا. وقد وصفه جين ميشيل بطول القامة، يشبه الوحش الكاسر ويكيل الإهانات للسجناء ويميل

للعدوان والأذى عندما تفقده الخمر صوابه، جاء هنريش بلازا من معسكر بوخنوالد حيث كان يعمل طبيبًا شرعيًا يفتقر إلى الكفاءة ، وبعد دورا عمل فى معسكر ستروثوف Struthof قبل ذهابه إلى معسكر أوهردوف Ohrduf ، وفى بداية عام ١٩٤٤ حل الدكتور كارل كاهر Karl Kahr محله وظل فى وظيفته حتى شهر ديسمبر من نفس هذا العام ومن الغريب أن الكابو إرنست شنيدر Ernst Schneider والكابو كارل شوتيزر Karl Schwitzer – وهما سجينان سياسيان – قاما بإجراء بعض العمليات الجراحية إذا لزم الأمر، وفى أبريل ١٩٤٤ تم تعيين فرتيز برول Fritz Proll الذى أدخل تحسينات كثيرة وكبيرة على المستوصف . وبالتدريج وبطريقة منتظمة أصبح السجناء جزءًا من الفريق الطبى المعالج فى المستوصف .

وكانت الشخصية البارزة فيه طبيب هولندى يدعى جرونفلد Groeneveld الذى وصل إلى دورا مع أول فوج يوم ٢٨ أغسطس ١٩٤٣ ليستمر هناك حتى وقت الجلاء عن دورا فى أبريل ١٩٤٥ . وكان أول طبيب فرنسى (ويعمل جراح أسنان) يدعى جاك ديسبريز Jaeques Desprez الذى وصل فى سبتمبر ١٩٤٣ ضمن عشرين ألف سجين آخرين) ثم انتقل فيما بعد للعمل فى هارزونجن Harzumgen، ثم جاء من بعده الدكتور موريس لميير Maurice Lemiere الذى بقى فى وظيفته حتى أبريل ١٩٤٥ وكان بين أطباء الأسنان العاملين فى المستوصف رينيه لاڤال René Laval وجورج كروازات Georges Croizat وجين ميشيل Jean Michel الذى قام جاك دسبريز Jacques Desprez الذى احتفظ بالملفات نظرًا لافتقاره إلى أى تدريب طبى، والجدير بالذكر أن الفريق الطبى الفرنسى زاد بشكل ملحوظ فى الأشهر الأولى من عام ١٩٤٤ . وهى الفترة التى وصل فيها لويس جيرارد Louis Girard ورينيه مورل René Morel ومارسيل بيتى Marcel Petit وآخرون. وإلى جانب الفرنسيين أصبح حضور الأطباء التشيكيين قويًا وممثلاً فى طبيب أسنان تشيكى اسمه أوتو سميك Otto Cimek وجراح يدعى جان سيسبيڤا Jan Cespiva

جروينفلد الطبيب الهولندى:

ولد الطبيب الهولندى جروينفلد Groeneveld المعروف باسم هيسيل Hessel عام ١٩٠٧ ، وأنشأ عيادته الخاصة فى عام ١٩٣٥ ، وكان من أتباع الكنيسة المينونايت Mennonite الهولندية التى يرجع إنشاؤها إلى القرن السادس عشر . وانضم جرونيفلد إلى صفوف المقاومة وألقى القبض عليه ولكنه استطاع الهرب وحاول الوصول إلى جبال البيرنيز ولكنه أعيد القبض عليه بعد محاصرة مترو الأنفاق فى باريس فى نوفمبر ١٩٤٢ ، وبعد سجنه لعدة شهور فى باريس تم نقله إلى كومبيين فى ربيع عام ١٩٤٣، كما تم ترحيله فى شهر يونية من هذا العام إلى معسكر بوخنوالد حين كان رقم سجنه ١٤٣٤ ، وتمكن بعض أصدقائه الهولنديين من تعيينه فى وظيفة ممرض فى المستشفى .

وفى ٢٨ أغسطس ١٩٤٣ كان جروينفلد ضمن أول فوج مكون من ١٠٧ سجناء رحلوا من بوخنوالد إلى دورا وكتب جروينفلد فى مذكراته أنه لم يبق من هذا الفوج سوى سبعة أشخاص ، وفى البداية التحق جروينفلد بالعمل فى أنفاق دورا ثم صار ممرضًا فى المستشفى عقب إنشائه ثم أصبح معروفًا كطبيب ، وتلاه أطباء سجناء كثيرون معظمهم من الفرنسيين والتشيكيين على وجه الخصوص، ورغم ذلك فقد احتفظ جروينفلد بالسلطة ، ويشهد له كثيرون بالكفاءة والشفقة ومن بينهم سجناء فرنسيون أمثال سادرون .

الدخول والخروج من المستشفى:

كان من الطبيعى أن يتوجه السجين الذى يشعر بالمرض إلى المستشفى ولكن دخوله المستشفى كان من الأمور المستعصية حيث تعين عليه أولاً الذهاب إلى مستوصف النفق ليمضى فيه عدة أسابيع ، وفيما يلى ما يقوله فليكس Fliecx وبيوتيت Butet فى هذا الشأن يقول فليكس : "تذهب إلى مستوصف النفق الواقع فى ثكنة فظيعة أقيمت فى ذلك الوقت فى قاعة فسيحة تفضى إلى البلوكات، وكان المستوصف

يسبح فى الظلام وتم حشرنا جميعاً فى هذا الظلام، وكان باب المستوصف ينفتح ويغلق من آن لآخر ويلقى الضوء على ذلك الخليط الغريب من الجرحى والمرضى والأموات والمزاحمين لدخول المستوصف، وكانت المشرحة على الجانب الآخر من التكنة ، والمشرحة اسم مضلل وخادع فهى عبارة عن ستارة من القماش عاجزة عن إخفاء أكوام الجثث القذرة المتراكمة وراءها كان بعضها لا يزال ينبض بالحياة ولكنه كان غير قادر على الحركة .

"كان السعال ينتابنى باستمرار، وقررت الذهاب إلى عيادة الطبيب للكشف علىّ، وكان المستوصف قد تم إنشاؤه فى تكنة المعسكر وبالنسبة لنا نحن القادمين من النفق استحال علينا الذهب إلى المستوصف من تلقاء أنفسنا ، فقد تعين على الواحد فينا أن يذهب أولاً إلى مستوصف النفق للكشف عليه ، وهو يقع فى تكنة صغيرة مقامة على الطرف الأخير من القاعة، وكان المشرف عليه سجين روسى يعاونه عدة مساعدين ، ولم يكن لديه من الأجهزة الطبية سوى ترمومتر حرارة ويضع أوراق ، وبدأنا نصطف أمام الباب، وحتى يصبح الجو مناسبًا لجو المستشفيات كانت هناك كومة من الجثث المتراكمة ملقاة على جنب و"عندما جاء دورى سلمنى الترمومتر دون أن ينبس ببنت شفة فوضعته تحت إبطى لأخذ درجة حرارتى التى كادت أن تصل إلى ٣٩ درجة سنتيجراد وكتب رقمى كسجين على قطعة من الورق وقام بختمها ثم أشار إلى بيده كى أنتظر بالخارج، كنا نحو ثلاثين شخصًا تحت إشراف كابو تخوض أقدامنا فى الوحل، كما كان السجناء الفرنسيون يدعكون ظهور بعضهم بعضًا للتدفئة، وقام الطبيب السجين بالكشف علىّ بسرعة وهو ينصت إلى دقات السماعة الطبية وأعطانى قرصين من الأسبرين ثم كتب إلى السكرتير أربعة أيام راحة .

"ولست أعرف إذا كان الأسبرين أو الراحة من العمل لمدة أربعة أيام هو الذى أعطانى شيئًا من الأمل،ثم قفلت راجعًا إلى عنبر النوم وأنا أقول لنفسى إنه باستطاعتهم أن يأخذوا شحمى ولكن بكل تأكيد لن يستطيعوا الحصول على جلدى وعظامى فسوف أقاتل من أجل حياتى حتى الموت"

ونجح فليكس في وقت لاحق في الأسابيع الأولى من عام ١٩٤٤ في دخول المستشفى واصفًا إياه بقوله : "كان المستشفى عبارة عن ثكنة في قمة المعسكر ، وكان المرء يخوض في الوحل في بؤس وتعاسة كي يتمكن من الوصول إليه، فإذا وصل إليه تعين عليه الانتظار أمام الباب مهما كان الجو سيئًا. وفي المستشفى اختلط المرضى الذين تصل درجة حرارتهم إلى أربعين درجة بغيرهم، ومن الواضح أن الأقوياء دائمًا أزاحوا الآخرين بعيدًا عن طريقهم وتمكنوا من التسلل إلى داخل المستشفى بمجرد أن فتح أبوابه ، وكان المرضى والعاجزون يمكثون عدة ساعات وهم يرتجفون في الريح والثلج . وانهار البعض منهم على الأرض من شدة الإنهاك ."

واستطرد فليكس قائلاً عن هذا المستشفى :

"كان من حسن حظي أن الطبيب – وهو سجين ألماني – أرسلني إلى هناك ، وقبل دخولي الغرفة أصابتني لحظة انتعاش ، فقد أخذت حمامًا ساخنًا حقًا بعد أن خلعت ملابسي ... وفي الحجرة رقم ٨ كان هناك طبيب فرنسي يصدر الأوامر ، وكان المرض روسيا، وفي المستشفى كان هناك تغير شامل فهو يختلف عن بقية المعسكر حيث كان كل شيء نظيفًا كما كان لكل نزيل في المستشفى سرير خشبي وملاءة ومخدة ولحاف دافيء ، كان عددنا عشرين بينهم إيطاليون كثيرون ، وكنا لا نعرف ما عسانا أن نفعل بالطعام الموفور وفي الصباح استيقظت وأنا في حالة طبيعية لأول مرة منذ فترة طويلة فوجدت كل شيء هادئًا . كانوا يعتنون بنا هناك ويحشون بطوننا بالطعام .

ويذكر لنا ديوتيلييه تجربة مماثلة : "وخلال الأيام التي أعقبت حملة النظافة والتطهير في فبراير ١٩٤٤ لم أعد أهرش بسبب القمل ولكني بدأت في السعال وارتفعت درجة حرارتي و علمني رولاند حيلة ألجأ إليها لرفع درجة حرارتي . قال قبل النداء على طابور الصباح: دخن سيجارة بعد غمسها في زيت الماكينة وسيجد الكابو أن حرارتك ارتفعت إلى أربعين درجة سنتيجراد عندئذ يقوم الكابو بإخراجك من الطابور ، وعندما يأخذ الممرض حرارتك فسوف يجد أنها بلغت الثمانية والثلاثين ، وسار كل شيء وفق الخطة، وبعد إعطائي قرص أسبرين لابتلاعه وغرغرة برمنجات

اقتادونى إلى فراشى الموجود أعلى الأسرة المكونة من مستويين ، وكان أقرب جيرانى المرضى على بعد ثلاثة أقدام منى وبالمقارنة كان المستشفى رائعًا ومريحًا ، وأمضيت فيه ثمانية أيام من الراحة التامة لا أفعل فيها شيئًا ، ولم يكن فى مقدورى أن أبتلع أى شىء سوى اللبن، وكان فمى مليئًا بالدمامل والخراريج المؤلمة وظللت لمدة ثمانية أيام أبصق دمًا ، وتم شفائى من النزلة الشعبية بدون أية أدوية غير الأسبرين واستخدام مضمضة الفم فى نفس يوم دخولى المستشفى .

وكان العلاج الذى تقدمه المستشفى لخفض درجة حرارة المريض وشفائه من النزلة الشعبية والالتهاب البلورى بسيطًا ويتلخص فى غمس بطانية من الماء البارد وعصرها جيدًا ثم طيها إلى أربع طيات مثلما تطوى الملاءة ثم لفها حول صدر المريض العارى ، وتترك البطانية على صدره نحو ربع ساعة وهو الوقت الذى تستغرقه حتى ينبعث فيها الدفء، وبعد ثمانية أيام من هذا العلاج كانت نتيجته معروفة سلفًا فهو قمين فى أغلب الأحيان بالقضاء على حياة المريض .

ولكن هذا العلاج نجح فى إنقاذ حياة ريج Rieg الذى كتب فى هذا الشأن يقول :
"مكثت فى المستشفى من ٧ فبراير حتى ١٣ مارس ١٩٤٤ بسبب معاناتى من الالتهاب الرئوى ، ويبدو أنى ظللت أئن وأتأوه لمدة ثمانية أيام تحت وطأة الحرارة دون أن أتناول أى طعام وقام ممرض تشيكى بعمل أكياس من الثلج لوضعها على صدرى . وهو العلاج الوحيد الذى استطاع أن يقدمه لى .

وأيضًا كانت بعض العمليات الجراحية تجرى فى المستشفى مثل العملية التى أجريت لفيلكس لاستئصال خراريجه ، يقول فيلكس:

"فى ذلك الصباح أجروا لى جراحة لاستئصال خراريجى ووضعونى على طاولة العمليات ، وراقبت الطبيب وهو يمسك بمقبضه الذى فقد حدته ويمزق به جسمى، وشعرت بجسدى وهو يتمزق تحت المشرط، وكرد فعل نهضت من مرقدى واعتدلت فى جلستى فلطمنى الممرض على وجهى لطمة قوية ليجعلنى أرقد ... وبعدئذ قاموا بلف

ذراعى بضمادة مصنوعة من الورق لمدة نحو ٢٤ ساعة، ولم يكن هذا مهما فقد شعرت براحة كبيرة لأن الخراريج قادرة على إنهاك الإنسان على نحو مروع .

ويبدو أن الأطباء السجناء العاملين فى المستشفى بذلوا قصارى جهودهم لعلاج عدد قليل من المرضى الذين دخلوا المستشفى لتلقى العلاج لفترة محدودة من الزمن، ولكن كثيراً من المرضى اقتنعوا بأن المستشفى هو الطريق المؤدى إلى المحرقة .

إعطاء المريض راحة من العمل:

لم تزد الراحة التى منحها المستشفى للسجين المريض على أيام قليلة بناء على تصريح مختوم يصدره طبيب المستشفى وكان يسمح لمثل هذا المريض أن يعود إلى البلوك الذى يعيش فيه دون تأدية أى عمل مثلما فعل بوتيت Butet عندما خلد إلى النوم داخل النفق لمدة أربعة أيام. ولكن وحدة البوليس الخاصة ضاقت ذرعًا بوجود السجناء المرضى فى كل مكان فقررت تجميعهم وتخصيص بلوك خاص بهم .

يقول أحد المرضى : "كانت مغادرة المستشفى تعنى إما الذهاب إلى المحرقة أو مبنى النقاهة للراحة، وكان على يسار هذا المبنى غرفة واسعة خالية من الأثاث اكتظت بمئات الماثلين للنقاهة ... ولكنى لم أدخل أبدًا الغرفة الواسعة الواقعة على يمين المدخل، وأعرف أنها أكثر سوءًا من الغرفة التى كنت أستريح فيها لأنها كانت بأكملها مخصصة لمرضى الإسهال ويستطرد هذا المريض قائلاً : " كان طبيب المعسكر وهو من السجناء يأتى عدة مرات أسبوعيًا إلى الاستراحة ثم يقرر بعد كشف سريع من استرد عافيته لاستئناف العمل ومن حسن حظى أن طبيبًا فرنسيًا كشف على ، وسألنى هذا الطبيب إذا كنت أرغب فى الحصول على راحة لمدة ثمانية أيام أخرى ، ولكن بقائى ثمانية أيام فى ذلك الجحيم كان فيه الكفاية ، ولهذا فضلت أن أذهب إلى النفق ."

ترحيل أفواج السجناء:

في بداية عام ١٩٤٤ أصبح عدد كبير من السجناء النزلاء في المستشفى والاستراحة والنفق عاجزين عن العمل، بل إن الكثيرين منهم فاضت أرواحهم أو أشرفوا على الهلاك. ولم يكن هناك موضع لقدم كما أن عنابر النوم داخل النفق أصبحت شديدة الاكتظاظ. حتى المعسكر نفسه لم يكن قد اكتمل. وكان من المتوقع وصول السجناء الجدد من معسكر بوخنوالد عندما تأهب مصنع النفق أخيراً لإنتاج صواريخ V2 ولهذا أصبح من الضروري التخلص من العمال غير الصالحين للعمل في معسكر دورا.

وفي يناير ١٩٤٤ تقرر ترحيل فوج منهم إلى معسكر ماجدانيك Maijanek بالقرب من معسكر لوبلين Lublin في بولندا وتم الإعداد والتخطيط لهذا الفوج في منتهى السرية وتم ترحيله إلى جهة غير معلومة ، ومن الناحية الشكلية أو الصورية كانت جهة الترحيل إلى معسكر أكثر راحة ولكن الحقيقة أنه كان معسكراً للإبادة .

ويبدو أن جميع أفراد هذا الفوج هلكوا ، وأغلب الظن أن تاريخ هذا الفوج يرجع إلى ٦ يناير ١٩٤٤ ، وطبقاً لما يقوله جين ميشيل كان الدكتور جاك ديسبريز Jacques Despruz على علم بجهة ترحيل هذا الفوج. ويذكر لنا ميشيل رواية بير روزان Pierre Rozan في هذا الشأن ، ويجدر بالذكر أن روزان الذي أدمن الخمر حتى الثمالة شارك في ترحيل هذا الفوج وعبر عن شكواه من المهمة التي كلف بها : "كنت مشمئزاً وأصابني عملي بالغثيان الذي قلب معدتي، ولعله كان من الأفضل لي العمل في تنظيف المراحيض والخوض في البراز . تعين على أن أتعامل مع المرضى العاجزين عن مبارحة أماكنهم أو النهوض منها. ولهذا لم أر طريقة غير سحق حناجرهم والدوس عليها بحذائي ذي الرقبة الطويلة كي أسكتهم إلى الأبد " .

كان الفوج الأول يضم ألف سجين مريض. ولا يعرف عن هذا الفوج غير النذر اليسير. ولكن الدارسين يعلمون الكثير عن الفوج الثاني الذي غادر دورا في ٦ فبراير

١٩٤٤ والذى وصل إلى معسكر ماجدانك فى ٩ فبراير فى هذا العام، ويقدم لنا أندريه روجرى Andre Rogerie وصفًا مفصلاً عن الفوج المرحل والفترة التى أمضاها فى معسكر ماجدانك من ٩ فبراير حتى ١٥ أبريل من العام المذكور وعندما غادر روجرى هذا المعسكر ليذهب إلى معسكر أوشفيتز قال : "لم يبق على قيد الحياة من المائتى وخمسين سجينًا فرنسيًا الذين غادروا معى معسكر دورا سوى ثمانية سجناء وربما أقل . "ويستطرد روجرى فى شهادته قائلاً: إن البولنديين بوجه عام كانوا أقدر من غيرهم على التحمل" .

وفى ٢٦ مارس غادر الفوج الثالث معسكر دورا ليصل إلى معسكر برجن بلسن فى اليوم التالى (٢٧ مارس) . ويعطينا فيلكس وصفًا تفصيليًا للرحلة والأسابيع الأولى التى قضاها هذا الفوج فى برجن بلسن حيث لم ينج من الموت سوى قلة أخرى، يقول فيلكس فى هذا الصدد : وعندما كنت فى المكتب رجعت إلى سجلات المعسكر ، طالعت السجل الأول الذى يحتوى على معلومات خاصة بالفوج الأول القادم من دورا . وكل ما شاهدته فى هذا السجل عبارة عن مشانق ..... صفحات بأكملها مليئة بعلامات حمراء دالة على سجلات مليئة بالمشانق. وفى يوم ٢٧ مارس ١٩٤٥ وهو يوم الاحتفال السنوى لوصولنا فى بلسن أحصيت عدد الناجين من الموت فوجدت أنهم اثنان وخمسون من مجموعة قوامها ألف شخص . ومن الفرنسيين البالغ عددهم ستمائة سجين لم يبق منهم على قيد الحياة سوى سبعة عشر ، وهو عدد لا يزيد على ٣٪ .

وحتى نفهم هذا العدد الضخم من الوفيات لابد لنا أن نأخذ ظروف معسكر برجن بلسن السيئة فى الاعتبار ، ولابد لنا أيضًا أن نأخذ فى الاعتبار الحالات المرضية التى اعتبر المسئولون عن هذا المعسكر أنها شفيت واستردت صحتها فأعيدت فى أغسطس ١٩٤٤ إلى معسكر بوخنوالد الذى قام بدوره بترحيلها إلى معسكر دورا مثلما حدث لديديه بورجيه Dier Bourget وروجر تريكوار Roger Troicoire وماتيجا زادرافيك Ma-tijia Zadravec من سلوفينيا ، وكذلك تم إخراج رييج Rieg من المستشفى قبل استكماله العلاج، كما أن السجين ديديه بورجيه لم يعط إجازة طويلة للراحة من

العمل. يقول لنا روجرى : "كنت أسعل بشدة وعانيت من نوبات سعال عنيف، ولكن لاحظت اليوم شيئًا من الهرج والمرج فى النفق. فقد كانوا يتأهبون لترحيل فوج من السجناء ، وتعين على كل سجين غير قادر على العمل مغادرة المكان فى تلك الليلة سواء أكان نزيلاً فى المستشفى أو دار النقاهة والاستراحة استعداداً للرحيل بالقطار فى اليوم التالى إلى جهة غير معلومة أى إلى معسكر أفضل على حد زعمهم ، وفى واقع الأمر كان الفوج فى طريقه إلى الإبادة ولكنى كنت أجهل ذلك ، يا إلهى لكم شعرت بالرضا عندما رأيت اسمى وارداً فى القائمة وأنى سوف أشترك فى هذه المرحلة " .

ويذكر بوتشارت أنه عجز عن إقناع زميله إيتين بوردو مونتربيه Etienne Bordeaux Montrieux بعدم الانضمام إلى هذا الفوج ، وأيضًا يقول فيلكس فى هذا الشأن: "فى أحد الأيام أعطونى ملابس مقلمة (مخططة) وغادرنا جميعًا الاستراحة ، وكان عددنا فى الثكنة نحو ألف شخص ثم اقتادونا إلى الخارج، وسرت فى طريق المعسكر وكأنى أسير فى ضباب حلم غير واضح المعالم ، ولابد أن طابور العرض الذى سرنا فيه كان غريبًا للغاية وأحاط بنا من كل جانب رئيس المعسكر ومجموعة سجناء من عتاة المجرمين . وعند فتح العربات الواقفة على شريط السكة الحديد زجوا بى فى إحداها ، وبالغريزة جررت قدمى إلى ركن وانتظرت دون أى جهد إيجابى من جانبى ما سوف يحدث لى بعد ذلك ."

ضحايا النفق:

لم تحدث كل الوفيات فى معسكر دورا داخل المستشفى أو دار النقاهة والاستراحة من العمل فعلى سبيل المثال تم القبض على سجين اسمه ماريوس رايمان Maruis Reimann فى بلدة ألبرت Albert فى سوم Somme مع ابنه كلود Claude . وعند وصوله إلى معسكر بوخنوالد تسلم ماريوس كسجين رقم ٣٩٥٦٨ كما تسلم ابنه كلود رقم ٣٩٥٦٩ فى حين أعطى أندريه سيليير مؤلف كتاب "تاريخ معسكر دورا" رقم ٣٩٥٧٠ . ووصل ثلاثتهم إلى معسكر دورا فى ١١ فبراير ١٩٤٤ ، وفى صباح أحد

الأيام وجد كلود والده يرقد ميتًا بجواره. وبذلك يعتبر ماريوس واحدًا من المتوفين فى النفق، وظهر اسمه فى قائمة الوفيات فى ٢٨ فبراير ١٩٤٤ ونفس الشيء حدث لبوخيت Buchet الذى انهار وسقط ميتًا على الأرض فألقوا بجثته فى الحال فى كومة الأموات فى ذلك اليوم . وكان عددهم لا يقل عن خمسة عشر متوفيًا . كانت الجثث تلقى فى أكوام خاصة أمام عنابر النوم كما ذكر لنا كل من بيوتت Butet ومياليت Mialet . يقول سيليه : وقع على اختيار الكابو فى سشلافستولن Schlafstellen الذى اعتدى على بالضرب وكلفنى بإخراج جثث السجناء الذين توفوا فى الليل، وعندما انطلق بوق نوبة الصحيان ظل ما بين عشرة إلى خمسة عشر سجينًا راقدين على الأرض ويتكومون على مراتبهم المصنوعة من القش ، وكانوا قد أسلموا الروح أثناء نومهم، وتعين إخراج جثثهم ونقلها إلى مدخل النفق. ولم يرق لى هذا النوع من العمل وفضلت عليه فى اليوم التالى العودة إلى نقل الصخور إلى العربات ، وكانت هناك سبع جثث ملقاة عند باب البلوك أطلقنا عليها اسم الجوامد وكان هؤلاء الأموات حفاة وحليقى الرءوس ، ورأينا أظافرهم الطويلة وأصابع أقدامهم القذرة ووجوهم الناحلة، وبدا جميع الموتى متشابهين فى قبحهم وشدة نحافتهم .

وخلفت جثث هؤلاء الموتى مشاكل إدارية كما يقول لنا السجين التشيكى لتوفيسكى على مستوى بلوك النفق ، فضلاً عن أنها خلقت مشكلات على مستوى المعسكر مثلما أوضح لنا السجين الهولندى فان دايك Van Dijk ، ويستطرد ليتوفسكى قائلاً : "قام العاملون فى البلوك كل صباح ومساء بإحضار جثث الموتى إلى مدخل النفق، وتولى شريبر Schreiber إعداد قائمة بأرقام هويات السجناء الموتى لتسليمها إلى المسئول عن المعسكر ، كانوا يحتفظون بالجثث فى حظيرة خاصة داخل النفق لعدة أيام. وفى النهاية أحضروا عربات لنقل هذه الجثث بعيدًا عن النفق، وكثيرًا ما دخل السجناء الأحياء حظيرة الموتى للاستيلاء على ملابسهم التى تحمل أرقام سجن تختلف عن أرقام السجناء الأحياء ، الأمر الذى خلق بلبلة لدى رجال وحدة البوليس الخاصة فاختلط الأمر عليهم وأصبحوا عاجزين عن تمييز السجناء الأحياء من الأموات . ولهذا السبب قرر النازيون فى يوم من الأيام كتابة رقم الهوية على جبهة المتوفى .

وفى إحدى الأمسيات دخل البلوك رجل إيطالى زاحفًا يعلوه التراب ولا حد لقذارته يبحث عن طعام ، وبعد مرور لحظات لاحظ العاملون فى البلوك أن رقم هوية هذا الرجل مكتوب على جبينه ، ومعنى هذا أنه كان من الناحية الرسمية فى عداد الموتى الأمر أصابنا بالدهشة البالغة. وفى نفس الوقت لم يفهم هذا الإيطالى الذى غطته القذارة وعفره التراب سبب انفجارنا فى الضحك وهو يكرر (أريد خبزًا). والواقع أن هذا الرجل كان محظوظًا حيث إنه كان نزيل البلوك رقم ٤ لأنه لو أن هذا الإيطالى المسكين كان نزيلاً فى بلوك آخر لما رحمه المشرفون ولظلوا يضربونه حتى الموت ... اتساقًا مع السجلات التى تعتبره ميتًا .

يقول لنا بروتشارت وفيلكس وأوشابى Auchabie كل بطريقته إن جثث الموتى كانت تنقل من البلوكات إلى القاعة ٣٦ ، وكانت عربة صغيرة بثلاث عجلات تقوم بنقل جثتين فى المرة الواحدة ثم يقوم الناقلون لهما بشدهما وجرهما من أرجلهما لوضعهما فى كومة عند مخرج النفق. وأيضًا كان السجناء ينظفون المراحيض من البراز بأيديهم الأمر الذى جعل دخول القاعة ٣٦ محنة لا يقدم أحد عليها طواعية بل مرغمًا وكارهًا.
يقول فان دايك فى هذا الشأن : كمراسل كانت أبشع الواجبات الملقاة على عاتقى تكليفى بإحصاء عدد الموتى ، وبعد انتهاء طابور النداء ذهبت برفقة فلادى Wladi واثنين من المساعدين (أحدهما أوكرانى اسمه جوزيف والآخر تترى اسمه معقد ويتعذر نطقه). إلى البلوكات للبحث عن السجناء الذين تخلفوا عن حضور طابور النداء. ولم يكن من الصعب العثور عليهم حيث إن معظمهم كانوا من الموتى أو المحتضرين فى عنابر النوم أو فى الخارج راقدين على الأرض التى يغطيها البراز المتناثر ، وكنت أسجل حالة الوفاة فى قائمة وقمت بكتابتها على جبهة الميت أو صدره بقلم سائل بللته بلعابى وكنا فى العادة نصل فى وقت متأخر لنجد الموتى والمتحضرين وقد انتزعت ثيابهم. ولهذا استحال علينا التعرف على هويتهم. وعالجت هذا الأمر بطريقتى الخاصة فاستخدمت أحد أرقام الهوية الواردة فى القائمة التى بحوزتى بسبب عجزى عن العثور على صاحبها. وكنت أضع هذا الرقم على ذراع السجين الذى يمنعه التعب والإعياء من الوقوف على قدميه حتى يكون للميت هوية يمكن التعرف عليها. وفى أغلب الأحيان

كانت روح السجين المريض تصعد إلى بارئها بحلول طابور النداء التالى ، ومع ذلك فقد اعتبرته سجلات المعسكر من الأحياء للاستيلاء على وجبات الطعام المستحقة له، ورغم ذلك ظل هناك عدد من الأرقام المفقودة مما جعلنا نملأ خانات المفقودين الخالية بأرقام هوية من المعسكرات الأخرى لاستكمال أية نواقص أو قصور يشوب قوائمنا وبينما أنا وفلادى مشغولان بملء الفراغات قام المعاونان لنا بالاستيلاء على الصالح من ملابس الموتى كما كانا أحيانًا ينزعان حشو الأسنان الذهبية والفضية من أفواههم كانت أعداد الموتى فى زيادة مطردة . وكانوا يلقون بهم فى كومات عند نهاية البلوكات ثم يتم نقلهم من هناك إلى القاعة رقم ٣٦ حيث وضعهم الحانوتية فى عربات حديدية بثلاثة أرجل كل اثنين منهم فى عربة واحدة ثم جر الموتى من أقدامهم على الأرض ، الأمر الذى نجم عنه ارتطام رأسيهما ببعضهما بعضًا أثناء جرهما فوق العربة. وكان السائقون يمزحون مع بعضهم بعضًا عن طريق التسابق فى جر عرباتهم الحديدية للوصول إلى باب النفق قبل زملائهم وهم يتضاحكون عندما تصطدم هذه العربات بشىء ما يؤدى إلى انقلابها ، وألف الناظرون هذا السباق الكئيب الذى بات أمرًا عاديًا لا يسبب أى إزعاج لأحد .

كان موتى الأنفاق ينقلون إلى القاعة أو العنبر ٣٦ ثم تقوم عربة كبيرة بنقلهم خارج النفق ، وفى هذا العنبر كان من المألوف رؤية سجناء ينهارون ويسقطون مغشيًا عليهم ويبذلون كل ما تبقى لديهم من جهد وطاقة للخروج من كومة الجثث ، وقيل إن السجناء الروس كانوا يخفون أنفسهم فى أكوام الجثث لتجنب العمل . وكان الهدف من قيام السجناء الأحياء بنزع أرقام هوية الموتى واحتفاظهم بها هى الاستيلاء على مستحقات هؤلاء الموتى من الطعام باعتبار أنهم أحياء يرزقون .

محرقة بوخنوالد:

هناك عدد قليل من الشهادات التى تحدثت عن نقل الجثث إلى بوخنوالد. يقول فيلكس فى هذا الشأن: "كان يمكن من خلال نافذة الاستراحة فى العمل رؤية العربات

الصغيرة وهى قادمة أسفل النافذة فى نهاية النفق وقد امتلأت بجثث الموتى وعلى غير مبعدة منا توقفت القافلة وتم نقل الجثث إلى حظيرة صغيرة قريبة من المستشفى ، واحتفظوا بهذه الجثث نحو ثلاثة أيام حتى وصلت الشاحنة لشحنها إلى معسكر بوخنوالد ، وفى كل مرة وصل عدد الجثث التى نقلتها الشاحنة إلى نحو مائة جثة (شاملة موتى النفق وموتى المستشفى والاستراحة) .

وفى إحدى المرات مر سائق الشاحنة بتجربة مزعجة . ففى أحد المنحنيات فى نوردهاوزن انكسر أحد جوانب الشاحنة فتناثرت كل الجثث على الطريق فتم على الفور إرسال فريق من السجناء لمعالجة هذه الحادثة ، وظلت جثث سجناء دورا تحرق فى محرقة بوخنوالد حتى نهاية مارس ١٩٤٤ .

أعداد الوفيات :

هناك تقديرات لعدد السجناء المفقودين حتى عام ١٩٤٥ ولكن لا يوجد اتفاق بين الباحثين بشأن صحة هذه التقديرات ، غير أن سيبليه مؤلف كتاب "تاريخ معسكر دورا" لا يشك فى سلامة إحصائيات الوفيات الخاصة الأشهر الأولى من هذا المعسكر ، كما يؤكد أن عدد الجثث التى تم حرقها فى معسكر بوخنوالد كل شهر معلومة للجميع وأن إجمالى هذه الوفيات يصل إلى ٢٨٨٢، نورد فيما يلى تفاصيلها :

السنة	الشهر	عدد الوفيات
١٩٤٣	أكتوبر	١٨
	نوفمبر	١٧٢
	ديسمبر	٦٧٠
١٩٤٤	يناير	٧١٩
	فبراير	٥٣٦
	مارس	٧٦٧

وفيما يلى إحصائية بوفيات السجناء حسب جنسياتهم ونسبها :

روس	٨٣٩	بنسبة	٢٩,١٪
فرنسيون	٦٠٨	بنسبة	٢٤,٦٪
بولنديون	٤٠٧	بنسبة	١٤,١٪
ألمان	٣٧٣	بنسبة	١٢,٩٪
إيطاليون	٢٦٤	بنسبة	٩,٢٪
يوغسلافيون	٩١	بنسبة	٣,٢٪
تشيكيون	٤١	بنسبة	١,٤٪
هولنديون	٣٢	بنسبة	١,١٪
بلجيكيون	١٥	بنسبة	٠,٥٪
جنسيات متنوعة	٥	بنسبة	٠,٢٪
جنسيات غير محددة	١٠٧	بنسبة	٣,٧٪

وهذه الإحصائية تتسق مع إجمالى عدد السجناء فى معسكر دورا. علمًا بأن معظم الروس المشار إليهم كانوا من الأوكرانيين الذين تم إجلاؤهم من معسكرات أوكرانيا عندما تراجعت القوات النازية فى النصف الثانى من عام ١٩٤٣ ، وتوجهت أفواج السجناء الفرنسيين القادمين من كومبين فى النصف الثانى من عام ١٩٤٣ إلى معسكر بوخنوالد ، وعقب استسلام القوات البريطانية أمام الجيش الألمانى فى سبتمبر ١٩٤٣ قامت القوات النازية بأسر الجنود الإيطاليين وإرسالهم إلى ألمانيا كسجناء حرب، وتم إرسال بعضهم إلى معسكر دورا ، وأيضًا تم إرسال اليوغسلافيين الذين أسرهم الفاشست فى إيطاليا كسجناء سياسيين إلى المعسكرات الألمانية ، أما البولنديون والتشيكيون فقد جاءوا عن طريق المعسكرات الأخرى وبخاصة معسكر

أوشفيتز. ومن الغريب أن نشاهد كل هذا الارتفاع فى عدد الوفيات بين الألمان رغم شغلهم لعدد من المناصب غير المتدنية ويعرف الدارسون أعداد سجناء دورا الذين تم حرقهم فى بوخنوالد فمن المعروف أنه تم شحن ألف سجين فى أفواج شهرية فى يناير وفبراير ومارس ١٩٤٤ . ويمكننا أن نستخلص منها عدد السجناء القادمين إلى دورا فى الفترة من نهاية أغسطس ١٩٤٣ حتى بداية أبريل ١٩٤٤ .

كان هناك فى دورا نحو ١٧٥٣٥ سجينًا. وفى بداية أبريل ١٩٤٤ كان هناك ١١٦٥٣ وصل عدد الوفيات منهم إلى ٥٨٨٢ تم حرق ألفين وثمانمائة واثنين وثمانين وترحيل ثلاثة الآلاف الباقين فى أفواج . أى أن عدد الموتى يمثل ثلث عدد القادمين إلى معسكر دورا فى فترة سبعة أشهر. صحيح أنه كان هناك فى بداية أبريل ١٩٤٤ بعض الناجين من الموت فى الأفواج الثلاثة المرحلة إلى معسكرى ماجدانيك وبرجن بلسن . ولكن لم يقيض لمعظمهم أن يعيشوا طويلاً . ومن بدايات الشهور ارتفع إجمالى عدد السجناء على النحو التالى :

أول سبتمبر	١٩٤٣	٣٨٠
أول أكتوبر	١٩٤٣	٣٢٩٠
أول نوفمبر	١٩٤٣	٦٢٧٦
أول ديسمبر	١٩٤٣	٨٩٧٦
أول يناير	١٩٤٤	٩٩٢٣
أول فبراير	١٩٤٤	١١٩٥٧
أول مارس	١٩٤٤	١١٥٢١
أول أبريل	١٩٤٤	١١٦٥٣

وكان عدد السجناء القادمين إلى دورا فى كل شهر على النحو التالى :

أغسطس	١٩٤٣	٢٨٠
سبتمبر	١٩٤٣	٢٩١٠
أكتوبر	١٩٤٣	٣٠٠٤
نوفمبر	١٩٤٣	٢٨٧٢
ديسمبر	١٩٤٣	١٦١٧
يناير	١٩٤٤	٣٧٥٣
فبراير	١٩٤٤	١١٠٠
مارس	١٩٤٤	١٨٩٩

قائمة جريفيير Greffier للوفيات :

توجد وثيقة مهمة تتضمن معلومات عن السجناء الفرنسيين فقط تعرف بقائمة جريفيير وهو اسم الرجل الذى أحضرها إلى فرنسا عام ١٩٤٥، وهذه القائمة تتضمن أسماء السجناء الفرنسيين الذين توفوا فى دورا مرتبة ترتيبًا أبجديًا كما تتضمن أرقام هويتهم وتواريخ ميلادهم ووفاتهم ، وتشوب الوثيقة مثالب وعيوب، وهى تشتمل على أخطاء عديدة وخاصة فى الأسماء ، ومع ذلك فإنها سليمة فى مجملها ويمكن الاعتماد عليها، وفى الفترة التى تنتهى فى مارس ١٩٤٤ بلغ عدد الموتى الذين أمكن التعرف عليهم ٦٨٥ شخصًا وهو رقم يتفق بوجه عام مع الرقم ٧٠٨ الوارد فى الإحصائية السالفة الذكر والخاصة بمختلف الجنسيات .

واستنادًا إلى قائمة جريفيير تمكن الباحثون من إعداد قائمتين أخريين أولهما خاصة بأرقام الهوية ، وثانيتهما خاصة بأوقات الوفاة وتبين قائمة الموتى المرتبة ترتيبًا زمنيًا عدد الوفيات الكبير فى الفترة من ديسمبر ١٩٤٣ حتى نهاية مارس ١٩٤٤ ، ومبدئيًا تم تسجيل أعلى معدل للوفيات فى الأيام العشرة الأخيرة من ديسمبر (١٩٤٣)

والأيام العشرة الأولى من يناير ١٩٤٥ وحدث انخفاض مفاجيء فى الوفيات فى الفترة التى أعقبت حملة التطهير الكبرى من القمل والحشرات ولكن حدث ارتفاع جديد فى عدد وفيات السجناء فى كل من إلريخ Ellrich وبويلك كاسرن Boelecke Kasserne.

وبفحص قائمة جريفيير يمكن الاستدلال على معدلات الوفيات فى الأشهر الأولى من معسكر دورا بالرجوع إلى المعلومات الخاصة بأوقات الوفيات ومقارنتها بتواريخ وصول السجناء إلى دورا كما نستخلصها من أرقام هويتهم . ويفترض أن السجناء الذين يحملون أرقام هوية متشابهة مثل أرقام التسلسل ٢١٠٠٠ وصلوا جميعًا إلى معسكر دورا فى نفس الوقت بعد إطلاق سراحهم من منطقة الحجر الصحى فى بوخنوالد. وعلى أية حال فمن المعروف أن بعض الفرنسيين مكثوا فى معسكر بوخنوالد لفترة قد تطول أو تقصر قبل ترحيلهم إلى معسكر دورا، ولكن فحص قائمة الناجين منهم من الموت توضح أن عددهم لم يكن كبيراً .

وأعدت إحصائيات تقوم على تواريخ وفيات الفرنسيين الذين يحملون أرقام هوية خاصة بمسلسل ٣٢ ألف وبمعنى آخر السجناء الذين وصلوا إلى دورا قبل ١ أبريل ١٩٤٤ كما مات منهم ١٤١ خلال الفترة التالية حتى إخلاء دورا فى أبريل ١٩٤٥ ولم تمض غير أسابيع قليلة على وصول الأفواج حتى تم تسجيل الأعداد الهائلة من الوفيات التى حدثت فى صفوفها .

يقول مياليه إن أول حالة وفاة بين السجناء الفرنسيين كانت لشخص يدعى أندريه كوماندير Andre Commandeur البالغ من العمر تسعة عشر عامًا ويحمل رقم ٢١٦٨٤ والمتوفى يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٤٣ ولكن ساليه يذهب إلى أن أول حالة وفاة كانت لموريس كونشوا Maurice Couchois الذى مات يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٤٣ وهو فى الثانية والثلاثين من عمره. وقد قام بالصلاة على جثمانه قسيس بروتستانتى سجين فى المعسكر .

وتحدث سجين فرنسى يدعى برنارد داستورج Bernaard d'Astorg عن والده الكولونيل داستورج الذى تم ترحيله إلى دورا فى أول الأفواج المرحلة من كومبين قائلاً: كنت فى النفق أعمل فى معسكر شركة AEg ، وفى نهاية مارس قابلت فرنسيًا نسيت

اسمه، وفى لهفة أبلغنى هذا الرجل أن والدى يرقد من شدة المرض فى المستشفى ، وتملكتنى دهشة عظيمة وتمكنت بطريقة ما من الحصول على إذن بالذهاب مباشرة إلى المستشفى ، ومازلت أتذكر الشمس الحارقة وكيف أن اجتيازى لمنطقة الطابور للوصول إلى المستشفى كان أشبه بالحلم .

"وعندما وصلت إلى المستشفى أرشدونى إلى مكان والدى . والحقيقة وجدت أبى هناك راقداً على مرتبة من القش شاركه فيها رجل يحتضر ، وجدت أبى شبه عار يعانى من الدوزنتاريا والالتهاب الرئوى أو الالتهاب البلورى ، وكان نحيفًا للغاية ويصعب التعرف عليه ، ولكن روحه المعنوية كانت عالية بشكل لا يصدق وأخبرنى والدى عن سعادته البالغة لرؤيتى فى حالة صحية جيدة بعض الشىء وطلب منى الصمود والمقاومة وأضاف أن يوم الخلاص ليس بعيداً فهو لا يتجاوز بضعة أشهر ، ولكن المشرف لم يسمح لى بالبقاء مع والدى سوى دقائق قلائل ذهبت بعدها إلى النفق ثم توجهت مرة أخرى إلى المستشفى بعد أيام قليلة ، وعلمت أنه تم ترحيل والدى فى فوج إلى معسكر للراحة، وفيما بعد علمت أنه الفوج الذى رحل إلى معسكر برجن بلسن فى ٢٩ مارس . وأسلم والدى الروح فى ٤ أبريل ١٩٤٤".

أما السجين أندريه روجرى الذى يحمل رقم هوية ٣١٢٧٨ فقد وصل إلى دورا فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٣ كاشفًا أسماء أقرب الأصدقاء إليه ممن وافتهم المنية، فقد مات صديقه بول كوربين دى مانجو Paul Corbin de Mangau السجين رقم ٣١٢٧٦ الذى توفى فى ٢ يناير ١٩٤٤ وماريوس بوشيه Marius Buchet الذى توفى يوم ٢٥ يناير فى العام السالف الذكر حاملاً رقم ٣١٢٨٣ وجين بورجونى Jean Bourgogne ويحمل رقم ٣١٣٠٠ والذى توفى فى ٤ فبراير ١٩٤٤، والجدير بالذكر أن روجرى نفسه رحل عن دورا فى ٥ فبراير ١٩٤٤ برفقة السجين رقم ٣١٢٩٨ واسمه موريس إستيوت Maurice Estiot إلى معسكر ماجدانيك حيث وافته المنية .

ووصل السجين رقم ٣٠٧٥٠ واسمه بيير أوشابى Pierre Auchabie إلى معسكر دورا فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٣ فى نفس الوقت الذى وصل فيه إلى هذا المعسكر ٢١

سجينًا آخرون فى كل من كواريز Coiréze ودورنى Bordogne أعاتى فيينا Haute-Vienne ، ولا سبيل إلى أنكار أن عشرات آلاف السجناء فى معسكر دورا قضوا نحبهم فى الأشهر القلائل الأولى من إنشائه. واللافت للنظر أن الوفيات الراجعة إلى أحداث وأعمال عنف فردية فى تلك الشهور القليلة كانت محدودة، صحيح أنه تم تنفيذ أحكام الشنق فى بعض السجناء ولكن عدد المشنوقين كان قليلاً، ومن بين السبعمائة سجين فرنسى الذى قضوا نحبهم لم يحكم على أى واحد منهم بالإعدام شنقًا. ولكن لابد من ملاحظة أن بعض السجناء ماتوا نتيجة الضرب المبرح عقابًا لهم على محاولة الهرب من مواقع أعمالهم خارج المعسكر مثل السجين بول بيلين Paul Belin الذى مات يوم ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ وأندريه ليجراند Andre Legrand الذى توفى يوم ٢٩ ديسمبر من نفس العام. ولكن ظروف وفاة هؤلاء السجناء أبعد ما تكون عن الوضوح .

دور المدنيين الألمان:

اضطلع المدنيون الألمان بمهمة الإشراف على عمل السجناء داخل النفق وخارجه. علمًا بأن معظم الذين أنشأوا مصنع دورا جاءوا أصلاً من قاعدة بيموند الجوية فضلاً عن أن العمال الآخرين المشاركين فى إقامته جاءوا من شركة ويفو والشركات المتعاقدة معها من الباطن .

السجناء اللابسون الشرائط على أذرعهم:

لعل من المهم أن نعلم أن المشرف فى معسكر بوخنوالد (الذى كان آنذاك تحت سيطرة السجناء السياسيين) هو الذى أعد أولى قوائم الأفواج المرحلة إلى دورا والتى تتكون من السجناء الألمان، سواء، أكانوا من السياسيين أو عتاة المجرمين ، ولا شك أن السجناء الفرنسيين والسوفيت المرحلين إلى دورا وجدوا عنفًا من العناصر الألمانية الإجرامية والعناصر البولندية التى أشرفت على ترحيلهم ، وانتهز المجرمون الألمان

فرصة الإشراف على الأفواج المرحلة إلى دورار للتشفى والثأر لأنفسهم من الإحباط الذى عانوا منه عندما كانوا سجناء عاديين فى معسكر بوخنوالد ، وكانت كراهية هؤلاء الألمان للأجانب واضحة الأمر الذى جعلهم يختصون الروس والفرنسيين والطليان بثأرهم . والجدير بالذكر أن هؤلاء المشرفين الألمان العتاة فى الإجرام الذين عاملوا بوحشية بالغة سجناهم القائمين بأعمال الحفر وتكسير الحجارة فى المحاجر ونقل الآلات أو البناء كانوا يضعون أشرطة على أذرعهم ولا شك أنهم بقسوتهم البالغة تسببوا فى إنهاك السجناء حتى الموت .

ولا غرو إذا رأينا دوتيلييه يصف الكابو (المشرف) الألمانى رودى شميدت Rudi Schmidt ومعاونه جامبو Jumbo بأنهما قذى وقطعة قمامة ، يقول دوتيلييه : "كان سبعة عشر فرنسيًا يخضعون للأوامر التى أصدرها رودى إليهم فى نهاية أكتوبر ١٩٤٣ وبحلول نهاية الشتاء لم يبق منهم على قيد الحياة سوى ثلاثة فقط" .

ولكن هذا الوضع تغير قليلاً فيما بعد، ويضيف ديتليو إلى ذلك قوله: " عندما انتقلت إلى معسكر جديد تغير الكابو الذى يشرف علىَّ ، فتركت المشرف رودى شميدت لأصبح تحت إشراف ويلى شميدت Willy Schmidt ، وبهذا فارقت رجلاً قذرًا كى أقع فى يد نصاب، وكان ويلى فى جثته أضخم من رودى وأكثر منه قوة وذكاء " .

والجدير بالذكر أن السجين برونخارت كان على علاقة طيبة بالكابو المشرف على معسكر AEY الذى أدين بسبب انخراطه فى أعمال التزييف .

واللافت للنظر أن عدد السجناء السياسيين الذين أرسلوا إلى معسكر دورا كان محدودًا ، ويبدو أن زعماء معسكر بوخنوالد من النشطاء السياسيين تعمدوا عدم إرسال رفاقهم إلى معسكر دورا حتى لا يتعرضوا للتهلكة، ورغم ذلك فقد أصر قومندان معسكر بوخنوالد على تعيين اثنين من الشيوعيين الألمان فى قطاعى دورا (١) ودورا (٢) وهما ميكانيكى من بافاريا يدعى جورج توماس Georg Thomas وعامل منجم من سيليزيا العليا اسمه لودينج سزيمزاك Ludwing Sczymezak ، ويبدو أن هذين الرجلين وصلا إلى معسكر دورا فى ٢٨ أغسطس ١٩٤٣ ومعهما كابو آخر هو أوتو رانك

Otto Runke ، وطبقًا للمعلومات التى أوردها بورنمان ألحق بمعسكر دورا كل من كارل شوتيز Karl Schweitzar [1] وألبرت كونتز Albert Kuntz وأوغسط كرونبرج August Kroneberg.

ويذكر أن توماس وسزهزاك أحيطا بهالة من البطولة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ويرجع ذلك إلى سببين أولهما رفضهما تكليف النازيين لهما بأداء دور عشماوى فى فبراير ١٩٤٤ ، وثانيهما أنهما لقيا حتفهما فى أبريل ١٩٤٥ مع بعض الشيوعيين الآخرين بعد مضى أسابيع على الزج بهما فى السجن . وقد حل محلهما رجل عتيد فى الإجرام اسمه LA ، ويبدو من شهادتى التشيكيين ليتموسكى وبينز أنهما كانا ساخطين على توماس بسبب شدة كراهيته للتشيكيين نظرًا لانتمائه إلى مقاطعة بافاريا .

دور وحدة البوليس الخاصة :

لعب رجال وحدة البوليس الخاصة دورا فظيعًا ومروعًا فى الأشهر الأولى من إنشاء معسكر دورا سواء داخل الأنفاق أو خارجها فهم لا يتوانون عن بث الرعب فى قلوب السجناء وخاصة الأوكرانيين فقد عاقبوا السجناء على أقل هفوة بجلدهم خمسة وعشرين جلدة ، وفى خارج الأنفاق أطلق رجال وحدة البوليس الخاصة كلابهم لمطاردة السجناء الذين يحاولون الهرب من المعسكر ، وبلغ جبروتهم مبلغًا جعلهم يرغمون السجناء داخل الأنفاق على الاصطفاف فى طابور النداء على الأسماء ، يقول لنا برونجارت فى هذا الشأن : "كان السجناء الخالون من العمل فى المعسكر ينتظمون كل يوم أحد فى طابور النداء على الأسماء مهما كان سوء الجو. وخرجنا من النفق وصدر إلينا أمر بالوقوف على يسار المدخل فى تلك المنطقة المخصصة لتخزين محصول البنجر. وحتى نصل إلى هناك فى صفوف يتكون كل منها من خمسة أفراد تأبطنا

---

(١) كارل شفاتيزر.

أذرع البعض حتى لا ينفرط عقد الطابور لأن المرضى أحيانًا كانوا يعجزون عن الوقوف ، وكان رجال الوحدة الخاصة يراقبوننا بكلابهم التى تتدخل وتتحرك كلما كانت هناك فجوة واسعة بين الصفوف، وتسلقنا التل للوصول إلى الموقع ونحن نخوض فى الوحل الكثيف الذى يلتصق بأحذيتنا المصنوعة من القماش ويتسرب إليها، وسببت لنا هذه المسيرة ألمًا ممضًا كما أن هذه المسيرة كانت سببًا فى نشوب عراك بين السجناء على الأماكن الأفضل حيث إن السجناء الواقفين على الأطراف تلقوا سيلاً منهمرًا من الضربات .

ويوضح لنا مارونو Maronneau الأمر بقوله : " اقتيد نصف الفوج إلى النفق للعمل فورًا فى حفر أحد العنابر. وبعد ليلة قصيرة أخرجونا من النفق لشحن مواد متنوعة لبناء ثكنات وحدة البوليس الخاصة واستمر هذا نحو ثلاثة أسابيع ، وبعد الزيارة التى قام بها كبار النازيين تقرر تكوين فريقين أحدهما للعمل فى الخارج لبناء المعسكر والآخر للاستمرار فى حفر النفق. ويبدو أن الزيارة التفقدية التى قام بها قومندان بوخنوالد ساعدت على زيادة الهمة والنشاط وتلافى أى تقصير ، وطبقًا للتعليمات التى أصدرها كاملر Kammler أعطيت الأولوية لإقامة مصنع النفق والنقاط المؤدية إليه، فى حين تأجل تنفيذ أى شىء آخر يتعلق بالمعسكر ، وتوقفت النداءات على الطوابير خارج الأنفاق ، وهكذا أصبح يوم الأحد يومًا عاديًا. ولكن حدث فى شهر فبراير وفى عز الثلج أن اصطف طابور عام للنداء على أسماء السجناء .

معسكر مصنع إنتاج الصواريخ:

أصبح مصنع الصواريخ وحده مركز اهتمام النازيين ابتداء من نوفمبر ١٩٤٣ حتى انقضاء عدة شهور. فقد كان شغلهم الشاغل إقامة المصنع بأى ثمن ، كان المطبخ يتصدر المعسكر حيث جاء إليه سكان النفق لتناول الشوربة قبل الإيواء إلى مخادعهم وعنابر نومهم أو قاعات العمل تغطيهم القذارة ، ويملأهم القمل، وبعد انتشار القمل ألحق بمبنى المطبخ بلوك للتطهير . ونظرًا لأن إقامة المصنع تطلبت كل الفراغات

الشاغرة فقد تعذر بناء محرقة لحرق الجثث الكثيرة المتراكمة والتى تسبب فيها إرهاق العمل فى المصنع بوفرة تفوق إنتاجه للصاروخ V2 . وكانت أفجع فترة وأكثرها مأساوية فى تاريخ معسكر دورا تلك الأشهر التى امتدت من شهر نوفمبر إلى مارس ١٩٤٣ ، ففى هذه الفترة بذل النازيون جهوداً محمومة من أجل تنفيذ أوامر هتلر بضرورة إنتاج طراز جديد من الصواريخ قادر على تغيير مجرى الحرب، ويبدو أن الألمان كانوا يلهثون وراء سراب خادع، وعلى أية حال توفر الألمان من رجال المدفعية والمهندسين والباحثين على استحداث وتطوير هذه الصواريخ منذ عام ١٩٣٢ أى حتى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وقد وجد نشاطهم المحموم فى هذا الشأن مؤازرة من طبقة التكنوقراط العاملين بوزارة التسلح منذ عام ١٩٤٢ومن ناحيتها سعت وحدة البوليس الخاصة ما وسعها السعى لإخضاع هذا النشاط المحموم لسيطرتها .

وإذا نظرنا إلى مراكز القوى فى نهاية عام ١٩٤٣ يتضح لنا أن ألبرت سير الذى حظى بقمة النفوذ والسطوة كان المسيطر على الموقف فهو الذى حضر لزيارة مصنع النفق فى ديسمبر ١٩٤٣، وهو الذى أبلغ كاملر برضائه عن الإنجازات التى تحققت .

وفى ربيع عام ١٩٤٣ حتى قبل أن تقصف قوات الحلفاء قاعدة بينيموند الجوية كانت هناك حاجة ماسة لتشغيل عمال سجناء معسكرات الاعتقال كما كان المسئولون عن مصنع دورا أمثال دورنبرجر ورودولف وفون براون وسبير ودجيكولب وساوازكى وكاملر يدركون حقيقة المشاكل التى تجابههم .

ويرى أندريه سيلييه مؤلف "تاريخ معسكر دورا" أنه لا يمكن تحميل أحد هؤلاء المسئولين تبعية الجحيم الذى عاشة السجناء فى دورا حيث إن المسئولية الفردية تتلاشى أمام عملية إجرامية من ألفها إلى يائها. ويزيد من هذه المسألة تعقيداً غياب الملفات والوثائق ، ولهذا يؤكد أندريه سيلييه أن مسئولية وفاة الوف الضحايا هى فى نهاية الأمر مسئولية جماعية وليست مسئولية فردية .

الفصل الخامس

صراعات القوى بين سبير وكاملر وورودنبرجر وفون براون فى عام ١٩٤٤

فى عام ١٩٤٤ تأثر مصير آلاف السجناء فى معسكر دورا ومصنع النفق هناك بل فى غيره من المعسكرات الفرعية التابعة له بصراعات القوى المحتدمة بين القيادات النازية المقربة من هتلر ، وفى خريف ١٩٤٤ استطاعت وحدة البوليس الخاصة أن تخضع دورا لسيطرتها وأن تجعله معسكرًا مستقلاً . وفرض كاملر الضابط فى هذه الوحدة هيمنته الكاملة على منطقة ميتلبو [1] Mittelbau فى محيط يصل إلى ثلاثين ميلاً فى نوردهاوزن .

موقف ألمانيا العسكرى فى عام ١٩٤٤

بدأت القوات النازية على الجبهة الشرقية فى التقهقر بشكل واضح فقد تمكنت القوات السوفيتية من استرداد كييف يوم ٦ نوفمبر ١٩٤٣ وأوديسا فى ١٠ أبريل ١٩٤٤ وسبستبول فى ٩ مايو من نفس العام وفى الشمال انتهى الحصار المفروض على لننجراد فى ٢٧ يناير . وفى يوليه ١٩٤٤ وصل الجيش الأحمر أولاً إلى مينسك Minsk ثم فيلنيوس Vilnius ولوبلين Lublin ولفوف Lvov وبرست – ليتوفسك Brest-Litovsk. وكانت

(١) يقيل باو " المبنى المركزى أو الأوسط .

هذه البلدان البوابات المؤدية إلى شرق بروسيا ونهر الفستولاVistula الذى يجتاز وارسو وأيضًا تم إجلاء بليزنا Blizna . وفى أغسطس ١٩٤٤ تخلت رومانيا عن مؤازرة القوات النازية، وهو ما فعلته بلغاريا فى سبتمبر من نفس العام ، وكذلك وضعت فنلندا السلاح. وفى أكتوبر ١٩٤٤ تمكنت بريطانيا من احتلال أثينا، وفى نهاية ١٩٤٤ انسحبت ألمانيا من مقدونية والصرب وألبانيا . وفى ٢٧ ديسمبر ١٩٤٤ قامت قوات الحلفاء بغزو بودابست وتطويقها ، وفى إيطاليا استولى الحلفاء على مونت كاسينو فى مايو ١٩٤٤ ودخلوا روما فى يونيه وفلورنسا فى أغسطس ورافينا Ravenna فى ديسمبر من العام السالف الذكر ثم غزا الحلفاء نورماندى فى ٦ يونيه وبروفانس فى ١٥ أغسطس من العام نفسه ، ووصل جيش الحلفاء إلى باريس يوم ٢٥ أغسطس وليون فى ٣ سبتمبر وانتويرب Antwerp فى ٤ سبتمبر ولوكسمبورج فى ١٠ سبتمبر وستراسبورج فى ٢٣ نوفمبر من نفس العام ، وهكذا أصبحت ألمانيا نفسها مهددة بالغزو واستولى الأمريكان على أخن Achen فى ٢١ أكتوبر ودورن Duren فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٤ ، وقرر هتلر شن هجوم مضاد على منطقة أردنيس Ardennes (١) فى ١٦ ديسمبر من نفس العام وفى نهاية عام ١٩٤٤ أصبح غزو الحلفاء لألمانيا وشيكا .

صراع القوى فى صفوف القيادات النازية قبل محاولة اغتيال هتلر الفاشلة:

لم تكن علاقات القوى التى تحكم السياسة الألمانية عام ١٩٤٤ واضحة المعالم. ولكن المحاولة الفاشلة لاغتيال الفوهرر كانت بداية مرحلة جديدة، وحسب قول سبير لم يسبب نزول قوات الحلفاء فى نورماندى أى انزعاج لهتلر الذى ظل يعيش حياته اليومية المعتادة فى بلدة بيرختسجادون (٢) Berchtesgaden التى يقال لها برجوف Berghof أو أوبرسالزبورج Obersalezberg أحيانًا .

---

(١) الأردين .

(٢) بيرخستجادن ، مدينة تقع فى ولاية بافاريا بالقرب من الحدود النمساوية .

وكما سبق أن ذكرنا أصبح ألبرت سبير فى نهاية عام ١٩٤٣ متربعًا على قمة النفوذ والسلطة فى مجال الإنتاج الصناعى لأنه كان يحظى بثقة وزير الاقتصاد والتر فونك Walter Funk [١] الذى أنيط به تنفيذ خطة السنوات الأربع . غير أنه لم يكن مسئولاً عن بناء الطائرات حيث إن هذا كان من اختصاص المارشال إرهاد ميلخ Erhard Milck أو بناء السفن الذى اضطلع به الأدميرال كارل دونيتز Kark Donitz ، وعلى أية حال كان ألبرت سبير على علاقة طيبة بكل من فونك وميلخ ودونيتز ، ولكن يقال إن سبير لم يكن على علاقة طيبة ببطانة هتلر التى ضمت مارتن بورمان رئيس المستشارية ووكيله هانز لامرز Hans Lammers والمارشال ويلهلم كيتيل Wilhelm Keitel فضلاً عن أن أصدقاءه من الرعيل الأول للنازية مثل فريتز سوكل Fritz Sauckel فى نورثنجيا كانوا ينظرون إليه شذراً . أما علاقته بكل من جورنج وجوبلز فتأرجحت بين الجودة والسوء ، ومع ذلك فقد وجد سبير بوجه عام تأييدا ومؤازرة من رجال الجيش ، وخاصة من الجنرال هاينز جودريان Heinz Guderian [٢] ، ولكن هذا التأييد وقف عائقًا فى طريق طموحات هلمر ووحدة البوليس الخاصة وسعيها إلى الحصول على السلطة .

وكانت علاقة سبير بالفنيين والخبراء فى قاعدة بينيموند وميتلوبرك وطيدة فلا غرو إذا رأيناه يبدى عظيم اهتمامه باستئناف إجراء الاختبارات والتجارب على الصاروخ V2 ، وعلى أية حال منيت التجارب الأولى التى أجريت على هذا الصاروخ فى بليزنا بالفشل الواضح .

وفى يناير عام ١٩٤٤ داهم المرض سبير الذى عانى من التهاب فى ركبته اليسرى الأمر الذى أدى إلى نقله إلى المستشفى فى ١٨ يناير من نفس العام حيث عالجه الدكتور جيبهاردت Gebhardt فى مستشفى هوهنلتشن Hohenlycben التابع لوحدة

---

(١) ڤالتر فونك .

(٢) يعد جورديان واحداً من أبرز القادة العسكريين ، خاصة بعد أن وضع أسس استخدام الباترز فى المعارك والتى فتحت الباب على مصراعيه أمام أسلوب الحرب الخاطفة blitz Krieg .

البوليس الخاصة. ويقع هذا المستشفى فى شمال براندنبرج Branderburg على بعد نحو سبعة أميال ونصف من رافنزبروك .

وجد سبير صعوبة فى تسيير شئون الوزارة وهو فى فراش المرض الذى أنهكه وبلغ به كل مبلغ ، وفى ١٠ فبراير من العام نفسه دخل سبير فى غيبوبة لمدة ثلاثة أيام. وكلف هتلر طبيبه الخاص فردريك كوخ بعلاجه والبقاء إلى جواره حتى استرد صحته، وتمكن من مغادرة المستشفى يوم ١٨ مارس ليدخل مرحلة النقاهة . ثم أمضى بضعة أيام فى كليسيهايم Klessheim بالقرب من سالزبورج حيث زاره هتلر. ثم انتقل إلى ميران Me-ran فى جنوب التيرول الذى ضمه الرايخ الألمانى إليه. ولهذا تم استبعاد سبير من السلطة لمدة نحو ثلاثة أشهر .

ثم وقعت بعض الأحداث مثل القبض ثم الإفراج عن خبير الصواريخ فون براون . بدأت متاعب فون براون (الذى كان ضابطًا فى وحدة البوليس الخاصة) عندما قام هملر باستدعائه إلى مركز قيادته فى هوشولد Hochwald [1] فى شرق بروسيا فى شهر فبراير ١٩٤٤ ، واقترح هملر على براون أن يتعاون تعاونًا وثيقًا مع كاملر لحل المشاكل التى تعوق إنتاج الصاروخ V2 . ورد براون على ذلك بقوله إن هذه المشاكل تقنية وإنه سوف يلقى المساعدة المطلوبة من دورنبرجر ، ويبدو أن فون براون كان تحت المراقبة من قبل جهاز SD الذى كان يعد تقريراً ضده وضد كل من كلوس ريدل وهلموت جروتروب Helmut Grottiup لأنهم تجرأوا فى جلسة خاصة وعبروا عن مخاوفهم من أن الحرب لا تسير فى صالح بلادهم، وفى يوم ٢٢ فبراير ١٩٤٤ ألقى القبض على فون براون وزج به فى ستتن Stettin . ثم قبض فى اليوم التالى على أخيه الأصغر ماجنوس المهندس الكيماوى والطيار العامل فى قاعدة بينيموند ، بالإضافة إلى ريدل وجروتروب. اعتقل فون براون لمدة أسبوعين دون توجيه أى اتهام محدد إليه. وقام كيتل باستدعاء دورنبرجر لتبليغه خبر اعتقال فون براون وطلب منه عدم التوسط أو الشفاعة له لدى

---

(١) هوخفالد .

هتلر ، ولكن اعتقال براون لم يدم طويلاً، فقد أطلق سراحه دون أن يتعرض هو وأخوه إلى أية مضايقات أخرى. ويبدو أن بعض أصدقائه مثل سبير توسطوا لإطلاق سراحه، وأيضًا تم إطلاق سراح كل من ريدل وجروتب ، وتوفى ريدل فى حادث فى شهر أغسطس ١٩٤٤ فى حين ظل جيروتروب تحت المراقبة لفترة أطول، وذهب فى عام ١٩٤٥ إلى ثورنجيا ثم روسيا .

وفي يوم ١٩ أبريل ١٩٤٤ أرسل سبير مذكرة إلى هتلر من هيران بناء على القرار الذى اتخذه الفوهرر بضرورة إنشاء ستة مصانع ضخمة تحت سطح الأرض لحماية مصانع الطائرات من القصف ، فوعد دورش Dorsch بالانتهاء من هذا الشروع فى غضون ستة أشهر ، وقلب هتلر لسبير ظهر المجن لفترة ولكنه عاد ليرضى عنه ويعيده إلى وظيفة فى برلين فى مايو ١٩٤٤ فأخذ يجوب ألمانيا فى زيارات عمل تفقدية .

كاملر ينشيء مقر السوندرستاب Sonderstab لإقامة المشروعات: [١]

فى فترة غياب سبير واستبعاده من موقع المسئولية وتعيين كاملر محله نجحت وحدة البوليس الخاصة فى تجهيز مواقع صناعة الطائرات بالمعدات اللازمة كما زودتها بعمالة معسكرات الاعتقال . وقد وعد هتلر كاملر بتزويده بأعداد كبيرة من يهود المجر للعمل فى المصانع ، وفى تلك الفترة أظهر هتلر قلقًا بشأن سرعة إنجاز هذه المصانع بسبب شدة قصف القوات الأمريكية للمنشآت الألمانية فى فبراير (١٩٤٤) . وتم اتفاق بين سبير وميلخ للإسراع فى إنشاء مصانع إنتاج الطائرات المقاتلة حيث عمل كاملر تحت رئاسة سور . وأصدر جورنج أوامره إلى كاملر بإنشاء مصانع الطائرات تحت الأرض ، وعلى الفور أنشأ كاملر سوندرستاب (أو مركز قيادة) للبدء فى تنفيذ أوامر جورنج فى أرجاء الرايخ المختلفة ، ولهذا حدثت حركة تنقلات واسعة النطاق للوفاء

(١) سوندرستاب أطلق على وحدة خاصة تكلف بمهام خاصة وتعد مركز قيادة .

بأوامر جورنج فعلى سبيل المثال تم سحب وحدات إنتاجية من شركة يونكربتريبب Junkers Betriebe ونقلها من ماجدبرج Magdeburg وكوثن Kothen وليبنرج إلى نوردويرك نيادر ساشورفن Nordwerk Niedersachswerfen[1] ، وهو الاسم الذى أطلق فى أبريل عام ١٩٤٤ على الجزء الشمالى من نفق كوهنشتين Kohnstein الذى قام مصنع ميتلويرك بتسليمه إلى العنبر ٢٠ وأيضًا تم نقل وحدات إنتاجية أخرى تابعة لمصانع يونكر فى شونبك Schonebeck حيث كان الموقع المحفور تحت الأرض والمعروف باسم هينكل Heinkehle القريب من روتلبرود Rottleberode الأكبر من نوعه فى كل ألمانيا .

إجراء التجارب على صاروخ V2 واجتماع ٦ مايو ١٩٤٤ :

لم تبدأ ألمانيا فى إطلاق الصاروخ V2 على باريس ثم لندن إلا فى ٨ سبتمبر ١٩٤٤، أى بعد مرور أكثر من عام على قصف الحلفاء لقاعدة بينيموند الجوية وبعد مضى ثمانية أشهر على أول صاروخ قام مصنع ميتلويرك بإنتاجها. وظل مركز تجارب الصواريخ فى بليزنا يعمل حتى شهر يونيه من العام المشار إليه. وفى نفس الوقت كانت التجارب على الصواريخ تجرى فى جزيرة قريبة من قاعدة بينيموند تعرف بجزيرة جريفسوألدرأوى Greifswalder Oie .

ومن الواضح أن العيوب كانت تشوب إنتاج أول دفعة من الصواريخ فى أوائل عام ١٩٤٤ فقد كثرت الشروخ والتسريبات وسوء لحام المعادن مما استلزم وقتًا فى معالجتها. وتسبب هذا بطبيعة الحال فى تأخير التجارب، واستمرت المشكلات الخطيرة فى الظهور عند إطلاق الصواريخ حتى موسم الربيع حيث إنها كانت تتفجر فى الهواء أو ترتد إلى الوراء، ولوحظ فى الشهور التالية أن الصواريخ تنفجر فى الهواء قبل وصولها إلى الهدف بآلاف الأقدام ، وفى ٦ مايو ١٩٤٤ عقد المسئولون اجتماعًا مهمًا

(١) نيدرساكشورفن .

من أجل حل هذه المشكلات التقنية فى مكتب جورج ريكهى Geaorg Rickhey الذى عين رئيساً لمصنع ميتلويرك فى ١٣ أبريل فى العام المذكور ، وقد اختاره سبير لشغل هذا المنصب بسبب معرفته بشئون الصناعة من ناحية وعمله في إدارة أحد فروع DEMAY والبيت الفنى فى إسن، واشترك فى هذا الاجتماع الجنرال دورنبرجر والجنرال روسمان Rossmann وقومندان وابروف ١٠ (Wapruf 10) وخمسة ضباط من سلاح المدفعية العاملين فى مكتب إصدار الأوامر بالإضافة إلى أربعة مديرين من سوندراوشوس (٤أ) من بينهم كونز Kunz وستورشStorch ، وكذلك حضر الاجتماع الخبيران فون براون وشتاينهوف Stenihoff إلى جانب تسعة مندوبين عن مصنع متلويرك يشملون ريكهى وكتلر Kettler وسواتزكي ورودلف وفورشنر ومندوب شركة من الباطن هى شركة أسكانيا، ويبدو أن كل المجتمعين كانوا بصورة أو أخرى من أنصار سبير المقربين إليه .

والجدير بالذكر أن المشتركين فى هذا الاجتماع الكبير زاروا مصنع إنتاج الصواريخ لتفقد سير العمل فيه. ورغم أنهم لم يزوروا عنابر نوم العاملين من السجناء فلا بد أنهم قابلوا فى طريقهم العشرات من هؤلاء البؤساء ، ولم يحضر هذا الاجتماع مندوباً عن وحدة البوليس الخاصة سوى فورشنر قومندان المعسكر باعتباره أحد مديرى مصانع ميتلويرك .

وطلب المجتمعون من كاملر تزويد مصنع الصواريخ بعدد إضافى من السجناء يبلغ ألفًا وثمانمائة سجين. ولكن كاملر تجاهل هذا الطلب لأن السجناء القادمين من معسكر بوخنوالد أرسلوا إلى أماكن أخرى هى إلريخ وهارزونجن Harzungen (أو ويبدا Wieda) . وكانت إحدى المشاكل التى نوقشت فى الاجتماع عيوب إنتاج محرك الصاروخ فى مناطق متفرقة ومتباعدة من الناحية الجغرافية ، فقد كانت هذه المحركات تصنع فى كل من ميتلويرك وساربروك Saarbruck وليتزمانستدات Litzmannstadt (وهو الاسم الجديد لشركة لودز) ، فضلاً عن قيام شركتين أخريين فى باريس بإنتاجها، واقترح المجتمعون تركيز جهات الإنتاج فى مكان واحد هو مصنع ميتلويرك حيث تنقل الآلات والعمالة المطلوبة إلى هناك .

وقد أدلى ستورش فى الاجتماع بتعليق عابر ولكن له دلالته إذ قال : "نحن لا نستطيع استخدام العمالة الفرنسية إلا إذا كانت تلبس زى السجناء الرسمى، أى أن تشغيلها يتطلب إلقاء القبض على المدنيين الفرنسيين اللازمين للعمل وترحيلهم إلى موقعه، وترجع أهمية تعليق ستورش إلى لجوء النظام النازى إلى اعتقال المدنيين على نطاق واسع دون سند قانونى.

أعطى هتلر برنامج إنتاج الصواريخ V2 أولوية قصوى ، والواقع أن الطائرات الألمانية من طراز لوفتواف Luftwaffe [1] تأهبت للإغارة على لندن التى قصفها الألمان لأول مرة فى ١٣ يونيه ١٩٤٤ ، وذلك بعد أسبوع واحد من نزول قوات الحلفاء فى نورماندى . وأثلج صدر هتلر أن ألمانيا استطاعت إنتاج عدد هائل من هذه الصواريخ على وجه السرعة، والجدير بالذكر أن دورنبرجر وفون براون ذهبا إلى منطقة التجارب فى بلزنا كى يريا بنفسيهما مسار هذه الصواريخ وهى تتحرك نحو أهدافها، الأمر الذى كاد أن يودى بحياة فون براون .

ولاشك أن مراقبة مسارات الصواريخ V2 أثناء تجربتها أدى إلى إجراء تغييرات كثيرة ومتعاقبة عليها سواء أكان هذا من قاعدة بينيموند أو مصانع ميتلويرك، وفى قاعدة بينيموند لم يقتصر عمل فون براون والآخرين على تطوير صواريخ V2 بل قاموا بتصميم قذائف مضادة للطائرات فى برنامج يعرف باسم برنامج الشلال الذى بدأ العمل فيه عام ١٩٤٢، وفى أغسطس ١٩٤٤ تم نقل ربع عمالة قاعدة بينيموند للعمل فى هذا البرنامج. وقد لازم الإخفاق تجارب الصواريخ حتى يوم ١٣ يونيه ١٩٤٤ عندما أطلق صاروخ من طراز V2 مركب فيه جهاز إرشاد لتصحيح مساره. ولكن هذا الصاروخ طاش وانفجر فى الهواء فوق مدينة كالمار Kalmar السويدية ، الأمر الذى مكن قوات الحلفاء من فحص مخلفاته والقيام بدراستها وتحليلها .

(١) القوات الجوية الألمانية .

قلق بريطانيا من الهجوم النازى المكثف عليها:

فى خلال يوم واحد هو يوم ١٥ يونيه ١٩٤٣ أطلق الألمان ٢٤٤ صاروخًا من طراز V1 على بريطانيا وتلاها يوم ٢٩ يونيه إطلاق ألفى قذيفة ، وفى أوائل يوليه بلغ عدد القذائف الصاروخية التى أطلقها الألمان من الأراضى الفرنسية على أهداف بريطانية من بادى كاليه Pas-de-Calais وسوم مائتى قذيفة فى اليوم الواحد مخلفة دمارًا هائلاً وخاصة فى العاصمة البريطانية لندن مما جعل مليونًا من سكانها يهجرونها وينزحون إلى الريف والأقاليم ، ولم تكن قوات الحلفاء مشغولة فقط بالصواريخ الألمانية طراز V1 التى انهمرت على بريطانيا انهمار المطر الهاطل فقد لفت نظرها توقف إطلاق الصواريخ من قاعدة بينيموند ، وفى نهاية ديسمبر ١٩٤٣ لفتت المقاومة البولندية أنظار الحلفاء إلى وجود موقع لإطلاق الصواريخ فى بليزنا، واستطاع الحلفاء فى ٥ مايو ١٩٤٤ التقاط صورة فوتوغرافية من الجو لصاروخ ألمانى فى هذا الموقع وفى يونيه تأكدت معلومات الحلفاء عندما فحصوا شظايا وأنقاض صاروخ نازى انحرف عن هدفه وسقط فى بلدة كالمار بالسويد التى احتجت احتجاجًا شديد اللهجة لدى الحكومة الألمانية على هذا العدوان غير المبرر. ورفضت السويد إعادة أنقاض الصاروخ إلى الألمان ووافقت على تسليمه إلى بريطانيا التى أرسلت فى تكتم شديد طائرة شحن لجلب قطع الصاروخ المتناثرة بهدف دراستها .

وأيضًا يخبرنا ماك جوفرن MC Govern عن حصول المقاومة البولندية على صاروخ من طراز V2 وتفكيك قطعه الأساسية (المجهزة بنظام إرشاد) ونقلها بطائرة طراز داكاتو جاءت لنقلهم من قاعدة برنديسى . ووصلت أجزاء هذا الصاروخ إلى بريطانيا بعد أن وصل إليها الصاروخ V2 الذى سقط عن طريق الخطأ فى السويد .

إجراء تغييرات فى النظام النازى بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال هتلر:

بعد محاولة اغتيال هتلر الفاشلة فى ٢٠ يوليه ١٩٤٤ أصبح هملر قائدًا للجيش بعد استبعاد فروم من قيادته . وفى ٦ أغسطس من نفس العام أعطى هملر لكاملر سلطة الإسراع فى إنتاج واستخدام الصاروخ V2 لأن قدرته التدميرية تفوق الصاروخ V1 ، فضلاً عن أن وضع قوات الحلفاء العسكرى كان فى تحسن مطرد. فقد تمكن الجيش الأمريكى فى ٣١ يوليه من هذا العام من اختراق خطوط الجيش الألمانى فى أفرنشس Avranches كما أن الحلفاء أحرزوا انتصارًا كبيرًا وسريعًا فى نهاية شهر أغسطس وبداية شهر سبتمبر من العام المذكور ، وتم تحرير باريس فى ٢٥ أغسطس وأمينز Amens[١] فى ٣١ أغسطس وبروكسل فى ٣ سبتمبر وأنتويرب فى ٤ سبتمبر من نفس العام . وهكذا وقعت كثير من مواقع إطلاق الصواريخ V2 فى أيدى الحلفاء فى المنطقة الواقعة بين نهر السين الأدنى والمجرى الأدنى للموز Mause .

وكذلك تم تدمير قاعدة وزرنيس Wizernes قبل استكمال قدراتها على إطلاق الصواريخ V2 إلى جانب تدمير مصنع الأوكسجين السائل فى إبرليك Eperlecques .

وأطلق الألمان أول صاروخ V2 فى ٨ سبتمبر ١٩٤٤ من منطقة الأردنز Ardennes فى اتجاه باريس. وكذلك سقط صاروخان من هذا الطراز فى لندن أحدهما فى تشزويك Chiswick والآخر فى ابنج Epping ، وبعد ذلك بدأ الألمان فى إطلاق صواريخهم من مواقع متحركة (كما سبق أن نصحهم دورنبرجر بذلك) لضرب لندن وأنتويرب وليج Liege .

(١) أميان .

قاعدة بينيموند فى شهورها الأخيرة:

ظلت بينيموند قاعدة عسكرية حتى النهاية، ولكن تغييراً أساسيًا طرأ عليها بعد ٢٠ يوليه ١٩٤٤ وإعادة تنظيم هيكلها الإنتاجى وكان الهدف من إعادة تنظيمه تبسيط إجراءات العمل ، ولكن التنظيم الجديد لم يمس دورنبرجر أو فون براون بأى ضرر أو يقلص سلطاتهما فقد كانت الحاجة إلى خبرتهما فى مجال إنتاج الصواريخ عظيمة وابتداء من أغسطس ١٩٤٤ حتى يناير ١٩٤٥ استمر العمل فى قاعدة بينيموند رغم انخفاض حجم العمالة فيها نتيجة ترحيل السجناء إلى مصنع ميلتويرك من ناحية والقصف الأمريكى المكثف عليها فى ١٨ يوليه و ٢ أغسطس و٢٥ أغسطس ١٩٤٤ من ناحية أخرى .

وأجريت تجارب عديدة ليس على الصاروخ V2 فقط بل أيضًا على الصاروخ ذى الجناح (٩أ) الذى أصبح يعرف باسم (أ٤ب) ولكن التجارب التى أجريت فى ديسمبر ١٩٤٤ ويناير ١٩٤٥ لم تسفر عن شىء ، ومع ذلك فقد دفع الخيال الشاطح الألمان إلى محاولة إنشاء منصة مربوطة بغواصة يمكن إطلاق صاروخ V2 منها على نيويورك كما أن هذا الخيال الجامح جعل النازيين يعقدون اتفاقًا مع شركة فولكان Vulkan لبناء السفن فى ستتن Stettin لإقامة منصات الغواصات .

كان فون براون على علاقة وثيقة بمصنع ميتلويرك كما كان أحيانًا يزور مصنع النفق، ويذكر براون فى خطاب أرسله يوم ١٥ أغسطس ١٩٤٤ إلى سواتزكى فى إحدى المناسبات قائلاً :"عزيزى السيد ساواتزكى : فى أثناء إحدى زياراتى الأخيرة إلى ميتلويرك اقترحت علىَّ بطريقة عفوية أنه ينبغى علينا استغلال التدريب الفنى العالى الذى يتمتع به السجناء عندك وفى معسكر بوخنوالد لتعظيم أعمال التطوير والتشييد الإضافية فى وحدات صغيرة ، وفى تلك المناسبة قمت بتقديمى إلى أستاذ فيزياء سجين... وعلى الفور قبلت اقتراحك وذهبت مع الدكتور سيمون إلى معسكر بوخنوالد للتعرف على السجناء الأكفاء الآخرين. وكما اقترحت علىَّ طلبت من بستر Pister نقلهم إلى مصنع ميتلويرك .

أما أستاذ الفيزياء الفرنسى السجين المشار إليه فهو شارل سادرون Charles Sadron . وفيما يلى انطباعات سادرون عن فون براون : - "كان (براون) شاباً شديد الوسامة له ملامح ألمانية يجيد التحدث بالفرنسية ، وعبر لى بطريقة دمثة وألفاظ محسوبة ومنتقاة عن أسفه لرؤية أستاذ فرنسى فى مثل حالتى البائسة ، واقترح على الحضور للعمل فى معمله ، وبطبيعة الحال كان يستحيل على قبول عرضه فرفضت بشىء من الجفاء. واستأذن فون براون منى للانصراف مبتسماً وهو يتركنى ، وفيما بعد علمت أنه رغم رفضى حاول عدة مرات أن يحسن وضعى ولكن دون جدوى . وقد نشرت كلمات سادرون فى عام ١٩٤٧ أى قبل أن يحظى فون براون بالشهرة .

الفصل السادس

جنسيات سجناء دورا

نتناول فى هذا الفصل مختلف جنسيات السجناء فى معسكر دورا والمعسكرات التابعة له حتى نهاية عام ١٩٤٤، أى قبل وصول السجناء المرحلين من معسكرى أوشفيتز وجروس روزن، وحتى نفهم وضع هذه الجنسيات المختلفة فهما جيداً يتعين علينا الإلمام بالتركيبة الأوربية فى نهاية عام ١٩٤٣ عندما كانت أوربا تخضع للاحتلال النازى، ويمكن تقسيم سكان البلاد الواقعة تحت الاحتلال النازى إلى ثلاث مجموعات رئيسية : (١) الرايخ الألمانى والمنطقتان التابعتان له وهما محمية بوهيميا - موارفيا وحكومة بولندا العامة . (٢) أراضى الاتحاد السوفيتى الواقعة تحت الاحتلال النازى. وتولى إدارتها قومسيارات الرايخ الألمانى فى كل من أوستلاند وأوكرانيا (٣) بلاد أوربا الغربية التى احتلتها ألمانيا النازية وهى فرنسا وبلجيكا وهولندا والدانيمارك والنرويج وإيطاليا.

والجدير بالذكر أن معسكر دورا لم يضم سوى قلة من مواطنى منطقة وسط أوربا والبلقان باستثناء يهود المجر الذين شكلوا فيما بينهم مجتمعاً خاصاً بهم على عكس الجنسيات الأخرى المختلطة والمتباينة ، وسوف نتناول هنا الجنسيات المتباينة التى قام النازيون بالزج بها فى معسكر دورا مثل التشيكيين والبولنديين والروس والأوكرانيين وبقية شعوب الاتحاد السوفيتى والفرنسيين والبلجيكيين والهولنديين والإيطاليين وسكان سلوفينيا ويهود المجر والغجر الذين يعيشون فى ألمانيا نفسها .

وترجع تسمية ألمانيا بالرايخ الألمانى منذ عام ١٨٧١ [1] ويشمل هذا الرايخ المواطنين الألمان قبل عام ١٩٣٨ والنمساويين والألمان الذين يعيشون فى مناطق سودتنلاند Sudetenland وميميل Memel ودانتزيج Danzig وجميع سكان بوهيميا ومودافيا وبولندا الناطقين باللغة الألمانية .

وكانت وحدة البوليس الخاصة تضم مواطنين ألمان ينتمون إلى أقطار أجنبية مثل سلوفاكيا والمجر ورمانيا ، وكان السجناء الألمان فى معسكر دورا يلبسون شارة تميزهم عن غيرهم. غير أن الأغلبية الساحقة من السجناء كانوا من المجرمين إلى جانب بعض السجناء السياسيين ، وطبقًا لما يقوله لانجبين Langbein لم يكن هناك فى دورا سوى نحو أربعين سجينًا سياسيًا ألمانيًا ومئات المجرمين، وبسبب حساسية هذا المعسكر نتيجة وجود مصنع لإنتاج الأسلحة السرية فيه رأى القومندان إسناد الوظائف المهمة إلى السجناء السياسيين كى يسود الأمن ويعم السلام .

التشيكيون :

أصبح التشيكيون جزءًا من الرايخ الألمانى عندما أعلنت بوهيميا – مورافيا محمية فى ١٥ مارس ١٩٣٩، وكان السجناء التشيكيون يلبسون مثلثًا أحمر عليه حرف T . ورغم ضخامة حجم الحزب الشيوعى التشيكى فإن عدد السجناء التشيكيين الشيوعيين فى معسكر دورا كان قليلاً فقد كان عدد كبير منهم سجناء من معسكر بوخنوالد وينخرطون فى تنظيمات شديدة الدقة .

والجدير بالذكر أن التشيكيين بعد أحداث ١٩٣٨ – ١٩٣٩ كانوا يحملون للألمان العداء السياسى العظيم . ويتجلى لنا هذا العداء من قيام الجمهورية التشيكية ، فى

(١) تعد الإمبراطورية الرومانية المقدسة الرايخ الأول أما الرايخ الثانى فقد بدأ مع الوحدة الألمانية التى تحققت على يد بسمارك بعد هزيمة فرنسا عام ١٨٨٧ ، ومع وصول هتلر إلى قمة السلطة عام ١٩٣٣ ، بدأ عصر الرايخ الثالث .

عام ١٩٤٥ / ١٩٤٦ (أى بعد نهاية الحرب مباشرة) بطرد مواطنيها الناطقين باللغة الألمانية من الجمهورية التشيكية رغم شدة روابطها الثقافية بألمانيا عبر الإمبراطورية الرومانية ثم الإمبراطورية النمساوية المجرية. وكان معظم السجناء التشيكيين فى دورا متعلمين ويتحدثون الألمانية، الأمر الذى مكنهم من شغل وظائف السكرتارية فى كل من معسكر ومصنع دورا . فضلاً عن التحاقهم بالعمل فى مستشفى دورا .

ونحن نعرف من شهادة كل من بينيس وليتوميسكى أن السجناء التشيكيين وصلوا إلى معسكر دورا فى الأسابيع الأولى من إنشائه بعد فترة من المعاناة فى معسكر أوشفيتز ، وبوجه عام حظى التشيكيون بمعاملة أفضل من المعاملة التى تلقاها البولنديون والروس على أيدى النازيين ، وعلى أية حال لم يكن هناك بين التشيكيين أسرى حرب لعدم وجود حرب بين التشيكيين والألمان. ولكن هذا لم يمنع النازيين من تجنيد بعض العمال التشيكيين للعمل فى نفق دورا ، وبسبب حرصهم على النظام عاملهم النازيون باحترام وعهدوا إليهم بأداء بعض الأعمال المهمة التى تتطلب الثقة مثل توزيع الطعام على سجناء دورا .

البولنديون :

بعد وصول السجناء النمساويين إلى معسكرات الاعتقال عام ١٩٣٨ والسجناء التشيكيين فى مارس ١٩٣٩ بدأ السجناء البولنديون فى التوافد فى نهاية عام ١٩٣٩ ، علماً بأن بولندا سقطت فى يد القوات النازية في ٢٧ سبتمبر ١٩٣٩ ، وعلى أية حال قام الاتحاد السوفيتى بضم الجزء الشرقى من بولندا الذى تقاسمته أوكرانيا وروسيا البيضاء ، وقام السوفيت بتهجير الشعب البولندى الخاضع لسيطرتهم إلى سيبريا وكازاخستان ، وفى ربيع عام ١٩٤٠ وقعت مجزرة للضباط البولنديين على يد الروس فى كاتين Katyn .

وتم تمزيق الجزء الألمانى من بولندا إلى صنفين وضم أحدهما إلى الرايخ الألمانى بهدف ألمنته أى إضفاء الطابع الألمانى عليه وهناك وفى قلعة بوزن Posen على وجه التحديد ألقى هملر خطبه الرنانة المدوية . أما النصف الآخر فأصبح بشكل ما يعرف بحكومة بولندا العامة التى صارت تحت إدارة الرايخ المباشرة ، وبعد هدم وارسو أصبحت مدينة كراكو Krakow مقرًا لهذه الحكومة العامة . وتم توزيع سجناء الحرب البولنديين فى كل بقاع ألمانيا، إلى جانب ترحيل ملايين العمال البولنديين إليها، وكذلك الزج بطبقة المثقفين والأكاديميين والمديرين والموظفين البولندين إلى معسكرات الاعتقال النازية مثل ساشسنهاوزن وماثاوزن .

وفى الفترة من ١٩٤٣ حتى ١٩٤٥ وصل إلى معسكر دورا عدد من البولنديين معظمهم من العمال المدنيين إلى جانب عدد من الشواذ والمنحرفين . والجدير بالذكر أن عددًا منهم كان من السجناء السياسيين الذين يتحدثون الألمانية مما جعل النازيين يعينونهم كزعماء بلوكات (كابوهات) وفى مجال التمريض. وكان البولنديون موضع كراهية الفرنسيين بوجه خاص .

وقد رسم رجلان بولنديان فى دورا صورة أكثر إشراقًا أولهما لضابط جاء من كوروين كروكوسكى Korwin Krokoswski الذى غادر بولندا عام ١٩٣٩ وحارب فى فرنسا عام ١٩٤٠ ثم ألقى النازيون القبض عليه فى ديسمبر ١٩٤٣ لانضمامه إلى صفوف المقاومة ، وجاء الرجل الثانى من تادك باتزر Tadek Patzer وألقى القبض عليه فى بولندا عام ١٩٤١ وتم ترحيله من أوشفيتز إلى دورا عام ١٩٤٣ ، ولشهادتى هذين الرجلين قيمة بسبب معرفتهما الوثيقة بالحياة فى معسكرات الاعتقال . والجدير بالذكر أن بولندا ظلت حتى عام ١٩١٨ مقسمة بين ألمانيا والنمسا وروسيا مما جعل من الصعب تحديد الجنسية البولندية ، وتأكيدًا على ذلك يذكر لنا الدارسون حالة هانز كازمارك Hans Kaczmark السجين السياسى فى معسكر دورا . فبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها منحته الحكومة البولندية أكبر وسام عسكرى تقديرًا لدوره البطولى فى المقاومة فى معسكر دورا رغم أنه كان يحمل الجنسية الألمانية ، وكان السجناء البولنديون فى دورا يدينون بالولاء لحكومة بلادهم فى المنفى

التى اتخذت من لندن مقراً لها. علمًا بأن البولنديين السجناء المؤمنين بالشيوعية كانوا مجرد أقلية .

الروس والأوكرانيون والسوفيت:

وصل إلى دورا عدد ضخم من السجناء القادمين من الاتحاد السوفيتى على دفعتين كانت أولاهما رهينة الحبس فى أوكرانيا . وقد قام النازيون بترحيلها إلى معسكر بوخنوالد حتى بدأ الجيش الأحمر يسترد الأراضى التى احتلتها القوات النازية . أما الدفعة الأخرى فتكونت أصلاً من سجناء حرب أو عمال مدنيين يعملون فى ألمانيا وتم نقلهم إلى معسكرات الاعتقال . وأثناء الأشهر الأولى من وصولهم إلى معسكر دورا كون الشباب الأوكرانى مجموعات تسعى إلى النهب والسلب داخل الأنفاق وخارجها.

وحتى ربيع عام ١٩٤٢ لم يفكر الألمان جديًا فى الاستفادة من عمالة سجناء الحرب السوفيت، ولكن حاجتهم إلى عمالة هؤلاء السجناء بدأت تتجلى عندما اضطر النازيون إلى تجنيد الشباب الألمانى لإرسالهم للقتال على الجبهة الشرقية لتعويض ما لحق بهم من خسائر عسكرية. وأسند النازيون إلى سوكل مهمة جمع العمال من البلاد التى يحتلونها. ويجدر بالذكر أن هؤلاء السجناء الجدد لم يصلوا إلى دورا إلا فى عام ١٩٤٤ وكانوا من جميع شعوب وجنسيات الاتحاد السوفيتى مثل الروس والأوكرانيين والروس البيض وغيرهم .

وكان ضمن هؤلاء السجناء شاب سوفيتى يدعى باشكيو Bachkio العامل فى مجال السينما والقارىء المطلع على الأدب الغربى المترجم إلى الروسية مثل مؤلفات بلزاك وفكتور هيجو والكسندر ديماس وجول فيرن . ونفس الشىء ينطبق على قارىء روسى آخر عرف بسعة اطلاعه على الأدب الغربى هو فلاديمير السجين فى معسكر الريتش .

وأيضًا كان هناك فى دورا بعض السجناء القادمين من أستونيا وليتوانيا، ولكن النازيين درجوا على الزج بمعظم سجناء أوستلاند فى معسكر ستتهوف Stutthof بالقرب من دانزج ، وكان معظم سجناء دورا السوفيت من الروس والأوكرانيين، ويجدر بنا أن نذكر أن الكثير من الأوكرانيين المسجونين فى دورا والقادمين من دينبرابتروفسكى فى شرق أوكرانيا يتحدثون اللغة الروسية فى حين كان السجناء القادمون من غرب أوكرانيا لا يتحدثون بغير اللغة الأوكرانية .

وكذلك يجدر بنا أن نذكر أن منطقة جاليشيا Galicia الشرقية التى ضمها الاتحاد السوفيتى إليه فى الفترة من ١٩٣٩ حتى ١٩٤١ عادت بعدئذ لتصبح جزءًا من أراضى حكومة بولندا العامة وهكذا صارت جزءًا من إلرايخ الألمانى رغم أن سكانها كانوا أساسًا من الأوكرانيين نظرًا لقيام الجيش الأحمر بتهجير الشعب البولندى إلى داخل الأراضى السوفيتية، ومن المثير للغرابة أن نعلم أن رجال وحدة البوليس الخاصة قاموا بتجنيد الميليشيات الأوكرانية للعمل كحراس فى معسكرات الاعتقال الأمر الذى حدا بهؤلاء الحراس أن يتبادلوا بعض الكلمات مع سجنائهم . وقد كلف النازيون عددًا كبيرًا من السجناء الروس والأوكرانيين فى دورا بأعمال الحفر .

السجناء الفرنسيون:

جاءت معظم أفواج المرحلة من فرنسا إلى ألمانيا من معسكر كومبين الذى ضم مجموعة من المبانى العسكرية التى تم إنشاؤها فى روياليو Royallieu فى جنوب مدينة كومبين الفرنسية. بدأ الألمان فى استخدام هذه المبانى فى عام ١٩٤٠ أولاً كمعسكر لإيواء سجناء الحرب ثم كمعسكر احتجاز مع تخصيص جزء من هذه المبانى لحبس المواطنين الأمريكان والجزء الآخر لحبس الفرنسيين والأجانب الذين يعيشون فى فرنسا.

بقى الفرنسيون فى معسكر كومبين لفترات متفاوتة ، ولكن هذا المعسكر كان معبرًا (ترانزيت) للوصول إلى المعسكرات الأخرى. وقد وفد سجناؤه من جميع سجون

فرنسا الذين تجمعوا انتظاراً لرحيل الفوج الثانى فى محطة سكة حديد كومبيين إلى أحد معسكرات الاعتقال الكبيرة فى ألمانيا . وكذلك تم ترحيل يهود فرنسا من معسكر آخر يقع فى درانسى Drancy شمال شرق باريس. وعلى أية حال لم يتم ترحيل كل السجناء من كومبيين إلى معسكرات الاعتقال الكبيرة، فقد أرسل بعضهم إلى السجون الألمانية بعد المكوث فى عدد من المعسكرات الخاصة الصغيرة مثل معسكر هنزرت Hin-zert بالقرب من ترايرTrier أو معسكر نيونبييم Neuenbremme جنوب ساربروكين Saarbrucken وكانت هذه المجموعة اللاحقة من السجناء المرحلين تخضع لأحكام المرسوم الصادر فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ الخاص بصفوف المقاومة المقاتلة الذين ألقى الألمان القبض عليهم فى البلاد الغربية ، ولا يعرف أحد ما حدث لهم. وحسب التصنيف النازى لهم فإنهم يندرجون تحت فئة NN وهى اختصار للحركة المتمردة على النظام النازى المعروفة باسم الليل والضباب. وقد سبق لنا القول بأن جميع الأفواج المرحلة من كومبيين فى الفترة من يونيه ١٩٤٣ حتى يناير ١٩٤٤ ذهبت إلى معسكر بوخنوالد . ثم تم نقل عدد كبير من السجناء الفرنسيين الذين تضمهم هذه الأفواج إلى معسكر دورا فى الفترة من سبتمبر ١٩٤٣ حتى مارس ١٩٤٤ ، ولكن القوافل القادمة من فرنسا والمرحلة من معسكر بوخنوالد بدأت بعد هذا التاريخ تذهب إلى جهات أخرى مختلفة .

وفى الفترة من أبريل إلى أغسطس ١٩٤٤ استقبل معسكر بوخنوالد ونونجام Neuengamme السواد الأعظم من هذه الأفواج على نحو يفوق استقبال ماثاوزن وداكاو لها. ومن بين القوافل الخمس المرحلة التى وصلت إلى معسكر بوخنوالد ذهبت قافلتان منهم إلى معسكرات إلريخ وهارزونجن ووبيدا أما بقية الأفواج فقد أرسل معظمها إلى معسكر فلوسنبرج أو غيره . ولم يلتحق بمعسكر دورا سوى عدد قليل منها. وقد غادرت أولى هذه الأفواج الخمسة معسكر كومبين يوم ١٢ مايو ١٩٤٤ لتصل إلى بوخنوالد فى ١٤ مايو أى بعد انقضاء يومين. وكانت أرقام سجنهم تتراوح بين مسلسل الخمسين ألفًا والثلاثة وخمسين ألفًا . وتضمنت هذه الأفواج ضحايا الحصار الذى فرضه النازيون على سانت كلو فى عيد القيامة الموافق الأحد ١٩ أبريل ١٩٤٤ وغادر الفوج الأخر الذى تتراوح أرقام سجنائه بين مسلسل الستة والسبعين ألفًا

والثمانية وسبعين ألفًا محطة سكة حديد بانتين Pantin فى ١٥ أغسطس ١٩٤٤ محتويًا سجناء، مرحلين من سجن فرسنيس Fresnes على وجه الخصوص ، ووصل هذا الفوج إلى بوخنوالد فى ٢٠ أغسطس من العام نفسه فى حين تم ترحيل الفوج المتجه إلى دورا فى أواخر أغسطس وأوائل سبتمبر . غير أنه تم نقل معظم سجنائه على وجه السرعة إلى معسكر إلريخ وإلى جانب هذا قام معسكر بوخنوالد بإرسال مجموعات صغيرة من السجناء إلى معسكر دورا وخاصة بعد قصف الحلفاء لمصنع جوستلوف Gustloff وتدميره فى ٢٤ أغسطس ١٩٤٤ .

وكان السجناء الفرنسيون يمثلون نسبة كبيرة من نزلاء كل من دورا وإلريخ وهارزونجن وويبدا .

وفى عام ١٩٤٣ كثر عدد السجناء الذين حاولوا الهرب واجتياز جبال البيرنيز للوصول إلى شمال إفريقيا مثل الطلبة راءول ديفال Raoul-Duval ودوتيلييه Dutillieux وسوبيروس Soubirous وعسكريين أمثال Demuyter وضباط كثيرين متخرجين من أكاديمية سانت كير Saint-Cyr [1] . وكان السجينان برنارد داستورج -Brnard d'As trog واسكافيير لاموت Xavier Lamotte يحملان رقمى سجن فى مسلسل العشرين ألفًا ولويس ميفال Louis Meval وجين مياليت Jean Mialet فى مسلسل الواحد وثلاثين ألفًا . ولوك كلارين Luc Clairin ورينيه هانتجن Rene Haentjens فى مسلسل الثمانية والثلاثين ألفًا وجى تارنتفيل Guy Tartinville فى مسلسل أربعين ألفًا وميشيل ديلافال Michel Delaval ولويس جارنييه Louis Garnier فى مسلسل أربعة وأربعين ألفًا وروجر كوتيديك Roger Couetdic وجان دى سسميزون Jean de Sesmaisons فى مسلسل التسعة وأربعين ألفًا وبيير ديجوسيو Pierre Dejussieu فى مسلسل السبعة وسبعين ألفًا على أية حال لم يكن معسكر سترتهوف مخصصًا للسجناء القادمين من منطقتى الألزاس واللورين فقط . وقد أقيم هذا المعسكر فى عام ١٩٤١ فى جبال الفوسج -Vos

(١) سان سير .

ges فى الألزاس وعين كرامر Krammer قومندانًا عليه لفترة طويلة قبل انتقاله للعمل فى معسكر أوشفتز ثم برجن بلسن ، وأيضًا عمل فريتز برول Fritz Proll ممرضًا قبل انتقاله للعمل فى معسكر دورا. كان سترتهوف معسكرًا كبيرًا تدور فى فلكه معسكرات صغيرة ، والتحق بلازا Plaza للعمل فيه . وكانت بعض المعسكرات الصغيرة شديدة القرب منه مثل معسكر سانت مارى دى مين Saint- Mariendes Mines (الذى كان أنذاك يحمل اسم ماركيرش Markirch فى حين كان بعض معسكراته الأخرى نائية مثل معسكر ربستوك Rebstock فى منطقة الراين حيث تصنع عربات نقل الصواريخ V2 من موقع إنتاجها فى نفق دورا أو مثل المعسكرات الفرعية الموجودة فى وادى نيكار Neckar حيث حفرت الأنفاق تحت سطح الأرض .

وكان سجناء سترتهوف ينتمون إلى جنسيات مختلفة ، واقتصر معسكر سانت مارى دى مين بالذات على إيواء سجناء سلوفينيا ، ولكن هذا المعسكر فى الأسابيع الأخيرة ضم سجناء فرنسيين كثيرين ممن ألقى القبض عليهم فى حركة التمرد المعروفة "الليل والضباب" التى يشار إليها بحرفى NN والتى انتهت بوقوع مجازر للمقبوض عليهم. ويجدر بالذكر أن سجناء هذا المعسكر الذين تم ترحيلهم فى أغسطس - سبتمبر ١٩٤٤ إلى معسكر داكاو لم يتحرروا على أيدى القوات الأمريكية إلا فى ٢٣ نوفمبر من هذا العام .

والجدير بالذكر أيضًا أنه ابتداء من عام ١٩٤٣ زاد عدد الذين قبض عليهم النظام النازى من رجال المقاومة الفرنسية . ولم يصل إلى معسكر دورا سوى عدد قليل للغاية من الشيوعيين النشطاء زج بأغلبيتهم فى معسكر بوخنوالد . فضلاً عن أن هذا المعسكر ضم زعماء المقاومة ضد النازية من غير الشيوعيين الذين شملتهم الأفواج الثلاثة التى تم ترحيلها فى يناير ١٩٤٤ واحتوت على بعض أعضاء البرلمان، واستمر زعماء المقاومة ضد النازية فى ذلك المعسكر حتى سبتمبر ١٩٤٤ ثم تم إرسالهم إلى معسكر دورا ضمن أرقام سجن فى مسلسل السبعة والسبعين ألفًا .

وقام السجناء الفرنسيون خارج نفق دورا بإنشاء وحدات مقاومة نشيطة ضد النازية. وأيضًا احتفظت بعض وحدات المقاومة القديمة القادمة من كومبين بكيانها

متحدية بذلك ظروفها الصعبة. فضلاً عن أن الروابط جمعت بين أفراد المقاومة الفرنسية القادمين من مكان واحد، مثل الروابط المشتركة التى جمعت السجناء الآتية أسماؤهم: موريس دى لابنتيير Maurice de la pintiere وإيكسافيير دى ليل Xavier de Lisle وروبرت دى لينبا Robert de Lepinay الذين ألقى القبض عليهم أثناء محاولة الهروب عبر جبال البيرنيز .

والجدير بالذكر أن نعرف أن السجناء الفرنسيين لم يكونوا جميعًا من المنخرطين بالسياسة رغم أنهم كانوا يرتدون مثلثًا أحمر عليه حرف F للدلالة على جنسيتهم الفرنسية بل من المجرمين ومنتهكى القانون المتسببين فى إقلاق سلطات الاحتلال النازى ، ومن المهم أن نعرف أن الجناة ومرتكبى الجرائم الفرنسيين الذين أصدرت عليهم المحاكم الفرنسية أحكامًا بالسجن ظلوا نزلاء السجون الفرنسية وليس السجون النازية ولكن النازيين زجوا ببعض الفرنسيين الذين ارتكبوا جرائم على الأراضى الألمانية فى معسكرات الاعتقال .

معسكر سترتهوف وأهالى الألزاس واللورين:

وصل إلى معسكر بوخنوالد عدد كبير من السجناء القادمين من منطقتى الألزاس واللورين . وكان هؤلاء السجناء أساتذة وطلبة من جامعة ستراسبورج التى نقل مقرها إلى كليرمونت فيراند Clermont Ferrard عام ١٩٣٩ أو من منطقتى الألزاس واللورين اللتين قامت ألمانيا عام ١٩٤٠ بضمهما إليها، ولم يرق للسلطات الألمانية نقل مقر جامعة ستراسبورج إلى كلير مونت فيراند ، ولهذا قامت بمحاصرة مقرها الجديد فى ٢٥ يونيه ١٩٤٣ ثم قامت بمحاصرته للمرة الثانية فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٣ ، واستمرت السلطات النازية على نحو فردى ومتفرق فى إلقاء القبض على طلبة وأساتذة جامعة ستراسبورج خلال الأشهر القليلة الأولى من عام ١٩٤٤ ، ثم مالبث أن زج النازيون فى معسكر دورا بالسجناء الآتية أسماؤهم : جان بيير إبيل Jean Pierre Ebel وإيتين إكيرت Etienne Eckert وروبرت جاندار Robert Gandar وأندريه جيرارد -Andre Ger

ard وإيوجين جريف Eugene Greff وبول هاجنمولر Paul Hagenmuller وجان لاسوس Jean Lassus وأندريه لويشتين André Lobstein وفرانسوا شوارتز Franscois Schwerts . وكذلك تم القبض على شارلس سادرون وهو أستاذ بجامعة ستراسبورج ومواطن من منطقة بيرى Barry يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٤٣

البلجيكيون :

كان هناك بلجيكيون قلائل فى معسكر دورا فى خلال الأشهر الأولى من إنشائه ، وكما سبق لنا أن رأينا لم يزد عدد الوفيات بينهم على ١٥ حالة بالمقارنة بالسبعمائة وثمانى حالات وفاة بين السجناء الفرنسيين ، ولم تصل من بلجيكا أية أفواج قبل ٨ مايو ١٩٤٤ كما أن البلجيكيين الأوائل الذين وصلوا إلى معسكر دورا جاءوا أصلاً من معسكر بوخنوالد، أو كانوا من الأفواج القادمة من فرنسا أو من بعض السجون داخل ألمانيا نفسها .

جاءت أربعة أفواج من السجناء المرحلين من بلجيكا فى الفترة بين ٨ مايو و١١ أغسطس ١٩٤٤ ، وظل بعضهم فى معسكر بوخنوالد لوقت قد يقصر أو يطول ، أما السجناء الآخرون القادمون من معسكر ميترلروم Mitterlraum فكانوا فى العادة لا يكلفون بالعمل فى تجميع صواريخ V2 و V1 فى نفق دورا .

ولكن سرعان ما التحقوا بالخدمة فى مواقع تحت الأرض تحت رئاسة كاملر، وقد مات الكثيرون منهم، تقول بعض الدراسات اللاحقة فى هذا الشأن: "ارتفع معدل الوفيات فوق المتوسط. وإذا أخذنا فى الاعتبار أولئك الذين قضوا خلال عمليات إجلاء السجناء أو بعد وقت قصير من تحريرهم فإن عدد الوفيات بلغ ألف وأربعمائة حالة وفاة أى نحو ٥٥٪ من مجموع عدد السجناء البلجيكيين فى معسكر دورا ، ووصل ٩٦٧سجينًا مرحلاً إلى معسكر بوخنوالد يوم ٨ مايو ١٩٤٤ قادمين من معسكر بروييندونك Breendonck ، وهو معسكر اتسم بالقسوة البالغة ويقع غرب مالينيس

Malines . ورغم قسوة معسكر بوخنوالد فإن الحياة فيه كانت أرحم من الحياة في معسكر بريندونك الذي أعطى نزلاءه أرقام سجن في مسلسل الثمانية والأربعين ألفًا والتسعة والأربعين ألفًا. وفي مايو ويونيه عام ١٩٤٤ تم نقل ٥٠٢ منهم إلى معسكر دورا ثم إلى معسكر إلريخ .

افتتح معسكر بريندونك في سبتمبر عام ١٩٤٠ وكان يدار بنفس أسلوب إدارة بقية المعسكرات الألمانية ، وعين فيليب شميت Phillip Schmitt بوحدة البوليس الخاصة قومندانًا عليه، وبين الـ ٨٩١ سجينًا بلجيكيًا الذين ضمهم الفوج المرحل من بروكسل بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٤٤ والحاملين لأرقام سجن مسلسل الأربعة وخمسين ألفًا تم نقل ٦٩٩ منهم إلى معسكر دورا وزج بمعظمهم في معسكر هارزونجن في ١٠ يونيه ، وفي ٢٠ يونيه وصل فوج ثالث من بروكسل يضم ٥٧٤ سجينًا مرحلاً في مسلسل الستين ألفًا. وبحلول شهر يوليه التحق ٣٩١ منهم بالعمل في معسكر دورا وقد وصل الفوج الأخير من بروكسل يوم ١١ أغسطس ، ومن بين ٨٢٤ مرحلاً كانت أرقام سجن ٣٦٩ منهم في مسلسل الخمسة وسبعين ألفًا ومسلسل السادسة والسبعين ألفًا. وفور وصولهم تم الزج بهم في معسكر بلانكنبرج Blankenburg وفيما بعد وأثناء فترة إجلاء معسكرات أوربا الشرقية وصل سجناء بلجيكيون كثيرون من معسكر جروس روزن من المتورطين في حركة تمرد الليل والضباب وممن زج بهم النازيون أصلاً في سجن جروس ستريهلتز Gross Strehlitz في منطقة سليزيا العليا .

السجين البلجيكي جوزيف ووسن Josefh Woussen :

ولد جوزيف ووسون عام ١٨٩٣ وكان يحمل رتبة عقيد في الجيش البلجيكي وصل ووسون إلى معسكر دورا في أكتوبر ١٩٤٣ حاملاً رقم سجن ٢٠٠٦٠ ونظرًا لكونه أحد قيادات الجيش السري ألقى النازيون القبض عليه في ١٩٤٢ وزج به في عدد من السجون قبل ترحيله إلى معسكر بوخنوالد ، ومكث في نفق دورا حتى أبريل ١٩٤٤ وفي فترة سجنه درج على زيارة زملائه السجناء من بني جلدته ليرفع روحهم المعنوية.

وكان له نفوذ عظيم عليهم كما كان موضع ثقتهم ، وبسبب قدرته على التحدث باللغة الألمانية عينته السلطات النازية كاتب المعسكر العمومى الذى يحرر البطاقات التى يرسلها زملاؤه السجناء إلى أهلهم وذويهم. ثم أسندت إليه لعدة شهور مهمة تقشير البطاطس الأمر الذى مكنه من تزويد قلة من أصدقائه بالطعام. ويعتبر جوزيف ووسن واحداً من الشهود الأساسيين على إجلاء السجناء وترحيلهم إلى معسكرى رافنزبروك ومالتشوه Malchow ، وبعد إطلاق سراحه وعودته إلى بلجيكا عين رئيساً للجمعية البلجيكية للسجناء السياسيين فى دورا ومعسكرات الاعتقال حتى وفاته وهو فى المائة والاثنين من عمره .

الهولنديون :

كان عدد السجناء الهولنديين محدوداً ، وقد وصلوا إلى معسكر دورا من جهات مختلفة ، فعلى سبيل المثال قبض على الدكتور جرونفيلد Groeneveld فى باريس فى حين قبض على فان دايك Van Dijk وتجنيده لأداء أعمال السخرة فى ألمانيا أثناء محاولته العودة إلى هولندا . وقد شغل هذان الرجلان مناصب أعلى من زملائهما فى معسكر دورا بسبب معرفتهما باللغة الألمانية . وكان التضامن بين السجناء الهولنديين عظيماً .

سجناء الحرب الإيطاليون :

عندما عقدت حكومة بادوجليو Badoglio الإيطالية هدنة مع قوات الحلفاء فى سبتمبر ١٩٤٣ قام الألمان الغاضبون عليها بنزع سلاح القوات الإيطالية فى الأراضى الواقعة تحت سيطرتهم فى إيطاليا نفسها وفى منطقة البلقان وأسروا الجنود الطليان ونقلوهم إلى ألمانيا باستثناء قلة منهم وافقت على الاستمرار فى محاربة قوات الحلفاء وزج النازيون بهؤلاء الأسرى الطليان فى الستالاج Stalag ثم قاموا فى الفترة من ١٤

أكتوبر و٢ نوفمبر ١٩٤٣ بنقل ٧٤٨ سجينًا منهم إلى معسكر دورا وخصصوا البلوك ١٨ لإيوائهم وسمح الألمان لهؤلاء الجنود الطليان السجناء بالاحتفاظ بزيهم العسكرى وأعطوهم أرقام سجن تبدأ من واحد. ورفض بعض هؤلاء السجناء الطليان العمل فى إنتاج الصواريخ الذى اعتبروه انتهاكًا لمعاهدة جينيف لعام ١٩٢٩ الخاص بحماية أسرى الحرب . وقتل الألمان ستة منهم فى أوائل ديسمبر ١٩٤٣ داخل معسكر دورا وهم إيمين بلانشت Emmine Blanchet الذى يحمل رقم سجن ٢٧٦ وجيوفانى سكولا Giovanni Scola ورقم سجنه ٢٧٨ وأرنستو موز Ernesto Moz (رقم ٢٧٩) وإليزيو فلاماتى Elisio Flamatti (رقم ٤٥٦) وجيوسب باكانلى Giuseppe Bacanelli وكارلو ماسونى Carlo Massoni (٤٥٨) ، وقد أساء السجناء المجرمون معاملة هؤلاء الطليان كما أن الشباب الأوكرانى قام بنهبهم وسلبهم . وبالتدريج ذاب هؤلاء الطليان فى مجموع السجناء فى معسكرات دورا وإلريخ وهارزونجن . وفى النهاية لم يعد من مجموع السجناء الطليان فى هذه المعسكرات الثلاثة البالغ عددهم ٧٢٨ سجينًا إلى بلادهم سوى ٢٦٤ سجينًا.

السجناء اليوغسلافيون :

يصعب بعض الشىء فى عام ١٩٤٣ / ١٩٤٤ تحديد من هم اليوغسلافيون بسبب التقلبات العنيفة والتغيرات الحادة التى طرأت على حدود يوغسلافيا في أبريل ١٩٤١ وسبتمبر ١٩٤٣، فيوغسلافيا فى عام ١٩٤١ أصبحت شيئًا مختلفًا تمامًا عما كانت عليه فى عام ١٩١٩ . فقد أنضمت أجزاء من أراضيها إلى البلاد المجاورة لها. وبذلك أصبحت سلوفينيا الشمالية جزءًا من إلرايخ الألمانى . وانضمت فويفودينا Vojvodina إلى المجر وماسيدونيا إلى بلغاريا وكوسفو إلى ألبانيا وسلوفينيا الجنوبية ودالماتيا Dal-matia إلى إيطاليا ، وتكونت كيانات ثلاثة هى صربيا تحت السيطرة الألمانية ومونتيجرو كمحية إيطالية وكرواتيا التى شملت بوسنيا – هرزجوفينا Bosnia _ Herzegovina وسيطرت ألمانيا على الجزء الداخلى من يوغسلافيا فى حين سيطرت إيطاليا على المنطقة الساحلية .

وفى عام ١٩٤٣ حل الألمان محل الإيطاليين وسيطروا سيطرة مباشرة على جنوب سلوفينيا واستريا Istria وتريست Trieste وفريول Frioul . وكان السجناء اليوغسلافيون فى معسكر دورا يحملون فيما مضى الجنسية الإيطالية ، وفى فبراير ١٩٤٥ كان معسكر دورا يأوى ثلاثين صربيًا وخمسة كرواتيين وثمانية وأربعين يوغسلافيًا .

كان معظم اليوغسلافيين سجناء فى إيطاليا فى معسكر رينيسى Renicci بالقرب من بروجيا Perugia ، وفى ٢٣ سبتمبر ١٩٤٣ انتهى الأمر بوضعهم فى فوج مكون من سبعمائة سجين زج بهم عن طريق الخطأ فى معسكر نورمبرج لسجناء الحرب، ثم تم نقلهم من هناك إلى معسكر فلوسنبرج وبعدئذ أرسل ٥٠٦ منهم إلى بوخنوالد بأرقام سجن مسلسل الاثنى وثلاثين ألفًا. وفى نهاية المطاف استقبل معسكر دورا ٣٥٠ منهم فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٣ ، وأيضًا ألقى النازيون القبض على مواطنين سلوفاكيين وتم حجزهم فى الحجر الصحى الخاص بمعسكر داكاو لاختيار من يعمل منهم فى مصنع دورا، والجدير بالذكر أن الدفعة السابقة من السجناء السلوفينيين فى دورا ضمت اثنين من السلوفانيين القادمين من الجزء الغربى من سلوفينيا ، وكانا عندئذ من سجناء الحرب الطليان كما ضمت اثنين من السلوفانيين القادمين من سلوفينيا الشمالية واللذين رفضا الانضمام إلى الجيش الألمانى ، وكان السجناء السليفونيون يعرفون عدة لغات ، مما أهلهم لشغل مناصب أحسن من غيرهم .

جنسيات أخرى:

كانت هناك جنسيات أخرى فى معسكر دورا هى فى العادة من الأجانب الذين يعيشون فى غير بلادهم مثل الطالبين المجريين بيتر جاتى Peter Gati وبوهم Boehm اللذين تم القبض عليهما فى فرنسا ، ومن الملاحظ أن عدد سجناء دورا من الأسبان كان ضئيلاً ، ولكن يلاحظ أن عدد الجمهوريين الإسبان الذين اشتملهم أول فوج قادم من كومبيين فى يناير ١٩٤٤ كان كبيرًا وأنهم ظلوا فى معسكر بوخنوالد مثل جورج سمبرون Jorge Semprun القادم ضمن الفوج الثالث .

كان يهود المجر آخر يهود أوربا الذين تعرضوا لعمليات الترحيل المنظم على يد القوات الألمانية عندما احتلت المجر فى مارس ١٩٤٤، وكان المفترض إلحاقهم بمصانع صنع الأسلحة بعد فرزهم وانتقاء العناصر الصالحة منهم فى معسكر أوشفيتز . وفى الفترة من ١٩٣٨ حتى ١٩٤١ استعادت المجر جزءًا من أراضيها التى فقدتها بمقتضى معاهدة تريانون Trianon ، فأضافت إليها الجزء الجنوبى مما يعرف الآن باسم سلوفاكيا Slovakia إلى جانب روثينيا Ruthenia وشمال ترانسلفانيا Transylvania وفويفودينا Vojvodina . وهى مناطق عاش فيها عدد كبير من اليهود ممن كانوا أصلاً تشيكيين ورومانيين ويوغسلافيين منذ عام ١٩٢٠ ومن ثم كانوا يعتبرون يهودا مجريين .

ومن الواضح أن اليهود الذين جاءوا إلى دورا فى مايو - يونيه ١٩٤٢ كانوا أصلاً من ترانسيلفانيا ، وقد بدأت عمليات ترحيل السجناء فى تلك المنطقة بسبب شدة قربها من الاتحاد السوفيتى وزحف الجيش الأحمر عليها. وجاء أخرون من روثينيا Ruthenia مثل تيودور براون Theodor Braun الذى يتحدث التشيكية والذى ألقى القبض عليه فى أوزهورود Uzhorod . وقد اعتبرته سلطات معسكر بوخنوالد يهوديا تشيكيًا فى حين اعتبرته سلطات معسكر دورا يهوديًا مجريًا - تشيكيًا .

وتعرض أوائل القادمين إلى معسكر دورا من يهود المجر لسوء معاملة رجال الوحدة الخاصة وعناصر هذا المعسكر الإجرامية وأسند إليهم حمل مواد البناء وإعداد فناء النداء على السجناء وكان الكابو المكلف بالإشراف عليهم يسومهم مر العذاب فيأمرهم بحفر الأرض بأيديهم لاقتلاع جذوع الأشجار والجرى المنهك المميت .

وبعد أن وصل يهود مجريون آخرون إلى دورا قادمين من مصانع فولكس واجون فى فالرسليبن Fallers labin عملوا فى صنع الصواريخ V1 ثم استمروا فى هذا العمل فى نفق المعسكر. وقد عثر لوسيان فايمان Lucian Fyman على بعض الناجين منهم من الموت فى دولة إسرائيل وسمعهم يتحدثون اللغة المجرية ، وكلف اليهود المجريون الباقون فى دورا مثل ثيودور براون بتفريغ شحنات القطارات . علمًا بأن النازيين

ألحقوا ثيودور براون الذى كان آنذاك فى سن المراهقة ويتحدث الألمانية بالعمل فى مستودع الأحذية .

ويبدو أن يهود المجر هم اليهود الوحيدون الذين أرسلهم النازيون إلى معسكر دورا للعمل هناك ، ولكن وصل إلى دورا فيما بعد يهود آخرون من مختلف الجنسيات فى يناير وفبراير ١٩٤٥ نتيجة إجلاء معسكر أوشفيتز من السجناء اليهود وغير اليهود والجدير بالذكر أن عدداً قليلاً من اليهود الفرنسيين ممن انخرطوا فى أعمال المقاومة كانوا يحملون أوراق هوية مزورة تخفى يهوديتهم . وأيضًا حمل بعض اليهود من جنسيات أخرى غير مجرية أوراقًا مزورة تخفى حقيقة هويتهم .

الغجر:

وفى عام ١٩٤٤ وصل إلى دورا من أوشفيتز عن طريق بوخنوالد عدة مئات من الغجر المنحدرين من أصل ألمانى . وزج بالكثيرين منهم فى البلوك رقم ١٣٠ . يقول سبيتيز Spitz المشرف الألمانى عليهم إنه أحبهم وأحب فيهم حرصهم على إقامة الحفلات. ويضيف إنهم جميعًا رحلوا فى فوج يتجه إلى إلريخ فى حين رحل بعضهم الآخر إلى هارزونجن وأنهم شكلوا فى ديسمبر ١٩٤٤ ١٢٪ من مجموع السجناء. ويذهب سبيتز إلى أن هؤلاء الغجر كانوا يعرفون الألمانية وأن علاقة طيبة ربطتهم بالعناصر الإجرامية فى معسكرى إلريخ وهارزونجن وأن كثيرًا من مواطنى الجنسيات المختلفة اشمأزوا منهم وازوروا عنهم .

الفصل السابع

مصنع نفق دورا

بدأ تجميع الصواريخ طراز V2 فى المصنع المقام فى نفق دورا فى ديسمبر ١٩٤٣ ، ويجدر بالذكر أن هذا المصنع لم ينجح فى إنتاج ثلاثة صواريخ من هذا الطراز إلا فى ٣١ ديسمبر من نفس هذا العام ، ولم يترك لنا التاريخ أية معلومات تتعلق بنوعية وجودة هذه الصواريخ الثلاثة. وأغلب الظن أنها كانت صواريخ سيئة الصنع، ويبدو هذا طبيعيًا لأن النازيين لم يستكملوا تشييد المصنع إلا بعد ذلك ببضعة أسابيع. وفى أبريل ١٩٤٤ ظهرت بعض العراقيل فقد تعين على شركة ميتلويرك التخلى عن الجزء الشمالى من النفق الممتد حتى القاعة رقم ٢٠ لصالح فرع من فروع شركة يونكر يعرف باسم نوردويرك ندرساشسنهورفن Nordwerk Niedersachs Werfen بناء على القرار الذى اتخذه كاملر المسئول عن إنتاج الطائرات تحت الأرض، وفى يوليه ١٩٤٤ ثم أيضًا نقل تجميع الصواريخ طراز V1 إلى النفق. كان مصنع ميتلويرك منفصلاً عن مصنع نوردويرك الذى استخدم العمالة المدنية والأجنبية والذى كان محظورًا على سجناء دورا الاقتراب منه، وتعين على سجناء دورا العمل فى تجميع الصاروخين V1 وV2 ، ولم تكن هناك حاجة لفصل إنتاج الصاروخ V1 عن الصاروخ V2 ولكن النازيين فرضوا رقابة مشددة بحيث لم يسمحوا للعاملين فى إنتاج الصاروخ V1 من رؤية زملائهم العاملين فى إنتاج الصاروخ V2 .

وابتداء من مايو ١٩٤٤ أخذ جميع عمال مصنع النفق يسكنون معسكر دورا ، وكان مصنع دورا لإنتاج الصواريخ يعمل يوميًا على ورديتين تبدأ الوردية الأولى من

الحادية عشر نهارًا والثانية فى الحادية عشر مساء. وكانت المسافة بين معسكر دورا ومصنع دورا قصيرة. ولهذا كان السجناء يقطعونها سيرا على الأقدام. وتولى الكابو إحصاء عدد عمال كل وردية فى بدايتها ونهايتها عند مدخل المعسكر .

وفى نهاية كل أربعة أسابيع تعين على كل من هاتين الورديتين العمل لمدة ثمانى عشرة ساعة وليس لمدة اثنتى عشرة ساعة كالمعتاد. وفى مايو - يونيه ١٩٤٤ أعطى النازيون عمال دورا الأحد يومًا للراحة ، وكان العمال الألمان يعملون نفس العدد من الساعات ، وابتداء من عام ١٩٤٤ أصبح جميع السجناء العاملين فى نفق دورا يعيشون خارج النفق الأمر الذى استدعى إقامة معسكر حقيقى ومتكامل لهم .

بناء معسكر دورا والخروج من النفق:

خلال الأشهر الأولى من إقامة معسكر دورا (وذلك فى الفترة الواقعة بين وصول أول فوج من معسكر بوخنوالد فى أواخر أغسطس ١٩٤٣ وأوائل مارس ١٩٤٣) كان العمل فى بناء المعسكر جزئيًا ومنقطعًا ، وكان المعسكر الأصلى مصنوعًا من الخيام المتجمعة بالقرب من المخرج الجنوبى للنفق (ب) فى كوهنشتين ولكن حلت محلها ثكنات أقيمت فى الوادى الواقع فى أقصى الغرب والذى وقع عليه الاختيار لإقامة المعسكر على الأرض التى اشترتها مؤسسة ويفو WIFO ، وهنا أقيم المطبخ كما تم تخصيص عدة بلوكات لإيواء أسرى الحرب الطليان ومرضى المستشفى والمستوصف. كما تم تخصيص عدد قليل من البلوكات لإيواء السجناء الذين يعملون خارج النفق ويمكن القول إن الفترة من مارس حتى يونيه ١٩٤٤ شاهدت إقامة معسكر بالمعنى الحقيقى للكلمة ، وفى شهرى أبريل ومايو من العام المشار إليه تم نقل آلاف السجناء من عنابر النوم فى النفق إلى المعسكر حيث عاش الكثيرون منهم حتى إجلائهم فى نهاية الحرب فى أبريل ١٩٤٥ .

بدأ تشييد معسكر دورا بشكل نظامى فى مارس ١٩٤٤ عقب وصول السجناء الفرنسيين الذين جاءوا إلى معسكر بوخنوالد فى يناير من هذا العام على متن القطار الثالث القادم من كومبين وخلافًا للسجناء السابقين عليهم لم يتوجه معظمهم مباشرة إلى النفق . ونفس الشىء ينطبق على السجناء المنتمين إلى جنسيات أخرى مثل التشيكيين ، ومعنى ذلك أن إقامة مصنع النفق لم تعد أولوية فى نظر النازيين ومن ثم فقد تشغيل السجناء الجدد فيه أهميته ولهذا ليست ثمة غرابة فى أن نرى المشاركين فى الاجتماع الذى عقده ريكهى Rickhey فى ٦ مايو ١٩٤٤ يطلبون من كاملر تزويدهم بألف وثمانمئة سجين إضافى لسد احتياجات مصانع ميتلويرك .

كانت هناك أشجار تغطى المنطقة المخصصة للبناء تعين اجتثاثها وإزالتها تمهيداً لشق الطرق وتحديد مكان النداء على الطابور .

وتم وضع مواسير المياه كما تم تركيب صهريج للرواسب فى جنوب معسكر وحدة البوليس الخاصة ، وفى نفس هذه الفترة واجه معسكر بوخنوالد مشاكل عويصة فى المياه والصرف الحصى، وبعد أن تمت تسوية الأرض بدأت عملية البناء وكانت هناك فرق من السجناء تخصص بعضها فى الحفر وبعضها فى بناء الثكنات والبيوت الخاصة بالمدنيين الألمان شمال نوردهاوزن Nordhausen والجدير بالذكر أن أحد أفراد هذه الفرق انحدر من أصل عربى هو الشريف بن حسن .

ويحتفظ لنا التاريخ بشهادات ثلاثة سجناء نقلهم النازيون على متن القطار الآنف الذكر للقيام بأعمال الحفر هم ألفريد أونترينر Alfred Untereiner الذى يحمل رقم سجن ٤٣٦٥٢ وبول راسينيير Rassinier الذى يحمل رقم سجن ٤٤٣٦٤ ومارسيل بيتى Marcel Petit الذى يحمل رقم سجن ٤٤٤٤٨ .

ولد ألفريد أونترينر عام ١٩٠٦ وعمل قسيسا فى اللورين ومارس التدريس فى المدارس المسيحية فى إبرناى Epernay . وكذلك اشتغل بول راسينيه المولود عام ١٩٠٦ بالتدريس ، وكان فى مطلع حياته يدين بالشيوعية أما ثالثهما مارسيل بيتى المولود عام ١٨٨٨ (وهو أكبر سنًا من زميليه) فكان يعمل ناظر مدرسة تولوز للطب البيطرى .

اشتغل الفريد أونترينر فى أعمال الحفر على نحو متقطع ثم التحق بوظيفة مقبولة بسبب معرفته باللغة الألمانية وأخيرًا التحق مارسيل بيتى بالعمل فى مستشفى دورا الذى دخله راسينييه كمريض وبقى فيه .

وهناك أيضًا شهود عيان آخرون مثل يفيس بوين Yves Beon[1] ولويس كوتود Louis Coutaud وآلان دى لابوياد Alain de Lapoyade وفرانسوا لاتابى Francois La-tappy ومارسيل ليبرتر Marcel Lepretre وبيير مونييه Pierre Meunier ، وقد أقلهم جميعًا نفس القطار الذى أقل زملاءهم الثلاثة السالفى الذكر ، ويبدو أن السجناء التشيكيين لعبوا دورًا مهمًا فى هذا المعسكر ، ويقول يفيس بوين إن واحدًا منهم كان نجارًا على درجة عالية من الكفاءة وإنه أقام مشنقة فى فناء النداء على الطابور .

وبعد تشييد المعسكر تعين بطبيعة الحال إحاطته بسور مكهرب، ولتحقيق هذه المهمة تم تكليف عدد من الفرنسيين المرحلين فى نفس القطار أمثال بيير بريتون Pierre Breton وجاك شامبوازييه Jacques Chamboissier وموريس كليرج Maurice Clergue وميشيل دلاقال Michel Delaval وجوستاف إستاديه Gustave Estadée الذين التحقوا بالعمل فى مصنع النفق ومن ثم كان وضعهم أفضل من وضع زملائهم حفارى الأرض .

وخلال أشهر قليلة نما معسكر دورا وأصبح مدينة صغيرة تحتوى على أكثر من خمسين بلوكًا للإسكان وتسعة بلوكات للمستشفى ونحو عشرين بلوكًا ومبنى للإدارة والخدمات مثل دار عرض سينمائى ومكتبة ومقصف وبيت بغاء ومحطة لإطفاء الحرائق. وكانت بلوكات المعسكر وبناياته الأخرى تحمل أرقامًا ، ولكن هذه الأرقام كانت مضللة لأنها وصلت إلى رقم ١٥٠ ولكن الأعداد الحقيقية للمبانى والبلوكات كانت فيما يبدو أقل من ذلك .

---

(١) إيف بيون .

الدور الذى لعبه ألبرت سبير Albert Speer وألبرت كونتز Kuntz

يحتدم نقاش كثير حول الدور الإيجابى الذى لعبه ألبرت سبير وألبرت كونتز فى بناء المعسكر. فمن المؤلفين من ينكر هذا الدور الإيجابى عليهما ، والجدير بالذكر أن محكمة نورمبرج أصدرت ضد سبير حكمًا بالسجن ثم أطلق سراحه بعد انقضاء عشرين عامًا بعدها ذاعت شهرته بسب كتاباته. أما كونتز فقد حصل على المجد بعد وفاته وقد تم استبعاده من معسكر روما قبل تحريره وعاملته ألمانيا الشرقية معاملة الأبطال .

على أية حال كان سبير يسيطر سيطرة كاملة على قطاع الصناعة الألمانية التى واجهت مشكلة عويصة آنذاك تتمثل فى إنشاء الثكنات من مواد بناء سابقة التجهيز حيث كان من الضرورى توفير مساكن لإيواء العمال الذين دمرت قنابل الحلفاء مساكنهم، ومن أجل هذا زار سبير مصنع ميتلويرك يوم ١٠ ديسمبر ١٩٤٣ ليتعرف على احتياجاته واتخاذ القرارات بشأنه وهناك وقع سبير الأوراق المتعلقة ببناء الثكنات. وأيضًا هناك ما يدل على موافقته على إنشاء معسكر الاعتقال ومعسكرات وحدات البوليس الخاصة وتركيب المواسير ومختلف الخدمات ومساكن إيواء المدنيين الألمان، وهو ما تشير إليه مسودة الوثيقة التى سطرها نو Neu رئيس مؤسسة ويفو WIFO بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٤٣ ، وبصدور أوامر جديد تعطى أولوية مطلقة لإنتاج الصواريخ كان لابد من تسخير العمال فى بناء مساكن للعاملين فى هذا المجال، ولكن لا أحد يعلم السبب فى تأجيل إصدار هذا القرار لنحو ثلاثة أشهر وقد أصبح الآن معروفًا لدى الدراسين أن مجموعة عمال البناء المعروفة باسم مجموعة تشتليمب Schlempp للتشييد والبناء الكائنة بقاعدة بينيموند لعبت دورًا مهمًا فى إقامة معسكر دورا ، كما أن شركة فيليب هولزمان Phillip HOlzmann فى ويزرنيس Wizernes المكلفة من قبل منظمة تودت Todt لعبت دورًا مهمًا ليس فى عملية بناء المعسكر فحسب بل وفى تصميم المصانع المقامة بداخله .

وانقضت ثلاثة أشهر بين تاريخ التكليف بالبناء الصادر فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٣ وبداية البناء فعلاً فى مارس ١٩٤٤ ولا يعرف سبب التأخير فى تسليم مكونات بناء الثكنات ، وفى مارس عام ١٩٤٤ صار ألبرت كونتز فى مركز يسمح له بإدارة العمل وتوجيهه .

كان كونتز سجينًا مخضرمًا زج به فى المعتقل منذ عام ١٩٣٣، وعند إلقاء القبض عليه كان يشغل منصب نائب الحزب الشيوعى البروسى ، وهو من مواليد عام ١٨٩٦ وأصيب فى الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٨ وكان نزيلاً فى معسكر بوخنوالد منذ بداية إنشائه.وتم نقله إلى معسكر كاسل Kassel الخارجى فى عام ١٩٤٣ . ثم أرسله النازيون من هناك إلى دورا فى شهر سبتمبر حيث أصبح مسئولاً عن بناء المعسكر. وأيضًا تم ترحيل سجينين آخرين شيوعيين من بوخنوالد إلى دورا ، ولكنهما افتقرا إلى قدرة كونتز على الزعامة ، ولم يكن من الممكن لكونتز أن يشغل هذه الوظيفة المهمة والحساسة بدون موافقة فورشمر Forschmer قومندان دورا وبيستر Pister قومندان بوخنوالد على ذلك ، ولا شك أن قائدى هذين المعسكرين توسما فيه قدرة هائلة على الإدارة والتنظيم .

ولا شك أن كونتز ألح على فورشنر أن يسرع فى تشييد المعسكر ، ولم يكن كونتز معماريًا ، وأحاط به نفر من الشيوعيين أمثال فرتز ليهمان Fritz Lehmann وأوغسط كرونبرج August Kroneberg ولودينج لينوبر Ludwing Leineweber ، وفى حين أمن كرونبرج بالاشتراكية الديموقراطية اعتنق الآخرون المذهب الشيوعى ، وفيما يبدو شكل هؤلاء الأشخاص ذلك الفريق المسئول عن إنشاء المعسكر الذى بدأ فى مارس ١٩٤٤.
وفى يونيه من هذا العام تم الانتهاء من إنشاء معسكر دورا ومصنع النفق ورغم انفصالهما تمامًا فإنهما كانا مرتبطين ،فمعسكر دورا لم يكن سوى المكان الذى ينام فيه العاملون فى مصنع النفق .

الخروج من النفق:

كان خروج السجين من ظلام النفق إلى النور خارجه تجربة مهمة فى حياته وصفها السجين بول بولتو Paul Bolteau بقوله : "كانت ذكرى رؤية الشمس مرة أخرى فى أبريل عام ١٩٤٤ بعد قضاء ستة أشهر تحت سطح الأرض تجربة رائعة، وعندما رأى سجين روسى عجوز الشمس غمرته دموع الفرح غير أن العمر لم يمتد به فمات بعد مضى أيام قلائل. "وفيما يلى وصف شارلس سبيتنر لتجربته فى هذا الصدد : "فى اليوم الأول من مايو (١٩٤٤) توقف العمل فى المعسكر الساعة الواحدة بعد الظهر وصرنا أحراراً نتجول فى أرجائه بعد نداء قصير على الطابور وبلغت بنا الدهشة مبلغاً جعلنا لا نعرف ما عسانا أن نفعل بحريتنا ، ومن الواضح أنه كان باستطاعتنا أن ننام، ولكن فكرة إضاعة فرصتنا فى رؤية أحبائنا كانت بعيدة عن أذهاننا، ولهذا تجولنا فى جميع أرجاء المعسكر مثلما يفعل المشاة الذين يجوبون الريف حين يخرجون للفسحة يوم الأحد ، وانطلقنا نسير فى فناء النداء على الطابور عبر أوسع طريق يمتد أمام البلوكين ٢٧ و ٢٢ حتى وصلنا إلى البلوك ١٣ الذى سميناه طريق ديجول، قطعنا كل الطريق حتى نهايته مارين وراء المطابخ وعلى مبعدة استطعنا أن نرى أبراج كنيسة نوردهاوزن وهى المدينة الوحيدة فى كل المنطقة التى أمكننا أن نلمح طرفاً منها." .

ويصف السجين سادرون الموقع بقوله : "كانت هناك حدائق صغيرة خضراء وأفنية تغطيها الحشائش وأمام البلوكات والثكنات المخصصة لإيواء السجناء الطليان أقيم تمثال يثير الإعجاب ونافورة من الحجارة البيضاء تثير الدهشة بأناقتها الوقورة". ويستطرد سادرون قائلاً إن السجين الذى يخرج من النفق المحفور تحت الأرض تصيبه الدهشة عندما يترك وراءه القذارة والمراحيض النتنة ليرى أمامه مبانٍ جديدة تماماً ونظيفة للغاية فيها أسرة ومراتب قش لم يلمسها أحد. والأهم من كل هذا أنها احتوت على ماء وأحواض اغتسال وتواليتات حقيقية ."

ويذكر السجين راسينير فى شهادته الخاطئة أن معسكر دورا كان مزوداً بحمام سباحة وملعب للرياضة وأن رؤياه عن بعد كانت بهجة للناظرين، ووجه الخطأ فى هذه الشهادة أن حمام السباحة كان مجرد مستودع للمياه لإطفاء الحرائق .

ويحكى لنا جوستاف إستاد عن التمويه الذى كان النازيون يلجأون إليه عندما يقوم وفد رسمى أو دولى بزيارة المعسكر، ففى صيف ١٩٤٤ وصلت إلى دورا قافلة غير عادية تتكون من عدة سيارات ترفع أعلام البلاد المختلفة ، وقبل ذلك بأيام قلائل أعيد طلاء البلوكات كما أعيد تشجير المكان وجلبت ملايات وبطانيات نظيفة إلى البلوك الأول الواقع فى الشمال، وأخلى المعسكر من جميع سجنائه استعداداً لقدوم لجنة الصليب الأحمر التى تفقدت المعسكر لمدة عشرين دقيقة ، وانخدعت اللجنة بهذه النظافة المؤقتة فكتبت تقريراً جيداً عن المعسكر ولم يقتصر هذا الخداع على معسكر دورا بل امتد إلى المعسكرات الأخرى مثل معسكر اليهود فى تريسنستادت Theresienstadt شمال بوهيميا ، وأيضاً حدث نفس الخداع عندما قام سبير بزيارة معسكر ماثاوزن فى ٣٠ مارس ١٩٤٣ حيث التقطت له صورة فى صحبة سجناء تبدو عليهم النظافة والصحة الموفورة ، وأيضاً ترك لنا سيرج ميلر Serge Miller التابع لمعسكر إلريخ فى يونيه عام ١٩٤٤ وصفا لروعة منظر معسكر دورا من بعيد فقد بدا له كاستراحة جميلة أو مكان بديع للاستشفاء والنقاهة .

تجنيد أصحاب الخدمة للعمل فى مصانع دورا:

كانت هناك فئتان من السجناء العاملين فى النفق إحداهما سيئة الحظ يتمثل عملها فى حمل أجزاء الصاروخ V2 من خارج النفق إلى مواقع التجميع بداخله، إلى جانب حمل أجزاء الصاروخ V1 ، أما الفئة الثانية (وهى أوفر حظاً) فهى صاحبة خبرة وتعمل فى خطوط التجميع ، والحقيقة أنها لم تكن صاحبة خبرة بمعنى الكلمة بدليل أنها لم تنجح فى إطلاق الصاروخ V2 إلا مؤخراً فى يوليه ١٩٤٤ حيث إنها أخفقت فى إطلاقه لفترة طويلة من الزمن ، وعلى أية حال تم تجنيد أصحاب الخبرة فى الفترة من ديسمبر ١٩٤٣ حتى مارس ١٩٤٤ ، وهى الفترة التى وصلت فيها أفواج جديدة من سجناء معسكر بوخنوالد، ولا يحتفظ لنا التاريخ بأية وثائق عن أسس تجنيد أصحاب الخبرة، وكل ما نعرفه هو أن النازيين أنشأوا مكتب عمل يديره الدكتور سيمون وأن

روايات بعض السجناء هى المصدر الوحيد لمعرفة كيفية اختيار هذه العمالة مثل رينيه كروز René Croze الذى حضر من قاعدة بينيموند إلى معسكر دورا للتفتيش على الصواريخ، وعبثًا حاول رينيه كروز لفت نظر الدكتور سيمون إلى تردى أحوال السجناء المعيشية فقد رفض الدكتور سيمون الإصغاء إليه وتظاهر بأنه لا يعرف عن هذا الأمر شيئًا ، ويذكر فون براون فى خطاب أرسله إلى ساواتزكى بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٤٤ أنه ذهب بصحبة سيمون لفحص سجناء بوخنوالد واختيار الصالحين منهم للعمل فى دورا ويبدو أن تجنيد السجناء للعمل فى مصانع دورا كان يتم على أيدى المهندسين فى قاعدة بينيموند الذين نقلوا من دورا للعمل فى مصنع ميتلويرك .

واختلفت أساليب انتقاء العمالة الصالحة لإنتاج الصواريخ فأحيانًا جاء بعض المدنيين لاستجواب السجناء عن عملهم فى فرنسا ونوعية وظائفهم وتدريباتهم وأحيانًا كانوا يعطونهم بعض الأجهزة الفنية لتبيان معرفتهم بها .

ويروى لنا أندريه جيرارد André Gerard الذى قبض عليه الجستابو عندما كان طالبًا يدرس القانون فى جامعة ستراسبورج حكايته . وصل جيرارد إلى دورا فى نفس الوقت الذى وصل فيه أستاذ الفيزياء السجين شارلس سادرون ، ومثل الرجلان أمام لجنة مصغرة ، وتظاهر سادرون بأنه لا يفهم اللغة الألمانية ، وبالتفاهم معه قام جيرارد بالترجمة له وكان قد اتفق مسبقًا مع سادرون على أن يعمل مساعداً له فى معمله ووافقت اللجنة على ذلك وقامت بارسالهما معًا إلى القاعة ٢٨ ويدل ذلك بوضوح على انتفاء الدقة فى انتقاء العمالة الصالحة للعمل فى مصنع دورا لإنتاج الصواريخ ، والجدير بالذكر أنه تم ترحيل كل من سادرون وجيرارد على متن القطار الثانى القادم من كوميين فى يناير ١٩٤٤ وكان ضمن آخر الملتحقين بالعمل فى مصنع النفق .

كان فحص السجناء واختيارهم يتم فور وصولهم إلى معسكر دورا أو بعد أسابيع قليلة من وصولهم . وكذلك تم تجنيد عمالة دورا من بين سجناء الحجر الصحى فى معسكر داكاو وبوخنوالد ، ويذكر لنا سجين من سلوفينيا اسمه ميلان فيليبيك Milan Fi-lipcic أن السجين ألبين ساواتزكى Albin Sawatzski توجه إلى معسكر داكاو لاختبار

مائة سجين صالح للعمل فى دورا من الحجر الصحى، وفى الحال تم اختيار فرقة من هؤلاء السجناء وصلت إلى دورا فى أواخر ١٩٤٣ عن طريق معسكر بوخنوالد وضمت هذه الفرقة سجناء، من السلوفاكيين والتشيكيين والإيطاليين .

ويروى لنا أندرييه سيلييه André Sellier مؤلف كتاب وتاريخ معسكر دورا "رواية مماثلة إذ يقول " وصلت إلى معسكر بوخنوالد ضمن أول فوج فى يناير ١٩٤٤ وتم استدعائى كما استدعى الآخرون لمقابلة شخص علمت أنه جاء من معسكر دورا .كان شابًا عطوفًا بعض الشيء يتحدث الفرنسية وسألنى عن مهنتى فأجبته بأنى أستاذ تاريخ وجغرافيا ويبدو أن هذا كان مدعاة لرضائه، ولكنه عبر عن خيبة أمله بسبب جهلى باللغة الألمانية وأخبرنى أنه صنفنى ككهربائى معبرًا عن إصراره على ذلك، وبعد مضى أيام قلائل وصلت إلى معسكر دورا واستدعى عمال الكهرباء إلى الاجتماع ، وحضرت الاجتماع مثل الآخرين ، وهكذا أصبحت عضوا فى المعسكر المعروف باسم كونترول شيرو Kontrolle Scherer حيث مكثت هناك شأنى فى ذلك شأن المدرس الشاب فيليبكيك ، وفى قائمة ترحيلى من معسكر بوخنوالد إلى معسكر دورا فى ١١ فبراير كتبوا أمام مهنتى كهربائى ." .

وبعد ذلك بأشهر قلائل توجه فون براون والدكتور سيمون شخصيًا إلى معسكر بوخنوالد لفحص السجناء وانتقاء الصالحين منهم للعمل فى معسكر دورا . وكان هناك بين السجناء من ادعى تخصصه فى مجالات غريبة عنه مثل الشاب كريستيان ديسو Desseau الذى ادعى أنه عامل مخرطة وقبله رئيسه العجوز المتسامح على هذا الأساس .

وبعد مارس ١٩٤٤ توقف إلحاق السجناء الفرنسين كخبراء للعمل فى مصنع نفق دورا وتنوعت جنسيات العاملين فيه ، وفى العادة استمر العاملون فى مصنع النفق فى الاشتغال بمهنتهم حتى إجلاء المعسكر فى أبريل ١٩٤٥، وبوجه عام كان حال العمالة صاحبة الخبرة أو التى تدعى امتلاك هذه الخبرة أفضل من حال بقية عمال دورا .

تنظيم خط إنتاج دورا ومعسكراته الرئيسية:

كان إنتاج المصنع يعتمد قبل كل شيء وفوق كل شيء على أجزاء متنوعة سابقة التجهيز تأتى من كل أرجاء ألمانيا ثم يتم تجميع الصواريخ على عربات سكة حديد خاصة تتحرك على قضبان داخل النفق من الشمال إلى الجنوب أى من حدود مصنع نورويرك حتى مخرج النفق . وكانت القاعات العمودية على النفق ب التى تبدأ بالرقم ٢٣ وتنتهى بالرقم ٤٢ تستخدم فى حفظ بعض أجزاء الآلات الإضافية وكمخازن ومكاتب .

وكانت الصواريخ تتكون من ثلاثة أجزاء يتم تجميعها بشكل متعاقب ويتوسطها هيكل أسطوانى يركب فى مؤخرته كما يركب فى مقدمته ذيل جسم مخروطى Cone ، وكان جهاز دفع الصاروخ (وهو أكثر الأجزاء صعوبة فى التركيب بالإضافة إلى المحرك وخزان الوقود) يتم تركيبه فى الجزء المركزى أو الأوسط بعد خزان الوقود ، ويتم إيلاج محرك الصاروخ فى الذيل الذى يوجد فى مؤخرته مخرج الفوهة، وكانت جميع أجهزة التوجيه توضع فى الجسم المخروطى ، وكانت المتفجرات توضع فى ترس المخروط، كما كان خزان الوقود يملأ قبل إطلاق الصاروخ .

وكان المعسكر الأساسى يضم العاملين فى تجميع الجزء الرئيسى من الصاروخ فى حين كان معسكر فيرنروهر Firnrohr يعنى بأمر القذيفة المكونة من نصفين والآتية من ورشة سولجو Saulgau وطبقًا لما يقوله روبرت رولارد Robert Roulard كان معسكر فيرنروهر يشمل عددًا كبيرًا من العمال الروس والأوكرانيين .

وكان معسكر هوكوهل Haukohl أكبر قطاعات المصنع جميعًا كما كان أغلب العاملين فيه من الروس والبولنديين مثلما أوضح لنا ألبرت أمات Albert Amate ، إلى جانب عدد من الفرنسيين وأرمنى شاب جاء من فرنسا اسمه أجوب (جاك) دايان، وتعين تركيب المحرك والخزانات فى صاروخ ووصلهما ببعضهما بعضًا بإطار أنبوبى ، الأمر الذى تطلب كثيرًا من اللحام قام به بيير لوكاس Pierre Lucas وفرانسوا جوررولت

Francois Gorault اللذان استمرا فى أعمال اللحام وهو العمل الذى بدءاه فى فينر نيوستادت Wiener Neustadt حيث أشرف عليه كبير كابوهات اسمه جورج فينكنزلر Georg Finkenzeller ، وهو رجل اشتهر بقسوته وسوء معاملته لسجنائه .

وفى الأشهر الأولى من بدء العمل فى مصنع ميتلويرك كان هناك عدد من القطاعات الفرعية فى ساواتزكى زج بأندريه جيرارد فى واحد منها هو ساواتزكى ١٨٥ الذى تحول اسمه إلى قطاع شيرز. واتخذت قطاعات ساواتزكى أسماء أخرى وتسمت بأسماء مديريها والمشرفين عليها مثل فيرنروهر وهوكموهل وبونمان Bunemenn وشيرير فى حين سميت بعض قطاعات ساواتزسكى الأخرى بنوع النشاط الذى تمارسه مثل هيكبو Heckbau أو تركيب الذيل، الذى يعطينا السجين برنارد راميلون- Bernard Ramillon وصفا تفصيليًا لنشاطه المتمثل فى تركيب ذيول الصواريخ ، وكان معظم العاملين فى هذا القطاع يحملون الجنسية الفرنسية مثل جين كورمنت Jean Cormont وأندريه كاردون André Cardon وإيلى كورنفلدElic Korenfeld (الذى كان يدعى آنذاك رولاند تبولت Roland THibault وروبرت جوليفير Robert Golfier وأندريه جويشار André Guichard وهو دارس للفنون موهوب، وكلفه النازيون برسم ذيل الطوربيد ، وأيضًا يقدم إلينا جى راءول ديفال وصفًا لطبيعة العمل فى قطاع هكمونتاج Heckmontag المتمثل فى تركيب ذيل الصاروخ فى مؤخرة جسمه الرئيسى .

ومن القطاعات المهمة قطاع بونمان Bunemann الذى وصفه بيجنون Bignon المسئول عن تركيب كابلات الكهرباء الخاصة بأجهزة التحكم فى الصاروخ V2 وهى أجهزة توضع أمام المحرك ، وقد عمل فى هذا القطاع سجناء بلجيكيون وهولنديون وفرنسيون عديدون مثل بول بريزر Paul Priser وجين رييج Jean Rieg وجاك نويل Jacques Noel وليون نافارو – مورا Lean Navaro - Mora وجاك موبرانت Jacques Maupoint . والجدير بالذكر أن سجناء زونبو Zaunbau التحقوا بالعمل فى هذا القطاع فى أغسطس عام ١٩٤٤ بعد انتهائهم من إقامة سور مكهرب حول معسكر دورا ثم أقاموا بعدئذ سورا مماثلاً حول معسكر هارزونجن. وقد عمل بريتون وجارنييه ونفر من أصدقائهما فى تقوية مزاليج أبواب الجسم المخروطى الموضوع فى مقدمة الصاروخ .

دور المفتشين والفنيين والعاملين بالسكرتارية:

كانت هناك هيئة رقابية تسيطر على جميع مراحل تجميع الصواريخ وفحص أجزائها مثل الجيروسكويات. فعلى سبيل المثال تشير خارطة مصنع ميتلويرك التنظيمية إلى وجود خمسة عشر مهندسًا بهيئة رقابة أبتيلونج Abteilung [1] وأرجئ تجريب الصواريخ التى أنتجها مصنع النفق وإطلاقها من بليزيا أو قاعدة بينيموند لتلافى العيوب التى تشوبها ، واضطلع ضباط ألمان من سلاح المدفعية برئاسة دورنبرجر بمسئولية التأكد النهائى من سلامة هذه الصواريخ ، وساعدهم فى ذلك لعدة أشهر السجينان كلود فيشر Claude Fisher وميشيل بيدل Michel Bedel ، واستمرت هذه التجارب حتى بعد إطلاقها لأول مرة فى ٨ سبتمبر ١٩٤٤، وتم لهذا الغرض تجنيد السجناء فى قطاع شيرير أساسًا من الفرنسيين إلى جانب البلجيكيين والهولنديين واليوغوسلافيين والسلوفيين ، وقد ترك السجين شارل سادرون بهذا الشأن معلومات سليمة ومؤكدة ضمنها كتابه "فى مصنع دورا" الذى يركز فى حديثه على مجموعة صغيرة تعمل فى القاعة ٢٨ فى فحص الجيروسكويات قبل تجميعها .

والحقيقة إن إنتاج الصاروخ خضع لجميع أنواع الفحص على يد شتى الخبراء والفاحصين مثل جيرمين روش Germain Roche العامل فى قطاع هيكمونتاج ومارسل كولاردو Marcel Coulardot الذى تولى فحص أجهزة القياس فى القاعة ٢٠ وكلود دوواى Cloude Douay الذى قام بفحص الجهاز الكهربى والمغناطيسى المستخدم فى التحكم الخلفى فى التصويب، ولكن العمل فى بعض القطاعات والورش كان أكثر هدوءًا وأقل صخبًا مثل الورشة التى عمل فيها روبرت برثيلوت Robert Berthelot ، وأيضًا كان كابو قطاع المساحة فرنسيًا اسمه روبرت ديجلين Robert Deglane السجين الذى وصل إلى معسكر دورا لابسًا المثلث الأخضر الدال على عراقته فى الإجرام والذى أصدرت المحاكم الألمانية حكمًا ضده، وكان جوستاف ليروى Leroy الضابط الطيار

---

(١) كلمة ألمانية تعنى (قسم) أو (قطاع) .

القـادم على أول قطار من كـومـبين فـى شـهـر يناير من أوائل الذين التـحـقـوا بقطاع المرسـوم الهندسية وقد حضر معه سجين آخر هو هنرى كاليه Calés ثم انضم إليهما فيما بعد بعض رجال المقاومة ضد النازية (نتيجة وساطة السجين بيرين Birin الذى شـغل منصبًا أعلى فى ربيع عـام ١٩٤٣) مثل دوجيـسيـيه - بونتكارال Dejussieue Pontcarl الذى كان رقم سجنه فى مسلسل السبعين ألف والذى أصبح خلفًا للجنرال ديلسـترنيت Delestraint كرئيس للجيش السرى المناهض للنازية. وذلك عقب ترحيل الجنرال المذكور إلى معسكر آخر هو داكاو . وفى ليلة إجلاء المعسكر ضم قطاع الرسوم الهندسية عددًا آخر من السـجناء هم جابريل لاكسوت Gabriel Lacoste ورينيه كوجنى Rene Cogny وبير جـوليت Pierre Julitte والطيار ديميوتر Jean Demuyter الذى انضم إلى هذا القطاع فى فبراير ١٩٤٥ وكان رسامًا هندسيًا مشهودًا له بالبراعة .

وجـد أندريه ريبـولت André Ribault نفـسـه فى مـوقف غـريب عندمـا وصل إلى معـسكر دورا فى فـبـراير ١٩٤٤ والتـحق فـور وصوله بمكتب الرسوم الهندسـية ، وهو المكتب الذى يحتفظ بكل رسوم الصواريخ الهندسية التى تنتظر التحديث والتعديل. وفى مكان مـعزول عمل هذا الرجل وثلاثة سـجناء آخرون مع نفر قليل من المدنيين الألمان . وهؤلاء السجناء الثلاثة الذين انضم إليهم ريبولت جاءوا من ليتوانيا وسلوفاكيا وبولندا، ويعتبر ريبولت الفرنسى الوحيد الذى شاهد بحكم عمله كرسام هندسى جميع أجزاء الصـاروخ ومكوناته ونظرًا لحاجـة مـعسكر دورا إلى الملمين باللغة الألمانية التـجـأ فى بادىء الأمر إلى تشغيل المجرمين الألمان فى الحسـابات وأعمال السكرتارية مثل إعداد كشوف الرواتب. ولكن سـرعان مـا اكتشـفت إدارة المـعسكر خيبـتـهم وافتـقـارهم إلى الكفـاءة، وفى أوائل عـام ١٩٤٤ عـينت إدارة مـعـسكر دورا اثنين من التـشـيكيين كمحـاسبين هما أوتاكار ليتـموسكى Otacar Litmusky وفلادا لافاك Vlada Hlavac ، وذلك بعـد إجـراء اخـتـبـار لهـمـا على الآلة الحـاسـبـة. وشيـئًـا فشـيـئًـا استطاع هذان المحاسبان التشيكيان التخلص من الألمان وإحلال بنى جلدتهما التشيكيين محلهم. وفى نفس الوقت اخـتـارت إدارة دورا السـجين البلجـيكى جيرى بينيس Jiri Benes للقيـام

بأعمال السكرتارية الخاصة باللجنة العسكرية التى اضطلعت بمهمة قبول أو رفض التعديلات المقترح إجراؤها على الصواريخ وإبداء أسباب رفضها أو قبولها .

وبسبب معرفتهم باللغة الألمانية كانت فرص التشيكيين والبولنديين تفوق فرص الفرنسيين فى الحصول على الوظائف الأعلى. ويحكى لنا الطالب جاك كريستيان بايلى Jacques. Christian Bailly البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا كيف مكنته معرفته باللغة الألمانية من اجتياز اختبار المقابلة للحصول على أحد أعمال السكرتارية فقد سأله الممتحنون إذا كان ملمًا باللغة الألمانية فأجاب بأنه خط بيده قصيدة جوته الشهيرة "إيرلكونيج Erlkonig ، وكذلك حصل مستشار فى السفارة الهولندية على وظيفة كتابية بسبب معرفته بهذه اللغة، ومن ذلك الوقت أصبح بايلى يعمل فى قطاع شريبر Scheriber وهو قطاع يضم عاملين من كل الجنسيات ، ورغم أن غالبيتهم كانوا من الألمان فإن كثيراً من سجنائه جاءوا من تشيكوسلوفاكيا وبولندا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبورج بالإضافة إلى عدد قليل من الفرنسيين .

قطاع حملة الأثقال:

اتسم مصنع متبلوبرك بوجود أقلية متميزة من العاملين وجمهرة من العمالة المدربة والمتخصصة ، كما اتسم بوجود عدد غير محدود من العمالة غير الماهرة التى كلفت بحمل الأثقال من المخازن الخارجية إلى المصنع والتى تعرضت للخسف والاضطهاد ، وكان أغلب هؤلاء التعساء من روسيا وأوكرانيا ومن بعض الفرنسيين والبلجيكيين والإيطاليين الذين شاء حظهم العاثر أن يجدوا أنفسهم فى هذا القطاع، وروايات السجناء عن قطاع حملة الأثقال متضاربة، ولعل الرواية التى أوردها شارل سادرون عن هذا القطاع تميزت عن غيرها بالدقة، وفى أثناء وقت خروج السجناء من النفق فى مايو - يونيه ١٩٤٤ سمحت لهم إدارة المعسكر بالراحة يوم الأحد ولكن فى يوم آخر من أيام الآحاد تم تجنيدهم وترحيلهم للعمل داخل النفق بدلاً من

العمال المعتادين ، وقد شرح شارل سادرون ما حدث بقوله : "كنا في الساعة السابعة في موقع العمل على شبكة قضبان السكة الحديد أمام المدخل المؤدى إلى النفق (أ) وهناك كلفنا بعمل بسيط يتمثل في نقل الخزانات الكبيرة داخل المصنع التى كونت جسم الطوربيد بعد ملئه بالسوائل أو الكحول وكانت هذه الخزانات مصنوعة من شرائح مادة الدورالومين duralumin وكان الخزان الواحد وهو فارغ يزن نحو ثلثمائة رطل وهو عبارة عن أسطوانة يبلغ طولها نحو عشرة أقدام وعرضها نحو خمسة أقدام وكان الخزان الواحد يحتاج لحمله إلى ستة رجال، أى أن الرجل الواحد كان يحمل خمسين رطلاً ، ولم تكن الحمولة مفرطة في الثقل ، ولكن المشكلة كانت في عدم إمكاننا الإمساك بها، وكان كل ثلاثة رجال يقفون على كل جانب من جانبي الأسطوانة، وتعين على كل رجل واقف على الجانب الأيسر أن يمد يده اليمنى ليمسك باليد اليسرى لزميله المقابل له على الجانب الآخر ، وهكذا ارتكزت الحمولة على الأذرع الست الممتدة، ومضينا بها، وتعين علينا أيضًا السير لمسافة تزيد على الخمسين قدمًا، وفي البداية نجحت هذه الطريقة ولكن سرعان ما أصبحت لا نطاق فقبضة الأيادى الممسكة ببعضهما بعضًا ما لبثت أن أصابها الارتخاء ، فضلاً عن أن العرق جعل أيدينا تتزحلق فإذا فقد أى منا قبضته على الخزان سقط منا، الأمر الذى استوجب إنزال العقاب الوحشى بنا، وآلمتنا أكتافنا كما أن قلوبنا جميعًا نحن الذين نعانى من سوء التغذية كانت تدق دقًا عنيفًا، وبطبيعة الحال جعلنا الإعياء نعمل ببطء ، وكنا نسير أمام رجال الوحدة الخاصة فيصرخون في وجوهنا ويوسعوننا ضربًا ولكمًا .

"وأيضًا كال لنا بعض المدنيين الإهانات وأوسعونا ضربًا، وزلت قدم واحد منا في المقدمة فسقط على ركبتيه فاستمر بقية زملائه في حمل الحمولة الثقيلة التى أنزلقت بالتدريج وهوت على الأرض مسببة دويًا هائلاً، وفي لمح البصر جاء أحد رجال وحدة البوليس الخاصة ليركل الرجل الذى تسبب في سقوط الحمولة ويضربه بالهراوة أثناء وقوفه ببطء وترنح وقد ارتسمت نظرة التعذيب والصياح على وجهه .

ثم أسرعنا الخطا، وأخيراً وصلنا إلى الهدف المنشود وسلمنا الحمولة إلى المخزنجي كان جهداً شاقًا لا قبل لنا به، وتسللنا إلى القاعة، ولكن رجال الوحدة الخاصة لم يتركونا وشأننا فقد ضربونا بمؤخرات بنادقهم وهراواتهم وأعادونا مرة أخرى إلى موقع العمل ، ولست أعرف كم نقلت من هذه الخزانات ولكن أعرف أن الإنهاك والضربات أصابتنا بالدوار ."

وبالإضافة إلى هذه الشهادة التي أدلى بها شارل سادرون هناك شهادة أخرى تنبض بالحياة أدلى بها أندريه بونتوازو **Andrés Pontoizoau** عن نقل القذائف والخزانات ، ومن الموسف أنه لا توجد أية معلومات عن عدد الوفيات الناجمة عن نقل هذه الحمولات الثقيلة ولكن لابد أنها كانت كثيرة .

العلاقات بين السجناء داخل النفق:

كان السجناء المكلفون بأداء أعمال السكرتارية أو الذين يشغلون وظائف حساسة بعض الشيء يعيشون في داخل النفق تحت سقف واحد مع الكابو المشرف عليهم وكذلك مع المهندسين في أغلب الأحيان، وكانت العلاقة بينهم في العادة مقبولة بل ودية أحيانًا ، كان هذا حال كل من ريبولت وبايلون وجين – بول رينارد وبايلي، كما أن هذه العلاقة الودية سادت بين السجين التشيكي بينيس والضابط الألماني الماجور دتزمان **Dutzmann** ، ويضيف سادرون إن كروجر **Kruger**الذي كان عضواً مخضرمًا في الحزب النازي والذي أصيب بجروح على الجبهة الفرنسية عام ١٩٤٠ لم يحمل المقت والموجدة للسجناء. ورغم أنه لم يسئ معاملتهم وخف إلى إنقاذ بعضهم من الضرب والتعذيب فإنه كان ينظر إلى سجنائه من علٍ ويعاملهم كما يعامل السيد عبيده .

ويصف راءول ديفال علاقة العمال الألمان بالسجناء في هيلمونتاج فيقول: "كان بعض هؤلاء الألمان خنازير في حين كان بعضهم الآخر طيبين ، ولكنهم كانوا في معظم الوقت أولاد زنا أغبياء يتسمون بالشراسة أكثر مما يتسمون بالشر، أصابهم الإنهاك

بسبب هذه الحرب التى لا تنتهى ويشعرون بالضياع فى أغلب الأحيان وانقطعت صلاتهم بعائلاتهم وكتب عليهم أن يحيوا حياة جماعية ويبث البوليس الرعب فى قلوبهم ، وبلغ التعب بالمهندسين كل مبلغ واقتنعوا فى قرارة أنفسهم بأن هزيمة ألمانيا أمر لا مفر منه دون أن يستسلموا لفكرة قرب هذه الهزيمة، الأمر الذى جعلهم يستمرون فى هذه الحرب بحكم العادة .

ولكن راءول ديفال يعبر عن قدر أعظم من الاحترام لشرف ألمانى يدعى هولز Holz اتصف بالدقة والحنو ولضباط الصف والجنود الألمان العائدين من جبهة القتال للعلاج أو الاستشفاء ممن أسندت إليهم مهمة التفتيش على المصنع وامتدح بعض الشهود مسلك عدد من المشرفين المدنيين الألمان فقد أثنى كروز Croze على هاهن HAHN وهوسنر Housner ، وأثنى آمات Amate على أشنباخ Aschenbach كما أثنى بجنون Bignon على كل من سيفرت Seifart وسبروت Sebroat وجازنبسك Jazbinsek على هام Hamme وجانك Jancke الذين أعفوا بعض السجناء من العقاب أو قدموا إليهم الطعام ، ولكن هذا العفو لم يظهر إلا فى التجمعات الصغيرة ، ولكن الألمان المدنيين كانوا يتصرفون بطريقة مغايرة فى التجمعات الكبيرة .

ومن وقت لآخر كانت بعض الشخصيات البارزة تزور النفق ، ومن ثم جرت الاستعدادات داخل النفق لاستقبالهم وتزويد النفق بطاقة كهربائية أكثر بهدف التقاط بعض الصور الفوتوغرافية مثل قيام إدارة السينما بالجيش الألمانى بالتقاط صور للصاروخ V2 ، ولم يكن سلوك الكابوهات المختارين من بين السجناء واحداً فقد امتنع كابوشيرر واسمه بيترسومر Perter Sommer عن ضرب أى سجين أو إلحاق الأذى به وحدث هذا خلال خمسة عشر شهراً ، ولكن الحال لم يكن كذلك فى كل القطاعات فقد كان الكابو جورج فينكنزلر Goerg Finkenzeller من قطاع هوكوهل Houkohl شرساً فى معاملته للسجناء، وكان لهذا الكابو سجل إجرامى وسبق الزج به فى معسكر ماثاوزن قبل الزج به فى معسكر فينر نيوستادت حيث بث الرعب فى قلوب سجنائه، وعندما تم نقله إلى معسكر بوخنوالد فى نهاية نوفمبر ١٩٤٣ لم يحضر مع بقية

السجناء إلى دورا ولكنه سرعان ما ظهر فى هذا المعسكر بعد حصوله على ترقية رغم ما عرف عنه من قسوة ووحشية .

كان جورج فينكنزلر مولعًا بالبحث داخل النفق عن ضحايا له من السجناء يتمتع بضربهم ويتلذذ بجلدهم، وكان من عادته الاقتراب من ضحاياه وهو يخفى هراوته وراء ظهره ليضربهم بها وقد وصفه السجين دومنيك جوسن Dominiqhe Gaussen بالكابو الشرس كما أن ليون ديلابر Léon Delabre رسم نحو ديسمبر ١٩٤٤ صورة له وهو يخفى هراوته وراء ظهره باحثًا عن ضحية يوسعها ضربًا، ولكن الحق يقال إنه كان هناك فى النفق من هو أكثر منه فظاعة وترويعًا مثل رجل وحدة البوليس الخاصة إروين بسطا Erwin Basta الذى لم يكل أو يتعب من ضرب أى سجين يجده فى طريقه ، وكان هذا الرجل البشع يظهر فى النفق ليل نهار لدرجة أن السجناء لم يعرفوا متى ينام وقد درج السجناء على تسميته برأس الحصان. ولكن مسلك عدد من رؤساء مصنع ميتلويرك أمثال ساوتزاكى وريكهى ورودلف وهوكهل اتسم بنوع من الشفقة والرحمة فقد كانوا يوزعون السجائر على سجنائهم ويعطونهم مكافآت تتمثل فى كوبونات وأوراق مالية يستعملونها فى شراء البضائع من المقصف .

عمليات التخريب:

كانت محاربة التخريب أهم ما يشغل بال المسئولين عن معسكر دورا ولهذا وزعوا يوم ٨ يناير ١٩٤٤ منشورًا فى مصنع ميتلويرك يحذر السجناء من مغبة الإتيان بأعمال التخريب ، ويعزو البعض فشل النازيين المتكرر فى إطلاق الصواريخ إلى أعمال التخريب التى قام بها السجناء تنفيذًا للأوامر الصادرة إليهم فى منظمات المقاومة السرية ضد النازية ، ومؤخرًا اكتشفت فى عام ١٩٨٨ - ١٩٨٩ معلومات عن هذا الموضوع مستقاة من أعضاء جمعية السجناء السابقين فى معسكرى دورا - إلرتيش ، وتدل الملاحظة الأولى على انتفاء الدليل على وجود تنظيم سرى للمقاومة فى دورا فهى مقاومة فردية وتلقائية فى آن واحد، ولعل هذا يرجع إلى شدة سرية هذا

الموضوع وخطورة عواقبه ، فضلاً عن انتفاء المعلومات حول ما قام به سجناء دورا من أعمال تخريبية تؤثر على كفاءة الصواريخ، فهذه الأعمال كانت خفية وطفيفة وغير ملحوظة ولا يحس أحد بعواقبها إلا بعد تراكمها ومرور وقت عليها، وعلى أية حال لم يفهم كثير من العمال طبيعة العمل الذى يضطلعون به فى صنع الصواريخ باستثناء أفراد قلائل مثل السجين الفرنسى أندريه ريبولت Anré Ribault الذى كان على معرفة تامة بكل شيء عن الصاروخ V2 الذى يسعون إلى إنتاجه وكذلك كان السجين سيرج فواريت Serge Foiret – وهو فتى متخصص فى الطيران ، يدرك تفاصيل هذا العمل ودقائقه ، إلى جانب رينيه دافسن René Davesne الذى سطر عام ١٩٥٢ وثيقة تبين معرفته بحقيقة ما يجرى فى مصنع النفق ، ناهيك عن وجود قلة من السجناء العلماء المدركين لكل ما يجرى حولهم داخل المصنع مثل شارلى سادرون ولويس جنتيل Louis Gentil الذى كلف بالعمل فى إنتاج صاروخ V1 فور وصوله ، والجدير بالذكر أن الدراسين يعلمون التفاصيل الدقيقة عن عدد قليل من أعمال التخريب التى نجح السجناء فى القيام بها، ويتلخص التخريب غير الواضح فى استغلال إهمال بعض المدنيين الألمان فى العمل ، ويسوق لنا السجين التشيكى بينيس مثالين لأعمال التخريب التى يقوم بها السجناء ، وقد أورد لنا كل من ريبولت وبايلى روايات مماثلة حول هذه الأعمال وأيضًا تمثلت بعض الأعمال التخريبية فى رفض المواد الواردة إلى النفق من الخارج بحجة أن عيبًا يشوبها حتى لو كان هذا العيب طفيفًا، وخاصة إذا كان لهذا العيب عواقب وخيمة كما هو الحال فى حالة مواد لحام الشروخ، وكذلك يورد برنارد زامبليون وجوزيف بنجر بعض أعمال التخريب المماثلة – وبالنظر إلى شدة أهمية اللحام فى بعض أجزاء الصاروخ فإن أى عيب فيه كانت له عواقب وخيمة ، ومما سهل على السجناء مهمة التخريب أن المشرفين عليهم فى كثير من الحالات لم تكن لديهم أدنى فكرة عن طبيعة عمل السجناء .

الحياة اليومية فى مصنع النفق:

أمضى آلاف السجناء فى دورا معظم أوقاتهم فى مصنع النفق لأكثر من عشرة شهور لدرجة أن هذا النفق تحول إلى عنبر نوم ، وبطبيعة الحال كان محظوراً على السجناء النوم فى المصنع سواء أكان لديهم أو لم يكن لديهم عمل وكان السجناء فى حضرة رجال الوحدة الخاصة يتظاهرون بالانكباب على العمل خوفًا من توقيع العقاب عليهم، وحتى إذا ترك الخبراء والمتخصصون عملهم لأخذ قسط من الراحة فى الثكنات أو فى أى ركن من أركان المعسكر فإن وحدة البوليس الخاصة كانت تعرف مكانهم وتراقب تحركاتهم ، وكان السجناء الحرفيون قادرين على تصنيع بعض الأشياء والأدوات من مخلفات المصنع فقد تمكن السجناء بيحنون وهيرو Herrou من تصنيع ولاعات السجائر من هذه المخلفات وتزويد العمال المدنيين بها ممن يعملون فى القاعة ٢٨ .

وكما أسلفنا كان سجناء دورا يشكلون مجموعات من أبرزها وأكثرها تماسكًا مجموعة شارل سادرون التى ضمت جى بواسوت Guy Boussot ورينيه بوردت René Bordet وفرانسيس فينيلى Francis Finelli وأندريه فورثانيه Andre Fortané وبيير جاتى Pierre Gati وأندريه جيرارد André Gerard ومارسيل جوجو Marcel Gouju وبرنارد جروس Bernard Gross وبيير همرى Pierre Hemery وريموند دى ميربيل Raymond de Miribel وإيفون نافيت Yvon Navet وأندريه سلييه Andre Sellier ورينيه سكويت René Souquet ، وباستثناء شخصين فقط هما همرى وميربيل اللذين حملا رقمى سجن مسلسل الواحد وعشرين ألفًا وصلوا جميعًا من معسكر بوخنوالد على متن القطارين القادمين إلى دورا فى يناير ١٩٤٤ والذين تم إيواؤهم بسرعة فى القاعة ٢٨ فى معسكر شيرر الذى ضم متخصصًا فى الكتابة العلمية اسمه فرانسوا لى ليونس Francois Le Lionnais من المنتمين إلى مجموعة أوليبو Oulipo وكان هذا الرجل يلقى محاضرات علمية فى مختلف الموضوعات ، كما كان شارد اللب ومستغرقًا فى التفكير، الأمر الذى جلب عليه ضربات الحراس ولكماتهم وانقسم السجناء إلى مجموعات وفقًا

للغات التى يتحدثون بها مثل المجموعة السلوفينية القادمة من معسكر داكاو والمجموعة التشيكية، ولكن هذا لم يمنع من نشوء أواصر مودة وصداقة تربط بين السجناء الفرنسيين والسوفيت فى معسكر شيرر، وبطبيعة الحال نشأت حزازات بين المجموعات المنتمية إلى جنسيات مختلفة .

الكتابة عن تحرير معسكر دورا:

تأرجح سجناء دورا بين التفاؤل والتشاؤم فى قرب تحرير هذا المعسكر لأن الحرب كانت سجالاً بين القوات النازية وقوات الحلفاء، وكان المصدر الرئيسى للمعلومات الخاصة بسير المعارك يستمد أساساً من محطة الإذاعة الألمانية أو من الصحف ، فقد كان بعض المدنيين العاملين فى النفق يستمعون إلى الراديو لمتابعة أخبار الحرب ، ففى معسكر كوشيرو درج على سماع الراديو أحد الألمان ويدعى كروجر Kruger الذى شارك السجناء السكن فى القاعة رقم ٢٨ ، وكان أحد سجناء هذه القاعة واسمه جيرارد يتحدث اللغة الألمانية بطلاقة فضلاً عن أن إحدى كبريات الصحف النازية اليومية كانت تصل إلى معسكر دورا، وواجه السجناء مشكلة كأداء تلخصت فى التمييز بين الأنباء الصادقة والأنباء المغلوطة وتفسيرها بطريقة سليمة وهو ما لم يكن بالأمر السهل لأن التفسير الصحيح لهذه الأنباء اقتضى من القارىء معرفة طوبوغرافية المكان وأسماء المدن والأنهار فضلاً عن أن التتبع السليم لسير المعارك اقتضى وجود خرائط وهو مالم يتوفر بطبيعة الحال للسجناء غير أن سادرون تمتع بوضع مميز لأنه كانت لديه فرصة للاطلاع على الخريطة، ويقول سادرون فى هذا الشأن : "كانت هناك خريطة معلقة على الحائط فوق مكتب نيومان ، وكنت أستطيع رؤيتها بوضوح من المكان الذى أجلس فيه، الأمر الذى مكننى من تتبع تقدم قوات الحلفاء فضلاً عن أن أحد السجناء درس الجغرافيا وكان على قدر مذهل من العلم وكانت لديه مجموعة من الخرائط التى رسمها من الذاكرة على ظهر بعض أوراق المعسكر، والجدير بالذكر أن أندرييه سيلييه مؤلف كتاب "تاريخ معسكر دورا" كانت لديه معرفة بالبلدان وأنهار المناطق التى يدور

فيــها القتــال مــثل دنيبــر Dnieper ودنيسـتر Dniester وبريبت Pripet وبيرزينا Berezina .

ومن السـهل أن نتتبع كيف ارتفعت بالتدريج روح سجناء دورا المعنوية، كانت الحادثة الأولى التى أحيت أملهم فى التحرير نجاح عملية إنزال قوات الحلفاء فى نورماندى يوم ٦ يونيه ١٩٤٤ ، وهو الخبر الذى تناقلته ورديات عمال دورا وتهللت لسماعه، وبلغت الحماقة ببعض السجناء أمثال إدموند كوسين Edmond Caussin مبلغًا جعلهم يعبرون عن فرحتهم الغامرة مما أغاظ النازيين ودفعهم إلى توقيع العقاب عليهم ولكن فرحة السجناء بدأت تتبدد بالتدريج نتيجة احتدام المعارك بين الألمان والحلفاء على أرض نورماندى فى حين أخذت روح الألمان المدنيين العاملين فى مصنع دورا مثل كروجر فى الارتفاع عند إعلان إطلاق الصواريخ V1 على لندن، ولكن فرحة الألمان بهذا الخبر لم تستمر حيث وردت أخبار أخرى باحتلال القوات الأمريكية لمنطقة بريتانى Brittany وأن قوات الحلفاء نزلت فى منطقة برفانس وأنه تم بالفعل تحرير باريس وبروكسل ثم لوكسمبرج وأحيت انتصارات الحلفاء أمل سجناء دورا فى قرب تحريرهم أو عودتهم إلى أوطانهم وكانت نتيجة تحرير فرنسا التدريجى من الاحتلال النازى زيادة هيبتها فى عيون السجناء التشيكيين والبولنديين، وفى يوم ١٤ يوليه ١٩٤٤ الموافق عيد فرنسا القومى تجرأ السجناء الفرنسيون وتغنوا بنشيدهم القومى المارسيلينز وهم فى طريقهم إلى النفق ولم يتحرك رجال الوحدة الخاصة لقمع السجناء إلا بعد أن حذا السجناء الروس حذوهم وبدأوا ينشدون أغانيهم الوطنية ولكن جذوة الفرح فى نفوس السجناء سرعان ما خمدت عندما أعلنت ألمانيا النازية نجاحها فى إطلاق الصاروخ V2 فى ٨ سبتمبر ١٩٤٤ ، واحتدمت المعارك بين الحلفاء والمحور للسيطرة على ميناء أنتويرب الهولندى (١) ، ولكن روح السجناء المعنوية مالبثت أن ارتفعت من جديد عندما علموا بتقدم قوات الحلفاء فى كل من اللورين والألزاس وهكذا تأرجح السجناء بين اليأس مع كل هزيمة لحقت بالحلفاء، والرجاء مع كل انتصار أحرزوه .

(١) أنتويرب مدينة بلجيكية .

قطاعات أخرى من مصنع ميتلويرك:

هناك قطاعات أخرى فى مصنع ميلتويرك هى نيدرزساسنسورفن Niederschs-werfan وروسلا Rossla وكيلبرا Kelbra كان مصنع ميتلويرك فى نفق دورا يقوم بتجميع صاروخ V2 من أجزاء تقوم بتصنيعها ورش فى جميع أرجاء ألمانيا وتقوم القطارات بنقلها إلى دورا وكان مصنع ميتلويرك يحتفظ بمخزون هائل من هذ الأجزاء تحسبًا لتعرض المصانع للضرب بقنابل الحلفاء وقطعهم الطريق على مصادر توريد هذه الأجزاء فى أية لحظة، ولم يكن هناك فى المصنع سوى مخزن محدود المساحة للاحتفاظ بأكثر الأدوات عرضة للكسر والتلف مثل الجيروسكومات ، أما المخازن الأخرى الفسيحة فى دورا فكانت تستخدم لحفظ الأجزاء الضخمة والثقيلة وغير الحساسة مثل الموتورات والخزانات والألواح المعدنية إلخ، وكانت هذه الخزانات موجودة خارج المصنع فى نقاط متفرقة من المنطقة المحيطة به، ويعرف الدارسون عن كثب الكثير عن هذه القطاعات الثلاثة المشار إليها، ولكن يجهلون ما عداها من قطاعات رغم أنه من المؤكد وجود عدد آخر منها، وكان المخزن الأول يتصل بمخزن فى الهواء الطلق عند المخرج الشمالى من نفق (أ) فى كوهنشتين فى أرض يندر ساشسورفن، وكان المستخدمون لهذا القطاع يأتون من معسكر دورا مشيًا على الأقدام ، وهم يتكونون أساسًا من التشكيين ، ولكن هذا القطاع اشتمل على فرنسى واحد هو إفيل نيردت .

ويقع المخزن الثانى فى روسلا على بعد ثلاثة عشر ميلاً شرق نوردهاوزن على خط السكة الحديد الموصل إلى هال Halle [1] ، ولم يحتفظ النازيون خارج المعسكر إلا بالدبابات المغطاة بهدف التمويه، وقد قدم ماكس ديتيلييه وصفًا لهذا القطاع الذى كان الكابو ويلى شميدت يتولى الإشراف عليه، وأيضًا كلف ويلى شميدت بالإشراف على مخزن روسلا، وابتداء من أول أغسطس ١٩٤٤ ، كان مائة سجين يتوجهون للعمل يوميًا من دورا إلى هذا القطاع عن طريق القطار، ولكنهم أودعوا فى معسكر صغير

(١) هاله .

معــــزول تم إنـــشاؤه خـصـيصًا لهم، وظـــلوا فيه معزولين حتى إجلائهم عنه فى أبريل ١٩٤٥ .

وكان الهدوء يسود الحياة فى القطاع الذى يشغله البولنديون والتشيكيون وبعض الفرنسيين القلائل وكثير من الروس ، فضلاً عن أن رجل الوحدة الخاصة المشرف على هذا القطاع لم يكن متشدداً أو بغيضًا ، وقد أصاب المرض قلة من هؤلاء السجناء، وأجريت عملية جراحية لاثنين منهم فى مستشفى دورا ويقول لنا ماكس ديدتيلييه فى هذا الشأن : " أمضى ويلى شميدت فى قطاع روسلا ثمانية أشهر دون أن يموت فى عهده أحد لا من الفرنسيين أو من الآخرين ، ولم تحدث حادثة وفاة واحدة "غير أن دوتيلييه فيما بعد علم بحدوث حالة وفاة واحدة" .

وطبقًا لما يقوله إدموند كوسين يقع المخزن الثالث فى كلبرا على بعد أميال قليلة من الجنوب وأيضًا كان الهدوء يسود هذا المخزن ويجدر بالذكر أن كوسين تعرض لحادثة وأصيب بإصابة عمل نتيجة قطع أحد الكابلات، الأمر الذى استدعى نقله إلى مستشفى دورا وإجراء عملية جراحية له قام بها الدكتور جاك بوبولت Jacques Poupault ، وبعد استرداد صحته ألحق بالقاعة ٢٨ فى النفق. وفى ذلك الوقت كانت أحوال هذا القطاع طيبة فى حين أن الأحوال تدهورت فى قطاعات أخرى مثل إلريخ ونوردهاوزن وبلاكنبرج Blankenburg وفى حين ساد الهدوء هذا القطاع الثالث فإن الظروف المعيشية المأساوية سادت إلريخ ونورهاوزن وبلاكنبرج .

وفى قطاع كلايبودنجن Kleinbodungen نجحت عملية إطلاق بعض الصواريخ من طراز V2 ولكن بعضها الآخر تفتت فى الهواء قبل وصوله إلى الهدف، وأيضًا فشلت عمليات إطلاق الصواريخ وخاصة من المراحل الأخيرة من تجربتها فى كل من بليزنا وبينيموند وأخيرًا تعين نقل هذه الصواريخ بالقطار لمسافات طويلة ، الأمر الذى عرضها للحوادث والقصف وقد نجم عن ذلك أن النازيين احتفظوا فى منتصف عام ١٩٤٤ بمخزون غير صالح للاستعمال فى صواريخ V2 ، ولهذا قرر مصنع ميتلويرك فى صيف عام ١٩٤٤ تفكيك هذه الصواريخ غير الصالحة لإعادة تصنيعها ولهذا تم

إنشــاء قطاع يعـرف بـاسم Emmi ظل يعـمل حـتى أبريل ١٩٤٥ لإعـادة تدوير هذه الصواريخ الفاسدة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

تصنيع الصاروخ V1 فى مصنع ميتلويرك:

لم يبدأ إنتـاج الصـاروخ V1 فى مـصنع مـيتلويرك المقـام فى نفق دورا إلا فى سبـتمبـر ١٩٤٤ ، وحتى ذلك التـاريخ كان إنتـاجه يتم عن طريق شركات ألمانيـة وفى مقدمتها شركة فولكس فاجن، وفى حين قام مكتب سلاح الجيش بتطوير الصاروخ V2 فى قواعده وخـاصـة قاعدة بييمـوند تولت شـركـة فـيزلر Fieseler فى كـاسـال Kassal إنتـاج الصـاروخ الذى عـرف فيمـا بعد بصـاروخ V1 ، وهى الصـواريخ التى أطلقتـها القوات النـازية على لندن من فـرنسـا يوم ١٣ يونيـه ١٩٤٤ وهـى صـواريخ قـامت شـركـة فيزلر بتصنيعها فى كل من منطقتى كاسـلا أو تشـام Cham (الواقعة فى بافـاريا شمـال شرق ريجنسبرج Regensburg أو شـركة فولكس فـاجن فى فـلارسيلبن Fallersleben (أى Wolfsburg) أو فى بورج Burg شــمــال شــرق مـاجـد برج أو شـركـة أوبل فى روسلشـايم Russelsheim [1] (بالقـرب من فـرانكفـورت) أو حـتى فى فـرنسـا فـى ثيل فـيلربت Thil - Villerupt فى شـمـال مـورث – إيت – موسـيل Meurthe- et- Mosselle غير أن القيـادة العليا للفوهرر مـالبثت أن قررت تجميع الصـاروخ V1 فى مصنع تحت الأرض، وكلف بول فيج Paul Figge بأن يتولى مسئولية نقل المعدات والجهاز الإدارى من فـالرسلبن إلى نفق دورا، ولهـذا تم إنشـاء مـصنع مـيتلويرك رقـم ٢ فى الطـريق الجنوبى من النفق لهـذا الغـرض، ولحين تشـغـيل المصنع الجـديد تركـز إنتـاج هذه الصـواريخ فى بورج Burg وشـام Cham ثم تدريجيًا فى مصنع دورا الذى أصـبح فى فبراير ١٩٤٥ الوحيد الذى ينتج الصاروخ V1 وقد جاء إلى دورا للعمل فى هذا المصنع فريق من يهود المجر القادمين من فـالرسلبن كمـا جاء إليه بعض السـجناء العاملين فى

---

(١) روسلزهايم .

مصنع ويرك رقم ١ مثل جاك شامبوازيه وكلود لوث Claude Lauth واكسافيير دى ليسل Xavier de Lisle وديدييه بورجت Didier Bourget القادم من معسكر برجن بلسن عن طريق معكسر بوخنوالد، وقد عين هذا الأخير فى هذا المصنع لطلاء الصواريخ V1 علمًا بأن رقمى سجن إدمون ديبومارشيه Edmond Debeaumarche ولويس جنتيل Louis Gentil كانا فى مسلسل أرقام سجن السبعة والسبعين ألفًا، وبعد قصف الحلفاء لأحد مصانع بوخنوالد أسند إلى كل من أوليفييه ريشيت Olivier Ri-chet ومارسيل رانشين Marcel Ranchain مهمة التأكد من سلامة إنتاج الصواريخ V1 كما كلف ضباط سلاح الطيران الألمانى بمهمة تفقد هذا الصاروخ فى حين تولى الجيش مسئولية فحص الصاروخ V2 .

الفصل الثامن

أحوال معسكر دورا فى عام ١٩٤٤

لم يكتمل معسكر دورا ويصبح واضح المعالم إلا فى أبريل - مايو ١٩٤٤ ، ويقع هذا المعسكر فى وادى دورا بالقرب من مصنع النفق، وفى نفس الوقت افتتح كاملر مدير هذا المعسكر عدداً من مواقع العمل الجديدة فى المنطقة المجاورة، وكانت هذه العمالة المستخدمة فى هذه المواقع تأتى إلى دورا من معسكر بوخنوالد، وتلقى السجناء المرضى منهم العلاج فى دورا التى أقيمت فيها محرقة مؤخراً ، ورغم وجود هؤلاء السجناء فى دورا فإنهم كانوا فى بادىء الأمر تابعين لمعسكر بوخنوالد من الناحية الإدارية ، ولكن هذا الوضع المتأرجح انتهى فى خريف عام ١٩٤٤ فقد تقرر منح معسكر دورا ميتلبو - Dora Mittelbau استقلاله فى ٢٨ سبتمبر من هذا العام بعد أن أصبح مشتملاً على عدد من المعسكرات والقطاعات الفرعية، وظلت أوضاع هذا المعسكر مستقرة حتى أوائل عام ١٩٤٥ ولكنها ما لبثت أن عادت إلى الاضطراب نتيجة وصول القطارات التى تحمل الأفواج المرحلة من معسكرات الاعتقال النازية فى شرق أوربا .

إدارة معسكر دورا:

عهد النازيون إلى السجناء الألمان بتسيير بعض شئون المعسكر الداخلية، وتعين على رجال الوحدة الخاصة اختيار السجناء السياسيين من لابسى الشارة الحمراء والسجناء المجرمين من لابسى الشارة الخضراء وفى الشهور الأولى كانت إدارة شئون

دورا الداخلية من نصيب سجينين شيوعيين هما جورج توماس Georg Thomas ولودفيج سزمزاك Ludwing Sezymczak اللذان وصلا إلى معسكر بوخنوالد بعد وصول الفوج الأول غير أنه تم طردهما من الخدمة فى فبراير عام ١٩٤٤ لأنها رفضا تنفيذ الأوامر الصادرة إليهما بشنق بعض السجناء وحل محلهما سجين ألمانى مجرم هو ويلى زويتر Wily Zwiener ، ورغم ذلك فقد تمكن سجين سياسى اسمه ألبرت كونتز Albert Kuntz المسئول عن أعمال البناء والتشييد فى المعسكر من أن يصبح مركزًا من مراكز القوة فى المعسكر بعد فورشنز قائد المعسكر، ويبدو أن هذا السجين السياسى هو الذى حث كلاً من فورشنر وبستر قومندان بوخنوالد الذى زار معسكر دورا لتفقده على تعيين اثنين من السجناء الشيوعيين كزعماء للمعسكر وهما جوزيف جاميش Ja-seph Gamisch وكريستيان بيهام Christian Beham القادمين من معسكر بوخنوالد ونال هذان السجينان ثناء التشيكيين والبولنديين عليهما ،واتبع هذان السجينان سياسة معاملة زملائهم فى مصنع دورا بالحسنى حتى يضمنا سير الأمور فيه على ما يرام، وأيضًا وصل سجين شيوعى لإدارة مستشفى دورا اسمه فريتزبرول Fritz Proll ورغم وجود حوادث سرقة للطعام بين سجناء دورا، فإنها كانت حوادث محدودة بالمقارنة بمعسكرات الاعتقال الأخرى، وفى حالة ضبط السارق كانت توقع عليه عقوبة صارمة، ودرج أهل السجناء على إرسال طرود الطعام إلى أقربائهم غير أنها كثيرًا ما تعرضت لأعمال النهب والسلب ولم تصل إلى أصحابها إلا منقوصة، وكان بعض السجناء يرتضون بالقليل الذى يصل إلى أيديهم ويتقاسمونه مع المشرفين عليهم لاسترضائهم وتحاشى أذاهم، والجدير بالذكر أن السجين راسينييه كان أوفر حظًا من غيره ، فقد كانت الطرود بوجه عام تصل إليه على نحو منتظم فى حين جأر السجين بيرين Birin بالشكوى من أنه لم يتسلم سوى عشرين طردًا من مجموع المائتين وتسعة عشر طردًا التى أرسلتها عائلته إليه، وكثيرًا ما كان زعماء البلوكات يتلقون الهدايا من السجناء للحصول على رضاهم .

قامت سلطات معسكر دورا بإسناد الوظائف المدنية إلى عدد قليل من السجناء السياسيين الألمان وإلى بعض العناصر الإجرامية ممن يعرفون الألمانية أو شيئًا منها، ولعل أهم هذه الوظائف الإدارية جميعًا كانت وظيفة السكرتير أو الأمين الذى يتولى المساعدة فى أعمال المحاسبة مثل تشارلس سبيتز الذى عين محاسبًا للبلوك رقم ١٢٠ فى أكتوبر ١٩٤٤ وظل يشغل هذه الوظيفة حتى إجلاء المعسكر. وتفاوت عدد السجناء فى بلوكات دورا من وقت إلى آخر. فعلى سبيل المثال كان البلوك رقم ١٢٠ يأوى ٢٣٩ سجينًا عند وصول سبيتز إلى المعسكر ثم ارتفع العدد إلى ٣١٣ سجينًا ثم واصل ارتفاعه إلى ٣٤٥ عشيه إجلاء المعسكر فى أبريل ١٩٤٥ . والجدير بالذكر أنه تم تعيين بوتيت Butet كناسخ للآلة الكاتبة بعد قضائه فترة قصيرة فى المستشفى ، وعندما انفصل معسكر دورا ميتلبو عن معسكر بوخنوالد وأصبح مستقلاً بذاته تعين عليه إعادة نسخ ٣٢ ألف استمارة لتدوين بيانات السجناء عليهما .

وأيضًا كان فى دورا ملاحظ يتتبع الوظائف الشاغرة فى النفق ويرشح السجناء الصالحين لشغلها وخاصة فى حالة احتياج الإدارة إلى مهارات خاصة فى العمل ، واضطلع ألفريد بيرين Alfred Birin الذى يتحدث الألمانية بطلاقة والقادم من منطقة اللورين بهذه المهمة، فقد سمع هذا الرجل عبر الأثير حاجة معسكر دورا إلى سكرتير فتقدم لشغل هذه الوظيفة وتم تعيينه مع فرنسى آخر اسمه بيير زيلر Pierre Ziller ، وفى بادئ الأمر اشتغل بيرين كمترجم ثم تولى إعداد قوائم السجناء، واستطاع هذا الرجل فيما بعد العمل على تعيين سبيتز أمينا للبلوك رقم ١٣٠ .

وكانت هناك وظيفة مكتبية أخرى ليست لها علاقة بما يجرى داخل المعسكر فهى تعنى بملفات السجناء المجرمين والسياسيين، وكان محظورًا حظرًا تامًا على أى موظف سجين الاطلاع على هذه الملفات السرية ، ولكن السجين ألبرت بيسانكون Albert Be- sancon الذى زج به فى معسكر صغير هو رشيلن ريتزو Rechlin0 Retzo الواقع فى منطقة ميكلنبرج Mecklenburg تمكن بالصدفة من أن يلمح الملف الخاص بترحيله من معسكر فرسنيس Fresnes إلى ساشسنهاوزن عبر بلدان نيونبرم Neuenbremme وترير Trier وكولونى وبرلين، وكما أسلفنا كان محظورًا على أى سجين عامل فى قلم المحفوظات الاطلاع على هذه الملفات .

كان ملف السجين يتبعه أينما ذهب كما أن متعلقاته الشخصية تبعته من معسكر إلى آخر مثلما حدث لسجين هولندى اسمه جويدو شريف Gyudo Schreve الذى تم القبض عليه فى فرنسا تحت اسم فرنسى مستعار هو أندريه بيرارد André Berard ، فقد وجد هذا السجين فى مظروف يحمل رقم سجنه حافظة نقوده وساعته وخاتمه وقلمه وهى الأشياء التى صودرت عند حبسه فى معسكر فرسنيس ثم تبعته هذه المتعلقات إلى بوخنوالد، وعندما استقل معسكر دورا عن معسكر بوخنوالد نقلت متعلقاته معه إلى دورا ، ونفس الشىء حدث لسجين آخر يدعى بيير روزان Pierre Ro-zan الذى استدعى إلى بوابة معسكر دورا ليتسلم ساعته التى أرسلها معسكر بوخنوالد إليه، وأيضًا وجد السجين أندريه روجرى André Rogerie نفسه سجينًا فى معسكر أوشفيتز بعد مروره بمعسكرى بوخنوالد ودورا فى طريقه إلى معسكر ماجدانيك حيث استدعى في أحد الأيام إلى المكتب للتعرف على متعلقاته الشخصية التى وصلته من معسكر بوخنوالد .

استفادة السجناء الموظفين من وظائفهم:

كان من مصلحة أية جماعة تنتمى إلى جنسية واحدة أن يكون من بينها شخص يمثلها بين الذين يحتلون الوظائف الإدارية التى تتيح لهم جمع المعلومات وتقديم المساعدة إلى بنى جلدتهم مثل السجين الفرنسى بيير روزان الذى تم تعيينه فى وظيفة ممرض وهى وظيفة أتاحت له فيما بعد أن يكون خير شاهد على ماكان يجرى فى المعسكر ونظرًا لأن هذه الوظيفة اقتضت منه معرفة الوقت فقد ردت إليه ساعته وأيضًا كان من مصلحة الجالية الفرنسية أن يتمتع اثنان من أبناء جلدتها ميرين وزيلر Zeller بشىء من النفوذ، وكان معظم الشاغلين للوظائف الإدارية من التشيكيين فى حين كان الآخرون من البولنديين أو الفرنسيين أو البلجيكيين ، واستطاع البولنديون احتكار العمل فى المطافىء ، ويرجع الفضل إلى السجين بيرين فى تمتع بعض الفرنسيين بحياة لا تعكرها المنغصات ، كما أن جورج بيسكادير Georges Pascadére أعيد إلى

الريخ ليعمل رساماً فى مرسم جنباً إلى جنب مع ثلاثة تشيكيين آخرين وأيضاً تم تعيين أرسين دومو Arsene Dowmeau (السجين السابق فى معسكر فيتز نيوستادت) فى قسم التجليد ، وكان هؤلاء السجناء الموظفون يحظون بمعاملة أفضل من زملائهم فهم ينامون فى حجرات منفصلة فى كل منها ثمانية أسرة فضلاً عن أن الطعام المقدم إليهم لم يكن رديئًا ، كما أنهم كانوا أحيانًا يتلقون كميات إضافية من الطعام ، وأيضًا عمل بوتيت فى وظيفة ناسخ على الآلة الكاتبة فى البلوك رقم ٢٧ جنبًا إلى جنب مع مارين ليشى Marien Leschi ، وفريقه العامل فى قطاع الإذاعة، ومع المترجم جورج شميدت وكذلك الحارس الليلى بولايرت Bollaert الذى صرح بأنه ظروف عمله سمحت له بأن يأكل كميات الخبز والشوربة التى يشتهيها .

معسكر دورا يقدم خدمات إضافية :

عندما غادر السجناء داخل النفق عنابر نومهم للعيش فى بلوكات خارجية عن معسكر دورا فى مايو ١٩٤٤ وجدوا فى هذا المعسكر نظامًا إداريًا قائمًا وعدداً من الخدمات التى تتوافر عادة فى المعسكرات التقليدية الكبيرة مثل المقصف (الكانتين) ودار العرض السينمائى والمكتبة وبيت الدعارة والبلوك المخصص للسجناء الشبان، ومن الناحية النظرية البحتة كانت إدارة مصنع ميتلويرك تعطى المتميزين فى أعمالهم ماركات كحوافز ، ولكن هذه الماركات كانت فى أغلب الأحيان عديمة الجدوى حيث إن المقصف كان خاويًا ليس فيه ما يباع أو يشترى، وعهد إلى سجين شيوعى نمساوى اسمه إميل بإدارة مكتبة دورا المتواضعة ، ويخبرنا أندريه سيلييه مؤلف كتاب "تاريخ معسكر دورا" أنه استعار فى مكتبته كتابًا فى الجغرافيا السياسية من تأليف هو سنهوفر Hausenhofer كان أحد كلاسيكيات الفترة النازية، كما أن السجين جارنييه Garnier قرأ كتابًا (ويالها من مفارقة) يتضمن هجوماً شديداً على معسكرات العمل فى الاتحاد السوفيتى .

وكان السجناء الشبان – من غير اليهود أو الغجر – ممن تقل أعمارهم عن الثانية عشرة يعيشون فى البلوك رقم ١١٥، والجدير بالذكر أن العمال القائمين بأعمال الحفر والبناء والتشييد ظلوا يعيشون فى بعض قطاعات معسكر دورا حتى أغسطس ١٩٤٤ مثل قطاع ميااليه Mialet الذى تخصص فى حفر الخنادق والبناء واشترك فى صب الخرسانة الخاصة ببناء النفق وقد تم تصفية هذا القطاع وأمثاله فى منتصف أغسطس ١٩٤٤ وضمهم إلى معسكر هارزونجن (أو مياليه) أو فى الأغلب الأعم إلى معسكر إلريخ المعسكر الصغير المعروف باسم AEY .

قطاع النفق:

بعد تصفية القطاعات الصغيرة لم يبق فى معسكر دورا سوى عمال النفق الذين هجعوا للنوم فيه إلى جانب عدد من السجناء العاملين فى مجال الصيانة ، غير أنه أقيم فيما بعد قطاع للعمل خارج النفق وفى المواقع الأخرى لمصنع ميتلويرك ، وكانت بعض أنشطة هذا القطاع منتظمة مثل العمل فى المطبخ والمغسلة وغرف التطهير حينئذ اضطلع بالعمل فيه سجناء من كل الجنسيات وقبل التحاقه بالعمل فى معسكر هارزونجن عمل مارسيل مارتن Marcel Martin فى مطبخ دورا كما أن سيرموت Ser-mot التحق بالعمل فى المغسلة حيث كان الروس والبولنديون يعملون، وأيضًا تم تخصيص جزء من هذا القطاع للسجناء الخارجين من المستشفى بناء على توصيات يحملونها، ففى فبراير ١٩٤٤ تم تخصيص قطاع مياليه بعض الوقت لتقشير البطاطس ، وهناك بقى جوزيف جوردون Joseph Jourdren من ٥ فبراير ١٩٤٥ حتى وقت إجلائه، وعلى أية حال كان هذا القطاع مسئولاً عن تنظيف المعسكر ، فعلى سبيل المثال كان السجين مارتن يقوم بكنس فناء النداء على الطابور ، وقد ترك لنا السجين الرسام ديلاربر Delabre رسمًا بديعًا يصور كناس فناء النداء على الطابور أثناء تنظيفه له فضلاً عن أن فريقًا من السجناء تولى صيانة معسكر رجال وحدة البوليس الخاصة الذى اشترك فيها بيرجيهارد Pierre Gehard بعض الوقت، وأيضًا كان

لى بويلاندر Le Pullandre ينتـمى إلى قطاع يعنى أثناء الليل بتـرتيب وتنظيم ورش نوردويرك فى الطرف الشمالى من النفق .

محرقة دورا:

كان سجناء القطاع السالف الذكر يخشون من تجنيدهم للعمل فى فرقة الحمالين (الشيالين) المكلفين بتفريغ حمولة الشاحنات من الجثث من المعسكرات الخارجية مثل إلريخ ونقلها إلى المحرقـة، وحتى مـارس ١٩٤٤ كـانت جـثث مـعسكر دورا تنقل إلى معسكر بوخنوالد لحرقها هناك ، وقد أقيمت محرقة مؤقتة وصفها سادرون كالتالى : "كانت المحرقة المكونة من فرن واحد داخل حظيرة بائسة مصنوعة من عوارض خشبية تعلوها ماسورة معدنية لها غطاء على شكل قمع، وكان الدخان يخرج منها ليل نهار، وعند بدء تشغيلها كانت سحابة من الهواء الدافىء تخرج منها بسبب خلو الفرن من أية جثث ، وبمجرد أن تبدأ المحرقة فى حرق الجثث ينبعث منها دخان أسود وتنبعث رائحة الأجساد المحترقة التى تزكم الأنوف، وكان يستحيل علينا الاعتياد عليها، وبعد مضى دقائق قليلة يتحول الدخان الأسود إلى اللون الأزرق الشفاف الشبيه بدخان السجائر، وبذلك نعرف أن جثة إنسان قد احترقت " .

وطبقًا لما يقوله موريس جيرارد كانت المحرقة تقع على اليمين فى مكان مرتفع يعلو قليلاً على البلوك رقم ١٠٩ ، وفى أواخر شهر سبتمبر ١٩٤٤ أقيمت محرقة دائمة لتحل محل المحرقة المؤقتة على الجانب الشمالى من التل بالقرب من بلوك المرضى المصابين بالسل .

نشأة معسكرات أو قطاعات جديدة في دورا:

فى خريف عام ١٩٤٣ كان معسكر دورا فى الأصل مخططًا لإيواء عمال مصنع ميتلويرك فقط بالإضافة إلى إيواء جهازه الإدارى ، وظل الوضع على هذا النحو حتى منتصف عام ١٩٤٤ ، غير أن طموحات الوحدة الخاصة بوجه عام وطموحات كرامر بوجه خاص أدت إلى تشييد عدد من القطاعات أو المعسكرات الصغيرة لنقل السجناء إليها، وفى حين كان خبراء مصنع ميتلويرك فى نفق دورا يأوون إلى البلوكات القريبة للغاية من فناء النداء على الطابور أرسل السجناء الجدد إلى أكثر البلوكات حداثة فى مؤخرة معسكر دورا ، وهو ما حدث لليهود والغجر المجريين القادمين من معسكر أوشفنتر قبل نقلهم إلى معسكر إلريخ أو معسكر هارزونجن ، ولم يكن لدى الخبراء والعمال المهرة وقت للتسكع فى المنطقة ولكن أندريه سيليه كان يفضل المشى على التل الواقع خلف البلوك رقم ١٠٤ حيث لا يوجد ما يحجب رؤية النظر بأكمله والتحق بعض سجناء المعسكرات الجديدة بالعمل يوميًا فى شركات ومصانع نوردهاوزن حيث توجه بعض العمال إلى مصنع شميدت وكروس Schmit und Kraus ، ورغم أن رئيس المعسكر كان رجلاً كريها فإن الكابو المشرف عليه كان رجلاً ألمانيًا مهذبًا، وتكونت عمالة المصنع أساسًا من المدنيين الفرنسيين والروس الذين لم يستطيعوا بسبب حاجز اللغة وبسبب التعليمات النازية الاتصال ببعضهم بعضًا، وفى أوائل عام ١٩٤٥ قام رجال الوحدة لخاصة بنقل السجناء والعاملين فى نوردهاوزن إلى بويلك كاسرن Boelcke Kaserne حيث كانت الأوضاع المعيشية مقبولة .

كانت الأحوال فى بويلك كاسرن متميزة بالمقارنة بأحوال البلوكات الأخرى، حيث إنها كانت على درجة كبيرة من السوء فى الموقع المعروف بـ BII المحفور تحت سطح الأرض فى نيدرساتشورفن والذى كان يتم إيواء معظم عماله فى معسكر إلريخ أو هارزونجن، كما تم إيواء البعض منهم فى معسكر دورا لبعض الوقت، وكان من بينهم بلجيكى يدعى ليوبولد كلسنس Loapold Cleessens المكلف بحفر ممرات تحت الأرض فى مصنع أمونيا كوريك Ammoniakuerke فى كوهنتشين ، وفيما بعد أرسل بيير

مـاهو Pierre Maho الذى كـان يعـمل فى تجـمـيع الصـاروخ V1 إلى القطاع ٣٢ حـيث كلف بالقيام بأعمال الحفر فى نيدر ساشسورفن .

وفيما بعد أنضم كلاسنس ورفاقه إلى بنى جلدته البلجيكيين فى هارزونجن ، وتم نقل القطاع ٣٢ إلى بويلك كاسرن فى نورهاوزن فى يناير ١٩٤٥ ، وكان معظم سجناء دورا من الروس والبولنديين كما أسلفنا، إلى جانب عدد من السجناء القادمين من معسكر بوخنوالد ، ويوضح لنا نيندر Neander أن سجناء دورا زادوا بشكل واضح فى الفترة من أكتوبر ١٩٤٤ حتى مارس ١٩٤٥، فى حين أن عددهم ظل ثابتًا فى معسكرى إلريخ وهارزونجن وكانت إدارة المعسكر تستخدم هذه الزيادة فى استكمال النقص فى عمالة الموقع BII وفى داخل النفق .

المستشفى :

فى صيف عام ١٩٤٤ تم تخصيص تسعة بلوكات كمبانى المستشفى مكونة وحدة قائمة بذاتها يحيط بها سور ومنفصلة عن بقية معسكر دورا ، وتمتع العاملون فى المستشفى وحدهم بحق التجول بين عنابر المستشفى وجميع أرجاء المعسكر ، حتى رجال وحدة البوليس الخاصة المسموح لهم بدخول المستشفى كانوا من العاملين فى الإدارة الطبية، فى حين مُنِع زملاؤهم الآخرون من دخول المستشفى خشية التقاط العدوى، وكما يذكر لنا رانسييه بدأ تقسيم البلوكات بالتدريج إلى وحدات خاصة بالطب العام والجراحة والالتهاب الرئوى والدرن والالتهاب البللورى، وكان هناك بلوكان بارزان أولهما أقدم بلوك ويحمل رقم ١٦ القريب من فناء النداء على الطابور والذى كان يستخدم للاستشارات والإدارة، وثانيهما البلوك رقم ١٢٩ وهو آخر ما شيد من البلوكات الآنفة الذكر ، ومقر إيواء مرضى السل الواقع بالقرب من المحرقة، وأيضًا أقيمت قطاعات أو معسكرات أخرى صغيرة بالقرب من دورا فى مواقع وييدا Wieda وإلريخ وهارزونجن وبلاكنبرج وروتلبرود Rottleberode ، وكان لكل من هذه المعسكرات

مستوصف خاص به ، ورغم ذلك فقد تلقى بعض المرضى فى هذه المعسكرات الفرعية العلاج فى مستشفى دورا .

وفى الشهور الأخيرة من عام ١٩٤٣ واجه معسكر دورا صعوبات كأداءٍ عند بدء العمل فيه ، ولكن ظروف هذا المستشفى مالبثت أن تحسنت بالتدريج ، ويرجع هذا التحسن إلى أسباب ثلاثة، أولها إجراء توسعات كبيرة فى المستوصف. وثانيها زيادة عدد العاملين فيه. أما السبب الثالث والأخير فيرجع إلى الانخفاض الشديد فى عدد الوفيات بين المرضى ابتداء من أبريل ١٩٤٤ ، ولكن أحوال هذا المستشفى عادت إلى سابقترديها فى الأشهر الأخيرة من عام ١٩٤٤ ولعل أصعب مشكلة واجهت مستشفى دورا هى النقص الشديد فى الأدوية، وكانت أكثر الأدوية استخدامًا المراهم ذات الألوان المختلفة المستعملة فى العيادة الخارجية مثل المرهم الأسود، الذى يحتوى على مادة الإيثول IChthyol الذى يستخدم فى تطهير وعلاج الجروح والمرهم المائل إلى اللون الأبيض المكون من أكسيد الزنك الملطف والمرهم الذى يميل إلى اللون الأخضر المضاد للتقيح والتسمم والمكون من مادة الزئبق ، أما المرهم الذى يميل إلى اللون الأصفر فيحتوى على مادة السلفا لعلاج الجرب، ولم تكن الضمادات تصنع من الشاش بل من الورق .

وخلال عام ١٩٤٤ كان الطبيب التابع لوحدة البوليس الخاصة هو الدكتور كارل كاهر Karl Kahr الذى كان الجيش الألمانى قد سرحه بسبب إصابته بجروح بالغة على الجبهة الشرقية أثناء قتاله ضد الاتحاد السوفيتى وتميز هذا الرجل بالكفاءة والحرص على إجراءات تحسينات فى العنبر الخاضع لإشرافه وأعطت إدارة المستشفى لاثنين من السجناء الشيوعيين الألمان قدرًا من السلطة والنفوذ بتعيينهما كابوهين، وهذان السجينان السياسيان هما فرتيز برول Fritz Proll وشنيدر Schnedier ، ولكن ليس هناك ما يؤكد أنهما شخصان مختلفان ، وسواء أكان هذان الاسمان لشخص واحد أم لا فيبدو أن برول أرسل خصيصًا إلى معسكر بوخنوالد فى أبريل ١٩٤٤ كى يتولى إدارة مستشفى دورا بموافقة قومندان معسكرى بوخنوالد ودورا .

أمضى بروك عشرة أعوام من شبابه فى معسكر الاعتقال وكانت له مكانة عالية فى صفوف الشيوعيين مثله فى ذلك مثل الشيوعيين البارزين أمثال كونتز Kuntz وجاميش Gamisch وبهام Beham ، وقد تميز برول بذكائه الحاد وبقدرته التنظيمية الواضحة طبقًا لرواية راسينيه عنه، فضلاً عن أن هذا الرجل كان يحظى باحترام الجميع وأيضًا شاهد معسكر دورا تزايدًا تدريجيًا فى عدد السجناء الذين عينهم النازيون لممارسة الأعمال الطبية فيه، ففى عام ١٩٤٤ وصل الجراح التشيكى جان سيسبيفا Jan Cespiva إلى مستشفى دورا قادمًا عن طريق معسكر بوخنوالد من معسكر أوشفيتز ، ويبدو أن الدكتور لويس جيرارد التحق بالعمل فى مستشفى دورا فى نفس الشهر، ثم انضم إلى الفريق الطبى فى هذا المستشفى إخصائيات فى الطب البيطرى همارينيه موريل René Morel ومارسيل بيتى الذى كان مديراً لمدرسة الطب فى مدينة تولوز ، وفى مايو عام ١٩٤٤ تقرر تعيين جاك بوبولت Jacques Poupault الذى صار رئيس الجراحين فى المستشفى يساعده نائبه الطبيب الإخصائى كيسبيفا، وأيضًا وصل خبير الأشعة البلجيكى فرانز كانيفت Frans Canivet إلى مستشفى دورا من معسكر بوخنوالد للقيام بأخذ أشعة لمرضى الدرن .

وأيضًا ضم معسكر دورا فى صفوفه علماء مثل محلل المعمل جان بيير إبل Jean - Pierre Ebel والصيدلانى ألبرت جراف Albert Graf القادم من جامعة ستراسبورج ، وبذل إبل وبيتى جهدهما لتشغيل المعمل بكفاءة ، وفى شهرى سبتمبر وأكتوبر ١٩٤٤ حضر إلى دورا طالبان فى كلية الطب هما أندريه لوبشتين André Lobsein وجين دوسيه Jean Daucer اللذان قاما بالتمريض ورعاية المرضى فى بلوك الدرن، وإلى جانب هذا ساهم كل من الأخوين بيير وجان لويس Jean - Louis فى دعم فريق أطباء الأسنان .

ورغم ما شاب العلاج فى مستشفى دورا من قصور فإن الأطباء نجحوا فى إنقاذ حياة بعض المرضى فقد أجرى بوبولت عملية جراحية ناجحة لادموند كوزين وأنقذه من براثن الموت، ثم إن المقاومة سواء أكانت مقاومة ألمانية أو فرنسية أو

تشيكية وجدت مرتعًا خصبًا لنشاطها فى المستشفى باعتباره مركزًا من مراكز التجمع البشرى .

وكان الدكتور جين لويس جيرارد المولود عام ١٨٨١ فى عائلة متواضعة من أبرز أطباء مستشفى دورا وأكثرهم حنوا على السجناء المرضى لدرجة أنهم أطلقوا عليه لقب بابا جيرارد ، وبعد انتهاء الحرب ذاع صيت هذا الرجل كواحد من مشاهير جراحى العظام الناتئة خلف الأذن وقد ألقى النازيون القبض عليه فى أغسطس ١٩٤٢ ثم أجتاز مناطق فرسنس ورومانفيل Romainville ونيو نبرم Neuenbremme حتى وصل أخيرًا إلى معسكر بوخنوالد فى أكتوبر ١٩٤٣ وكان رقم تحقيق شخصيته ٣٠٠٨٨ . وبسرعة تم إرساله للعمل فى دورا ضمن فريق حفر النفق ، ورغم كبر سنه فقد استطاع خلال إرادته القوية وحماية جماعة من الشبان الأوكرانى الذين يجلونه ويطلقون عليه اسم الرجل العجوز التفوق فى عمله كجراح وكان عمره آنذاك فى الثانية والستين ولكنه كان عاجزًا عن حصول اعتراف سلطات المعسكر به كطبيب، وفى أحد الأيام تم استدعاؤه عبر مكبر الصوت إلى المعسكر ، فمثل أمام رجل وحدة البوليس الخاصة وهو معفر الثياب ويضع جاروفه فوق كتفه، وسأله رجل الوحدة الخاصة إذا كان فى مقدوره إجراء عملية جراحية لطفل فى العاشرة من عمره (ربما كان ابنه) لإزالة عظمة ناتئة خلف أذنه، ودون أن ينبس ببنت شفة وضع الدكتور جيرارد جاروفه جانبًا وقام بخلع ملابسه بهدوء ولبس معطفًا أبيض اللون، وبعد أن غسل يديه ووجهه جيدًا وضع كمامة على أنفه وفمه وأخذ المثقاب والمطرقة واستخدمهما بدقته المتناهية المعهودة، ونجح جيرارد فى العملية التى أجراها للطفل فكافأه المستشفى بتخصيص مخزن له فى المستشفى لفترة تزيد على عام استطاع فيها علاج رفاقه السجناء الذين لقبوه ببابا جيرارد ، وطبقًا لما يقوله جرونفيلد Groenveld أجرى هذا الطبيب أكثر من ٥٢ عملية لإزالة العظام الناتئة خلف الأذن، وبقى فى مستشفى دورا حتى تم إجلاؤه، وتوفى جيراد عام ١٩٤٧، علمًا بأن النازيين ألقوا القبض على ابنته أنيس بوستيل فيناى معه Anise Postel-vinay وزجوا بها فى معسكر رافنربروك للنساء ولكن قدر لها أن تخرج منه سالمة .

أوجه الخلاف بين معسكرى بوخنوالد ودورا:

فى صيف عام ١٩٤٤ بدا أن معسكرى بوخنوالد ودورا كانا بوجه عام يعملان بنفس الأسلوب. بل إنه تم تنظيم أحدث بناء فى معسكر دورا على نفس الأسس التى سار عليها معسكر بوخنوالد، وقد تولى السجناء الشيوعيون إدارة هذين المعسكرين ، ورغم ضخامة واتساع معسكر دورا فقد استمر هذا المعسكر بمثابة معسكر خارجى لمعسكر بوخنوالد، وكما أسلفنا جاء جميع سجناء دورا من بوخنوالد، كما أنهم كانوا يحملون أرقام سجن بوخنوالد، وباستثناء أسابيع قليلة كانت جثث معسكر دورا تحرق فى بوخنوالد فضلاً عن أن قدامى العاملين فى بوخنوالد أسندت إليهم مهمة الإشراف على معسكر دورا يساعدهم على ذلك معرفتهم بالقوانين والنظم المعمول بها وكان هؤلاء المشرفون أساساً من السجناء السياسيين الألمان وأحياناً من عتاة السجناء المجرمين الألمان، ولابد أن هذا حدث بموافقة قومندان كلا المعسكرين بوخنوالد ودورا. وبالمقارنة كانت السلطة الكاملة فى يد السجناء الشيوعيين .

والجدير بالذكر أن معظم سجناء دورا لم يكونوا يعرفون عن معسكر بوخنوالد أكثر من منطقة الحجر الصحى، وهى منطقة ترتبط فى أذهانهم بالبراز والمراحيض وأعمال السخرة فى المحاجر، الأمر الذى حول الحياة اليومية فى بوخنوالد إلى جحيم ، ولهذا نجد أن السجناء القادمين من هذا المعسكر إلى دورا فى نهاية عام ١٩٤٤ هم أقدر الناس على عقد مقارنة بين هذين المعسكرين . ويعتبر أوليفييه ريتشت Oliver Ri-chet الذى عاش فى معسكر بوخنوالد فى الفترة من ٢٤ يناير حتى ٢٢ سبتمبر (١٩٤٤) أقدر الناس على عقد هذه المقارنة، يقول أوليفييه ريتشت فى هذا الشأن:
" كان الخلاف الكبير بين معسكرى بوخنوالد ودورا يكمن فى أن الحياة الاجتماعية فى معسكر بوخنوالد كانت متسعة للغاية، فقد درج سجناء البلوكات على زيارة بعضهم بعضاً والتجول فى أرجائها وتجاذب أطراف الحديث وخاصة فى فترة ورديات الليل عندما توافرت لهم فسحة أكبر من الوقت، أما ورديات الليل فى معسكر دورا فكانت

أصعب وأمر حيث إن الحراس لم يسمحوا لأحد بالتجول فيه على الإطلاق ... وفى واقع الأمر كان الاتصال ببعضنا بعضًا فى معسكر دورا محدوداً للغاية ."

ويستطيع المرء أن يستشف من كلام أوليفييه ريتشت وجود حياة ثقافية إلى جانب الحياة الاجتماعية فى بوخنوالد، ولا غرو فقد كانت هناك مكتبة كبيرة فى هذا المعسكر ، علمًا بأن ريتشت كان يحظى فى دورا بمكانة متميزة كسجين فهو أحد العمال المهرة المنتمين إلى قطاع شيرر، أو بونمان، وقد أرسلته إدارة معسكر دورا للعمل فى قطاع النفق كما أسندت إليه مهمة التفتيش على الصاروخ V1 وخلاصة القول إن الحياة فى معسكر بوخنوالد تميزت بوجود علاقات اجتماعية بين السجناء كانت محظورة فى معسكر دورا .

الحياة السياسية:

إلى جانب ذلك كانت هناك فى بوخنوالد حياة سياسية بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة، وكان السجناء الشيوعيون الألمان يديرون هذا المعسكر بتوجيه من زعامة سرية على درجة عالية من الكفاءة ، كما كانت هناك علاقات شديدة التنظيم تربط بين السجناء التشيكيين والبولنديين والهولنديين ، ولكن التضامن بين الشيوعيين الفرنسيين لم يتضح إلا بعد وصول مارسيل بول Marcel Paul فى مايو ١٩٤٤ ، وأيضًا كانت هناك فى بوخنوالد وشائج تربط الشيوعيين الألمان بالديموقراطيين الاشتراكيين والكاثوليك الألمان من أصحاب الميول اليسارية ويجدر بالذكر أن أفواج السجناء الفرنسيين المرحلين من كومبين فى نهاية عام ١٩٤٣ فصاعداً اشتملت على نواب برلمان ونشطاء فى اتحادات العمال من غير المنتمين للمذهب الشيوعى .

ولكن معسكر دورا كان يخلو من أى شىء مماثل ، حيث إن معظم الشخصيات البارزة فى هذا المعسكر المنضوية تحت لواء المقاومة كانت من الموظفين المدنيين أو من أصحاب الرتب العسكرية ممن تولوا فيما بعد رئاسة جمعية سجناء دورا - إلريخ

أمثال جوستاف ليروى Gustave Leroy وماريين ليشى Marien Leschi وجابرييل لاكوست Gabriel Lacoste الذين تخرجوا من مدرسة البوليتكنيك ، بالإضافة إلى جاك بروتشويج بوردبير Jacques Brunschwig Bordier ولوليس جنتيل .

وأيضًا تولى بيير ديجوسينيه Pierre Dejussier المتخرج من أكاديمية سانت كير Saint Cyr- للضباط رئاسة الجيش السرى للمقاومة فى يوليه ١٩٤٤ (عقب القبض على الجنرال ديلاسترانت Delestraint الذى أعدم فى معسكر داكاو) ، وقد تم القبض عليه فى مايو ١٩٤٤ وزج به فى معسكر دورا فى شهر أغسطس من العام نفسه حاملاً مسلسل سجنه السبعة وسبعين ألفًا . وجاء معه إلى دورا إميل بولايرت Emile Bollaert عمدة المرون الذى عزلته حكومة فيشى العميلة للسلطات النازية وتم تعيينه فى سبتمبر ١٩٤٣ مندوبًا عامًا للجنة التحرير القومى الفرنسى خلفًا لجين مولان Jean Moulin وقد ألقى النازيون القبض عليه فى فبراير ١٩٤٤ فى نفس وقت القبض على بير بروسليت Pierre Brossolette الذى شارك أيضًا فى حركة التحرير. وأيضًا من بين أبطال المقاومة الفرنسية ضد النازية السجين إدموند ديبومارسيه Edmond Debeaumarché الذى كان يحمل رقم سجن ضمن مسلسل الأربعة عشر ألفًا والذى وصل متأخرًا إلى معكسر دورا بعد أن طال سجنه فى معسكر بوخنوالد .

ومن أبرز شخصيات دورا السياسية السجين السابق بيير سجيل Pierre Se- gelle النزيل فى قطاع إلريخ والذى تم تهجيره إلى قطاعى أورانيينبرج وسشورين Schwerin [1] وبعد انتهاء الحرب فى عام ١٩٤٥ انتخب هذا الرجل نائبًا عن منطقة لواريت Loiret ثم عمدة أوليانز ثم عين فيما بعد وزيرًا للصحة ثم وزيرًا للعمل فى الحكومة الفرنسية وكان أول رئيس لجمعية سجناء دورا – إلريخ وهو منصب ظل يشغله حتى وفاته فى عام ١٩٦٠ وبعد عام ١٩٥٨ تم اختيار سجينين سابقين فى معسكر دورا نائبين عن أنصار ديجول فى الجمعية الوطنية الفرنسية هما بيير زيللر

---

(١) شفيرين .

Pierre Ziller فى منطقة الألب ماريتايم وبول بودن Paul Bouden فى منطقة مان ولوار Maine-et-Loire

لويس جنتيل Louis Gebtil

كان لويس جنتيل – شأنه فى ذلك شأن ديجو سبيه وبولايرت – محاربًا قديمًا فى الحرب العالمية الأولى ، زج به فى معسكر دورا وهو فى نحو الخمسين من عمره حيث كلف بالعمل فى تصنيع الصاروخ V1 . وكان عقيدًا فى سلاح المدفعية ملمًا بالتطور المتواضع الذى حققته صناعة الصواريخ الفرنسية، وفى ربيع عام ١٩٤٣ حصل على إجازة وأصبح مساعدًا لهنرى جورس –فرانكين Gorce- Franklin الخبير فى الاستخبارات العسكرية، ثم قام بتأسيس شبكة داريوس الاستخبارية فى باريس قبل استدعائه إلى لندن، ولكن تم القبض عليه قبل سفره إلى لندن يوم ٢٤ مايو ١٩٤٤ وترحيله إلى معسكر دورا برقم سجن ضمن مسلسل السبعة والسبعين ألفًا، وأصبح خبيرًا فى صناعة الصاروخ V1 الذى يتم تجميعه فى القاعة ٤٥ فى مصنع نفق دورا أى أنه بحكم عمله كان ينتمى إلى نفس المهنة التى ينتمى إليها دورنبرجر ، وألقى القبض عليه فى ٣ نوفمبر ١٩٤٤ مع كل من ديبومارشيه ولاترى Latry بسبب وشاية نيجيليه Naegelé بهم، وتم استجوابه بفظاظة وحبسه فى نورهاوزن حين عانى من الدمامل والخراريج التى لم يجد من يعالجها ، وأراد الدكتور بوبولت الذى شاركه نفس الزنزانة معالجته بالسلفا والضمادات ، ولكن جروحه كانت قد تقيحت كما أن حرارته لم تنخفض ، وأخيرًا نقل إلى مستشفى دورا ولكن بعد فوات الأوان فمات فى مارس ١٩٤٥ .

الشعر والدين :

كان توفر الورق والقلم للسجناء ضروريًا ليس فقط لرسم الخرائط العسكرية سرًا بل لقرض الشعر أيضًا ، وعقب إطلاق سراح جين – بول رينارد Jean - Paul Renard [١] من معسكر دورا وعودته إلى فرنسا نشر ديوانًا من الشعر بعنوان "الأغلال والضوء" ، فضلاً عن أن السجين جوستاف لروى نشر قصيدة أخرى، وعند عودته إلى فرنسا عام ١٩٤٥، حمل معه كتابات صديقه أندريه فورتانيه André Fortané

وبعد أن غادر جين موبوانت Jean MAupoint عنابر النوم فى النفق فى صيف عام ١٩٤٤ عمل فنانًا فى ملهى المعسكر، ويرجع سبب قبض النازيين عليه إلى تأليفه بعض النصوص الغامضة الحاملة لأكثر من معنى وتأويل ، وفى خلال جولاته فى كومبيين استمر فى تأليف أغان تناول فى إحداها معسكر اعتقال تحيط به الأسلاك الشائكة، ولا تزال أغانيه التى كتبها وتغنى بها فى دورا فى الفترة من أغسطس إلى أكتوبر ١٩٤٤ محفوظة ، وأيضًا ألف جوستاف ليروى أغنيات أخرى ذكر فى مقدمتها أنه ألفها بالتعاون مع جين موبوانت الذى استبد به الحنين إلى الوطن فى مايو ١٩٤٥ ولكن المنية عاجلته فى ٢١ أغسطس ١٩٤٥ فى كليرمونت فيراند Clermont- Ferrand .

كان جين بول رينارد أحد شعراء معسكر دورا، ولكن الأهم من ذلك دوره كقسيس، ويروى لنا بيرين فى مذكراته بواكير إقامة القداديس فى دورا قائلاً: "غمرتنى الفرحة عندما وجدت فى حوزتى بعض الدقيق والعنب المجفف ولكن أصعب شيء واجهنى هو عمل القربان غير أنه كان من السهل على فيما بعد أن أصنع عجينة فى علبة ساردين لعمل قرابين صغيرة لا تتجاوز حبات العدس." ويعطينا بيرين أسماء ثلاثة قساوسة غادروا معسكر دورا هم رئيس دير اسمه بواجوا Bougeois والأب رينارد والراهب جين بول ورئيس الدير أميوت دانفيلى Amyotd'inville ويذكر لنا لويس كوتود Louis Coutaud أن النازيين رحلوا رئيس

(١) جان بول رينار .

الدير بورجوا إلى معسكر برجن بلسن وأنهم رحلوا رئيس الدير أميوت إلى وييدا ، وفى عام ١٩٤٥ أعيد إلى سنليس Senlis حيث وافته المنية بعد مضى وقت قصير من عودته، وفى النهاية لم يبق منهم غير رئيس الدير رينارد الكاهن الوحيد الذى قيض له الاستمرار فى عمله الكهنوتى داخل المعسكر ، ويذكر فرانسوا هيومان Francois Heumann أن رفيقه فى قطاع فيرنروهر Fienrohor هو الراهب فرانسوا . ويبدو أن إقامة القداس فى الظروف السائدة فى معسكر دورا كانت لها أهمية تفوق إقامة القداديس فى معسكر بوخنوالد .

جان بول رينارد:

ولد جان بول رينارد فى عام ١٩٠٢ ، وكان يعمل قسيساً فى أبرشية ميرومونت Mirau-mont فى سوم Somme عندما ألقى الجستابو القبض عليه فى ١١ نوفمبر ١٩٤٢ وظل لفترة طويلة مع رفاقه محتفظاً باسمه الحركى فى صفوف المقاومة وهو جان بول Jean - Pol كما ظل محبوساً لفترة طويلة فى فرسنس ثم كومبيين وأخيراً تم ترحيله إلى معسكر بوخنوالد على متن أول قطار فسافر فى يناير ١٩٤٤ ثم نقل إلى دورا فى أول فبراير من نفس العام وبقى فى عنابر النوم فى النفق حتى مايو ١٩٤٤ ومكنته معرفته باللغة الألمانية من الالتحاق بوظيفة أعلى فى مصنع مبلتوبرك، وحظى باحترام السجناء الآخرين فى نفق دورا ومعسكره بسبب شجاعته فى أداء عمله الكهنوتى وتفتحه العقلى وسلاسة تعامله مع السجناء غير المؤمنين بالمذهب الكاثوليكى ، واستطاع الرجل بفضل كياسته أن يجمع بين وظيفته ككابو ورئيس بلوك ، وقد وصف إيد دى جالزين Eudes de Galzain الشديد التحمس للمذهب الكاثوليكى بقوله : واستطاع جان بول أن يجذب الناس إليه، وكان يتصف بالمرح والاندفاع والشاعرية والروح الكهنوتية وظل بوصفه مساعداً لمهندس القاعة ١٥ يعمل فى حظيرة مصنوعة من العوارض الخشبية، وكنا نتحاشى مراقبات الكابوهات لنا عندما نذهب لزيارته زيارة قصيرة، ولم تعد هذه الشذرات من تعاليمه التقليدية لنا أثناء هذه الزيارات القصيرة مسلمات جامدة بل أفكاراً تكاد أن تكون ثورية وهدامة، واكتسبت الموضوعات الدينية مثل الثالوث والخطيئة الأولى والخلاص التى تبدو فى الأحوال العادية أفكاراً مجردة وسرمدية

نوعًا من الجرأة والشجاعة عندما تولى جان بول شرحها فى النفق تحت سمع وبصر رجال وحدة البوليس الخاصة."

المقاومة فى معسكر دورا:

لعل أحدث ما قيل عن المقاومة الفرنسية فى معسكر دورا جاء على لسان بيير ديراند Pierre Durand فى عام ١٩٩١، ومن الواضح أن الفرنسيين فى أواخر عام ١٩٤٣ استطاعوا أن يتحاشوا ترحيلهم من بوخنوالد إلى دورا بسبب ما عرف عنهم من إيمان بالشيوعية. يحدثنا ديراند عن شيوعى اسمه موفين Maufain أنه استطاع الحصول على ثقة إريخ رئيس البلوك فى معسكر الحجر الصحى الذى عاشوا فيه منذ وصولهم إليه ضمن الفوج الثالث القادم من كومبيين فى يناير ١٩٤٤ ولكن هذه الثقة لم تكن فى محلها لأن هذا الرجل لم يكن منصفًا أو موضوعيًا فى تصنيف سجناء دورا من الناحية السياسية ثم تبين بعدئذ وجود شك فى وشايته برفاقه فى تولوز .

وفضلاً عن ذلك أوضح ديراند أن زعماء المقاومة الفرنسية الذين ينتمون إلى الأفواج الثلاثة القادمة فى يناير من العام المذكور أمكن التعرف على هويتهم واحتجازهم فى بوخنوالد أمثال بينو ،وقد دخل السجناء الفرنسيون فى بوخنوالد مرحلة جديدة عند وصول مرحلين على متن قطارين فى مايو ١٩٤٤، وكان مارسيل بول أحد هؤلاء السجناء واستطاع هذا السجين توطيد علاقته بالشيوعيين الألمان، بل بالزعماء غير الشيوعيين من قادة المقاومة الفرنسية وقد تم إعداد قوائم بأسماء السجناء الفرنسيين ولكن لغطًا أثير حول سلامتها علمًا بأنه ليست هناك أية قوائم مماثلة بأسماء السجناء التشيكيين والبولنديين والهولنديين .

وعلى أية حال لم تكن هناك أية علاقات أو روابط حقيقية بين السجناء فى معسكر دورا قبل يونيه ١٩٤٤ وهو العام الذى تم فيه استكماله باستثناء مجموعات صغيرة للغاية، وواقع الأمر أن الفرنسيين بدأوا يحصلون على قدر من النفوذ عندما زاد عدد

نزلاء المستشفى من الفرنسيين ، والتحق السجناء الفرنسيون الشبان بالعمل فى النفق، وفى دورا استطاع كلود لوث Claude Lauth وبيير همرى Pierre Hemery الاتصال ببعضهما بعضًا كما أن لوث أصبح رفيقًا لجين ميشيل الذى طالت فترة إقامته فى المستشفى ، وأصبحت الصداقة تربط بين بيير همرى ومارسيل بيتى ، وكان همرى يعمل فى القاعة ٢٨ وهى نفس القاعة التى كان فريق قطاع Bunemenn الفرنسى يعمل فيها .

والجدير بالذكر أن الجالية الفرنسية فى معسكر دورا لم تصبح منظمة إلا بعد وصول شخصيات بارزة مثل ديجو سييه بونتكاريل Deiussieu Pontcarral وبوليرت Bollaert وديبومارشيه الذين كانوا يحملون رقم سجن من مسلسل السبعة والسبعين ألفًا، وقد تمكن بيرين بوجه خاص من إلحاقهم بالعمل فى معسكر دورا أو فى النفق فى حين تم ترحيل معظم رفاقهم فى المقاومة إلى معسكر إلريخ التابع لدورا، ويقول ريتشت إن الاتصال بين مجموعات المقاومة فى دورا كان محدوداً ، الأمر الذى فرض قيداً على تداول المعلومات السرية بين هذه المجموعات .

سلطة البوليس:

كان البوليس النازى يحكم سيطرته على معسكر دورا، فضلاً عن أن هذه السيطرة كانت فى بادىء الأمر تمارس على الألمان أنفسهم سواء أكانوا من المدنيين أو العسكريين ، وحدث فى يوم من الأيام أن عاملاً ألمانيًا مدنيًا يدعى فيكتور زار معسكر دورا للقيام ببعض الإصلاحات ، وعندما رجع إلى بيته فى إرفيرت Erfurt [(١)] حكى لزوجته وابنته عما رآه فى المعسكر فقامت المرأة والفتاة بإذاعة الخبر .. فعاقبه النازيون بإلقاء القبض عليه وشنقه ، وأكد لنا بايلون Baillon صحة هذه الواقعة، وهناك شهادات

(١) إرفورت .

كثيرة على تنفيذ عقوبة الشنق على العديد من السجناء، فالتقرير الذى أعده وينسنتى هاين Wincenty Hien يخبرنا بحدوث تسع وأربعين حالة إعدام خلال عام ١٩٤٤ ، ويبدو أن ضحايا هذه الإعدامات كانوا من الألمان والبولنديين والروس، غير أن تنفيذ حكم الإعدام فى الألمان لم يحدث فى العلن. أما السواد الأعظم من الإعدامات فى معسكر دورا وخاصة فى النفق فلم يحدث إلا فى الأشهر الأولى من عام ١٩٤٥ .

الهروب من المعسكر:

تمكنت قلة من السجناء من الهروب من معسكر دورا، وهناك رواية عن القبض على خمسة سجناء فرنسيين حاولوا الهرب. فقد نجح جاستون برنوت Gaston Pernot الهرب يوم ١٥ مارس ١٩٤٥ والاختفاء مع ثلاثة من رفاقه فى عربة شحن البضائع ، ولكن النازيين تمكنوا من القبض عليهم فى منطقة فولدا Fulda وإعادتهم إلى معسكر دورا فى ٢١ أبريل من هذا العام، وفى يوم ١٦ مارس من نفس العام تمكن لوك كلارين Luc Clairin من الهرب فى عربة قطار بضائع وبرفقته ثلاثة من زملائه، ولكنهم لم يستطيعوا الذهاب إلى أبعد من بلدة هول Halle [(١)] ، وتم إعادتهم إلى معسكر دورا فى ٢٦ مارس ، وفى أول يوليه حاول بيير جاكوين Pierre Jacquin الهرب من معسكر دورا الخارجى برفقة زميله أندريه موتل André Moutel ولكن سرعان ما قبض على جاكن ثم على زميله بعد وقت قصير، وفى ٨ يوليه قام أوجست هنر Auguste Henner بالهرب ولكن تم القبض عليه بعد يومين فى منطقة كاسل Kassel وفى ٢٧ يوليه فر روجر كوتديك Roger Couetdic من موقع عمله فى نوكسى Nuxie ، ولكن تم القبض عليه أخيراً فى ٢٩ يوليه بالقرب من رامسبرنج Rhumspringe واقتيد إلى دودر ستادت Du-derstadt ثم إلى إرفورت ليعود إلى معسكر دورا بعد انقضاء أسبوعين. وبعد عودة هؤلاء الهاربين إلى المعسكر تم حبسهم وضربهم فى زنازينهم لدرجة أنهم كسروا فك

---

(١) هالة .

السجين هينر وكان التحقيق مع السجين الهارب وتهديده بالويل والثبور وعظائم الأمور يتوقف على مدى نجاحه فى الهرب إلى مسافات بعيدة، ولتمييز الهاربين عن بقية السجناء تعين إلباسهم شارة مستديرة من القماش الأبيض تتوسطها نقطة حمراء توضع أسفل أرقام هوياتهم ، ويقدم إلينا جاكوين وصفًا دقيقًا لزنازين الهاربين، فيقول إنها كانت أصلاً مجرد حجرة فى حظيرة عند مدخل المعسكر قريبة من مركز قيادة البوليس الخاصة، ويستطرد قائلا إن مساحة زنزانته التى تحمل رقم ٧ كانت نحو ستة أقدام مربعة، وبداخلها كانت هناك عوارض خشبية تستخدم كمقعد للمرحاض ونافذة مساحتها ١٢ مترًا طولاً و١٥ مترًا عرضًا ولها شيش خشبى يفتح ويغلق من الخارج .

معسكر مخصص للهاربين:

كان السجناء الهاربون من معسكر دورا يعادون إلى معسكر صغير يدعى سشتكوماندو Schachtkommando [١] وكان بينهم ستافان هيسيل Stephane Hessel وروبرت لاموان Robert Lamoine اللذان استطاعا الهرب من روتلبرود Rottleberode ، وكان السجناء ينتمون إلى جميع الجنسيات، ولكن غالبيتهم كانت من الروس والبولنديين فى حين كان الباقون من الفرنسيين والتشيكيين والبلجيكيين واليوغسلافيين وتم إيداعهم فى البلوك رقم ١٣٥ .

السجناء فى دورا يتآمرون:

ظلت الحياة داخل معسكر دورا حتى نوفمبر ١٩٤٤ تتسم بالرتابة ولكنها أصبحت صاخبة بعد ذلك فقد كثرت أحداث القبض على التشيكيين والفرنسيين والروس والشيوعيين الألمان ، ويعتمد الدارسون فى روايتهم لقصة اعتقال الفرنسيين والتشيكيين

(١) قائد المعركة أو قائد القوة الضاربة وتعنى هنا القائد المسئول عن توقيع العقاب على الهاربين .

على أربع وثائق تتضمن شهادة كل من مارسيل بيتى وبيرين وجين ميشيل ولانجبين Langbein .

ومع اقتراب قدوم قوات الحلفاء من معسكر دورا شغل بال سجنائه التفكير فى مصائرهم فقد توقعوا قيام وحدة البوليس الخاصة بالإجهاز عليهم، ويلخص السجين بيرين محنتهم بقوله : "أدركنا نحن العارفين بأسرار الصاروخين V1 و V2 أننا سوف نلقى حتفنا ويحكم علينا بالإعدام عند اقتراب قوات الحلفاء منا، وحذرنا أحد رجال الوحدة الخاصة بقوله (إذا تدهورت أحوالنا فلن يبقى واحد منكم على قيد الحياة... ربما حان الوقت كى نضع خطة لإنقاذ أنفسنا من المجزرة ، وإذا قدر لنا الموت فهل نسمح لهم بقطع رقابنا دون أن نحرك ساكنًا ؟ ".

سطر بيرين هذه الكلمات نحو منتصف أكتوبر عام ١٩٤٤ إلى رفيقه الروسى نيكولاى بيترنكو Nicholai Petrenko طالبًا منه تجنيد رفاق موثوق بهم ويمكن الاعتماد عليهم للانضمام إلى صفوف المقاومة .

ويدلى السجين بيتى بأقوال عن محادثاته مع سيبسيفا الذى حضر لرؤيته فى مستشفى العمل الكائن فى البلوك رقم ١٦ يقول بيتى فى شهادته : "هكذا تعلمت من سيبسيفا فى شذرات متناثرة أن أمر الإجهاز عليهم كان فى طريقه إلى التنفيذ وأن نيكولاى سوف يكون مسئولاً عن الدفاع عن الروس وعن التشيكيين أيضًا . أما بالنسبة للفرنسيين فسوف أستمر على نفس الدرب الذى سبق أن سلكته ... وفى حالة حدوث أية انتكاسة خطرة فسوف يسهل علينا الدفاع عن أنفسنا، وتلخص هدفنا فى الحفاظ على تضامن أفضل بين السجناء من كل جنسية وتلاحمهم مع بعضهم بعضًا بحيث يقومون بتنظيم أنفسهم فى مجموعات صغيرة ومدربة على استخدام الأسلحة الأتوماتيكية وصناعة المتفجرات وقادره على الاجتماع فور استدعائهم فى المكان الذى يحدده الرئيس لهم، ثم إننا قد نضطر إلى أخذ زمام المبادرة فى أيدينا. وتوجهت أنظارنا إلى مواقع مستودعات الذخيرة الخاصة بوحدة البوليس الخاصة والدبابات الرابضة أمام النفق فهى هدفنا الأول ولكن أصعب شىء واجهنا هو البداية ، وكلف

اثنان من المتطوعين الروس بمسئولية مفاجأة أحد الحراس والانقضاض عليه وضربه حتى الموت، وإذا استطعنا الحصول على الزى العسكرى النازى والسلام فسوف يكون في إمكاننا الاقتراب من ضابط (ألمانى) والاستيلاء على كل ما فى حوزته مهما كلفنا هذا من مخاطر، وبطبيعة الحال ليس هناك أى حارس قابع فى برج حراسته يجرؤ على عدم طاعة أية أوامر يصدرها إليه أى شخص يرتدى ملابس الضباط، وسوف يضطلع الخبراء بقطع الكهرباء عن السور الكهربى، وأخيراً كنا على اتصال ببعض المدنيين المناهضين للنازية الذين تأهبوا للاستيلاء على مستودع الذخيرة القريب من نوردهاوزن والانضمام إلى صفوفنا .." ويحدثنا السجين بيرين عن إعداد مؤامرة ضد سلطة معسكر دورا وطبقًا لشهادة السجين ميشيل حدد السجين بيتى نوعية الأدوات والآلات التى تستخدمها المقاومة فى قطع الأشجار حتى تسقط فوق الأسلاك المكهربة فتفصل التيار عنها ، وفى عام ١٩٤٥ وبعد انتهاء الحرب ظهرت فى تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية وبولندا أبحاث أكثر عمقًا واتساعًا عن إعداد المقاومة لإشعال فتيل الثورة فى دورا المزمع اندلاعها فى٢٤ ديسمبر ١٩٤٤ وكتب أحد رجال المقاومة عن بعض تفاصيل هذه المؤامرة يقول : "اقترح المتمردون الحضور إلى معسكر بوخنوالد بعد قيامهم بقتل رجال وحدة البوليس الخاصة فى ثكناتهم فى دورا ، وبعدئذ كان من المفترض حسب هذه الخطة أن يذهب عشرات الآلاف من سجناء المعسكر إلى تشيكوسلوفاكيا للانضمام إلى أنصار الاتحاد السوفيتى ولكن ضخامة هذه الخطة حالت دون وضعها موضع التنفيذ .

وفى المحاكمة النازية التى انعقدت فى مدينة إسن Essen دار تحقيق مستفيض حول حقيقة جهاز الإرسال الذى نجح فى صنعه فى المستشفى فنى راديوهات تشيكى اسمه جان تشالويكا (أو هالويكا) Jan Chaloupka (Halupka) الذى سبق له بالفعل صنع جهاز استقبال ، وبعد استجواب المحكمة الألمانية للشهود اعترفوا باستحالة الاستيقان من صنع جهاز الإرسال المشار إليه ، ورغم ما يشوب أقوال الشهود من تضارب فلا مناص من الاعتراف بوجود شبكة من السجناء المتآمرين تضم عدداً من التشيكيين والفرنسيين وإلى جانب سيبسيفا كان الفريق التشيكى يضم طبيب الأسنان

أوتوسيمك Otto Cimek وفنى الراديوهات جان هالوبكا، وأيضًا كان جان ميشيل وبتى وبوبولست وصديقه أندريه بوييه André Boyer (رئيس شبكة التخطيط للمؤامرة) من أبرز المتآمرين .

اعتقال المتآمرين:

كانت الاستخبارات النازية على علم بهذه المؤامرة عن طريق مرشد اسمه جروزدوف Grozdoff رئيس البلوك رقم ١٥ وأغلب الظن أن بعض الكلمات الطائشة عن المؤامرة تطايرت دون قصد فتناقلتها الألسن ، وكان هناك مرشد آخر فرنسى الجنسية يدعى موريس نيجيليه Naegelé الذى صار الكابو المشرف على النفق وعلى إنتاج الصاروخ V1 والذى استطاع أيضًا أن يخدع كلاً من ديبومارشيه ولوث ويوقعهما فى الشرك ، وبعد قيام لوث ببعض أعمال التخريب تم القبض عليه فى أواخر أكتوبر وفى الشهر التالى (نوفمبر) ألقى القبض على ديبومارشيه والضابط جنتيل اللذين كانا يعملان فى مصنع إنتاج الصاروخ V1 ، كما ألقى القبض على آخرين، وفى حين كان المرشد جروزدوف شخصية شديدة الغموض كان نيجليه بكل صراحة ووضوح عميلاً لجهاز الجستابو فى فرنسا قبل الإمساك به وترحيله بتهمة الاختلاس، وبعد الزج به فى معسكر دورا عاد إلى التعاون مع الجستابو ، وبالنظر إلى معرفته بشئون المقاومة الفرنسية فى الأراضى الفرنسية استطاع اكتساب ثقة ديبومارشيه وقد ألقى النازيون القبض على بوبو Puppo فى نفس الوقت الذى قبض فيه على بوبولت ، ولكن بعض السجناء نجوا من الاعتقال أمثال ديجوسييه وكونى Congny ولروى Leroy وكازين دى هوننثوم Cazin d'Honincthum ، واللافت للنظر عدم اشتراك أى من البلجيكيين القلائل فى هذه المؤامرة ويشرح جوزيف ووسن Joseph Woussen السبب فيقول إن القيادة البلجيكية فى دورا كانت تعلم بوجود مخبرين ومرشدين فى وسطها، كما كانت تعتقد بعدم وجود أسلحة فى أيدى المتآمرين ، الأمر الذى جعلها تعتبر مجرد التفكير فى هذه المؤامرة نوعًا من الترف والطيش .

وعلى أية حال نجد أن اكتشاف هذه المؤامرة ألحق ضرراً محدوداً بالتشيكيين والفرنسيين ولكنه ألحق الأذى المروع بالروس والزعماء الشيوعيين فى معسكر دورا ، واستطاع برول Proll التخلص من حياته قبل أن ينجح النازيون فى القبض عليه ، كما أن كونتز وافته المنية نحو ٢٥ يناير ١٩٤٥ قبل أن يفتك الألمان به، أما الآخرون المقبوض عليهم فتم إعدام معظمهم فى ٤ أبريل ١٩٤٥ .

قاعدة بييموند الجوية :

كما سبق أن ذكرنا تم ترحيل سجناء معسكر بوخنوالد إلى كارلشاجن (أى إلى بييموند) فى يونيه ويوليه ١٩٤٣ ، ولكنهم عادوا إلى معسكر بوخنوالد فى شهر أكتوبر من نفس العام، ثم ما لبث أن أرسلهم معسكر بوخنوالد للعمل فى معسكر دورا ، وقد أعيد بناء معسكر قاعدة بييموند بعد تدميرها تدميراً شاملاً ، غير أنه تم ترحيل السجناء من معسكر دورا إلى إلريخ فى مارس ١٩٤٥ ويبدو أن سجناء إلريخ الأوائل وخاصة المجرمين الألمان والروس والبولنديين جاءوا من معسكر ساشنسهاوزن ، ثم ألتحق بهم فى منتصف نوفمبر ١٩٤٣ سجناء الفوج المرحلون من معسكر ستروتهوف بالقطار الذى يصل مباشرة من شيرماك Schirmack إلى كارلشجان (أى بييموند) .

وأيضًا كان روجر بريدى المحبوس فى السجن الرئيسى فى ميتز Metzفى انتظار مثوله أمام محكمة نازية ، فضلاً عن أن ٣٥٠ سجينًا وجدوا أنفسهم فى غضون أسبوعين على جزيرة يوسدوم Usedom وقد تم إيواؤهم فى الأربعة بلوكات الأخيرة فى معسكر لا يزيد عدد بلوكاته عن خمسة ، ويقول بريدى إنه كانت هناك معسكرات منوعة اشتغل بعض سجنائها فى ورش الميكانيكا أو فى صنع الغلايات التى تركب فى صواريخ V2 والتحق سجناء آخرون بمواقع عمل مهمتها إصلاح المبانى المتهدمة وتوسيع المطارات أو تفريغ حمولات القوارب ، كما التحق البعض بالعمل فى غرب بييموند أو شرقها حيث عمل المهندس فون براون فى إدارة وحدة تطوير الصواريخ .

وفى ١٧ أكتوبر ١٩٤٤ قام معسكر ساشسنهاوزن بإرسال مجموعة تتكون من خمسمائة سجين إلى كارلشاجن (بييموند) وضم هذا الفوج ١٥٠ سجينًا فرنسيًا أدلى أربعة منهم بشهادتهم المكتوبة كشهود عيان ، وصل ثلاثة منهم مباشرة من فرنسا فى وقت باكر، وهم جين ديوال Jean Duale وبيير بينولت وبيير بوجل Pujol أما السجين الآخر جين فور نيير Jean Fournier فقد زج به فى سجن بالقرب من ليل Lille يعرف باسم لوس Loos ولكنه أرسل إلى توركوينج Tourcoing فى ٣١ أغسطس ١٩٤٥ أى قبل وصول قوات الحلفاء مباشرة، ووجد هذا الرجل بعد التفاف طويل عبر أو ترخت Utrecht وجرونجن Groningen نفسه فى مدينة كولونى ثم ماجدبرج ليصل أخيرًا إلى معسكر ساشسنهاوزن ، وكانت نسبة الوفيات بين هؤلاء المرحلين كانت عالية بسبب تعرضهم للبرد القارص .

وتذكر كل الشهادات الأربع المشار إليها حادثة غير عادية وقعت يوم ٨ فبراير ١٩٤٥، فقد كلفت مجموعة من السجناء الروس مكونة من عشرة أشخاص بالقيام بأعمال التمويه لإخفاء الطائرات عن أنظار الحلفاء غير أن السجناء قاموا فى التاريخ المذكور بالهجوم على ملاحين فى طاقم طائرة من طراز هنيكل ١١١ كانت قد هبطت على الأرض لتوها وقتلوا أحدهما وأجبروا الآخر على العودة إلى الطائرة ، وكان بين السجناء الروس ضابط طيار يدعى ديفياتيف Deviataev أقلع بهذه الطائرة ليهبط بها بالقرب من وارسو واستطاع أن يتفادى بطائرته المخطوفة نيران المقاتلات الروسية والغريب أن النازيين لم يوقعوا هذه المرة كعادتهم أية عقوبة جماعية على سجناء المعسكر. والجدير بالذكر أن الميزان العسكرى تغير تمامًا لصالح الحلفاء بعد أن كانت ألمانيا النازية تسيطر على أوربا من القطب الشمالى حتى بلاد اليونان خلال الفترة من مايو ١٩٤٤ حتى ديسمبر ١٩٤٤ فقد تمكنت القوات الأمريكية فى نهاية ديسمبر من هذا العام من الوصول إلى أخن Aachen كما وصلت القوات السوفيتية إلى أبواب بروسيا الشرقية، وأيضًا تمت محاصرة الجيش الألمانى فى بودابست وبذلك أصبحت هزيمة ألمانيا النازية الماحقة وشيكة ورغم ذلك فإنها لم تتورع عن تقديم كثير من سجنائها إلى محاكمات قاسية خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٤٥ بل وحتى أثناء إجلاء المعسكر .

الفصل التاسع

موتى ومعسكرات صغيرة أخرى تدور فى فلك دورا

مصير الشبان اليهود المجريين:

يشهد بعض السجناء الفرنسيين بأن النازيين لم يظهروا أى نوع من الشفقة أو الرحمة فى معاملة يهود المجر، ويروون لنا ما حدث لأطفال وغلمان يهود مجريين. يقول جين بيير فى هذا الشأن : "فى كل ليلة تم جمع نحو عشرين طفلاً فى ركن من الحجرة الواسعة فى البلوك رقم ٥ وهو الدور الأرضى فى البلوك رقم ٦ ولكن السجناء الكبار امتنعوا عن مزاحمتهم فى المساحة الخالية من هذه الحجرة رغم شدة اكتظاظ البلوك لدرجة أنه لم يكن فى البلوك ليلاً سوى ممر واحد يخترق جناحه الرئيسى تركوه خاليًا لتمكين السجناء من الذهاب إلى المراحيض فى حين اكتظت الأماكن الأخرى بأجسام السجناء المتلاصقة فوق بلاط أرضية الغرفة، وكان هؤلاء السجناء المتلاصقون ينتمون إلى جميع الجنسيات، بل كان هناك أناس يرقدون محشورين تحت أسرة الزنازين المكتظة ، وفى المساحات الخالية من الآدميين كانت توجد نشارة خشب وعدة بطاطين حيت نام اليهود المجريون الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين الحادية عشر، والخامسة عشر، ولكنهم لم يناموا بالمعنى الحقيقى للكلمة ، وخلال ظلمة الزنازين بين الحادية عشر ليلاً والخامسة صباحًا ارتفع نحيب الأطفال وصار نشيجهم مسموعًا، وهم ينادون فيما يبدو علي آبائهم وأمهاتهم الغائبين عنهم فضلاً عن أن إدارة المعتقل رأت أن هؤلاء الصغار لا يحتاجون إلى كميات الطعام المخصصة للكبار ولهذا حرمتهم من

الحصول على وجباتهم كاملة رغم أنهم كانوا يعملون فى نفس معسكرات العمل التى التحق بها الكبار. وكان نشيج هؤلاء الأطفال أكثر الأشياء إيلامًا للنفس، وهو الأصل- بل بالأحرى السبب الداعى إلى تأكيد كراهيتى المشبوبة لمن يعذبونهم" .

وفى نهاية مايو ١٩٤٤ شاهد جلبرت وصول الشباب اليهودى المجرى الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشر الذين عملوا بدون توقف فى إزالة مخلفات الأبنية المتهدمة فى مصانع إنتاج الجيش تحت سياط الكابوهات ورجال الوحدة الخاصة، وتم الإجهاز على عشرهم فى وقت قصير للغاية ، ظل السجين جوردرن Jourdren حبيسًا فى معسكر إلريخ من ١٣ مايو حتى ١٦ يوليه من العام المشار إليه، وفى أحد أيام شهر مايو كلفه النازيون باقتلاع ريزومة Rhizomes[١] أعواد البوصC من بقعة مليئة بالماء والطين اللذين وصلا إلى أفخاذنا ، وكنا نفعل هذا بأيدينا المجردة وغير المغطاة ، وقد انغمست بطوننا واكتافنا بل وذقوننا فى الوحل لاقتلاع هذه الجذور اللعينة حتى حلول ظلام الليل، وعند عودتنا إلى المعسكر كان من الواضح أنه لم يكن هناك أمامنا سبيل للاغتسال أو تنشيف أنفسنا ، وفوق هذا كله فاحت أجسادنا برائحة نتنة . " .

وفى اليوم التالى أسندت هذه المهمة إلى مجموعة من الشباب اليهودى المجرى بلغ عددها نحو المائتى شخصًا ، ولم تمض ثلاثة أيام حتى قضوا نحبهم جميعًا .

ويذكر السجين لافوند Lafond أنه رأى قافلة من الأطفال اليهود فى نوفمبر ١٩٤٤ يقول لافوند فى هذا الصدد : "كان الوقت متأخرًا جدا فى المساء بسبب الزمن الذى استغرقناه فى المجئ من قطاع ووفلبن Woffleben وعندما خرجت من البلوك رقم ٣ عن طريق السلالم الخلفية رأيت على طول الطريق، على حدود شريط السكة الحديد مجموعة كاملة من شباب اليهود يغطون رءوسهم بطاقيات من الصفوف ذات لون أخضر غامق ولكنى لم أر قط هؤلاء الصغار فى المعسكر مرة أخرى .

---

(١) ريتزيموس .

الوفيات بين سجناء إلريخ:

من الملاحظ أن جميع الشهود على معسكر إلريخ الدائر فى فلك دورا يقدمون إلينا رغم اختلاف أساليبهم وأشكال تغبيرهم - صورة شديدة الاتساق لظروف العمل داخل نفق دورا وكذلك لمعسكر دورا الخارجى سواء فى البلوكات أو المستشفى ، والجدير بالذكر أن الحظ حالف عدداً من شهود العيان فى النجاة بحياتهم بسبب نقلهم إلى معسكر دورا ومن بينهم كوتيير Couture وبسكادير Pescadére وتوزين Tauzin وجريف Greff . وفى نهاية الأمر تم إلحاق الآخرين بمواقع عمل أكثر أمنا أمثال السجناء أوش Oesch وجوسجوين Goasguen وجراند Grand وفيروندو Virondeau وتيرال Terral وأبل Abel وميلر Miller وكورتود Courtaud وجراند كوين Grandcoin وقد استفاد كل من آبل وميلر استفادة كبيرة من معرفتهما باللغة الألمانية ، ولكن بعض الشهود القلائل أمثال أوشابى Auchabie ولافوند ظلوا فى مواقع يتهددها الخطر حتى النهاية .

وحتى شهر أغسطس ١٩٤٤ ظلت نسبة الوفيات فى معسكر إلريخ منخفضة بشكل لافت للنظر فهى لا تتجاوز سبع عشرة حالة وفاة، وساعد على هذا االانخفاض أن مستشفى دورا ومستشفى هارزونجن استقبلا مئات السجناء المرضى وقاما بعلاجهما رغم إمكانياتهما المحدودة، وليست هناك طريقة لمعرفة من عاش ومن مات من هؤلاء السجناء المرضى ممن تلقوا العلاج فى المستشفيات .

ولكن حالات الوفيات فى معسكر إلريخ مالبثت أن أرتفعت فبلغت ٢٩ حالة فى سبتمبر ١٩٤٤ و ١٠٧ حالة فى أكتوبر و١٤٤ حالة فى نوفمبر وكانت الزيادة فى حالات الوفيات فى شهر ديسمبر زيادة درامية حيث سجل هذا الشهر ٢٨١ حالة وفاة ثم ٤٩٨ حالة وفاة فى يناير ١٩٤٥ و٥٤١ فى فبراير و٣٢١ فى العشرة الأولى من شهر مارس و ٣٧١ فى الأيام العشرة التالية و٣١٩ فى العشرة الأخيرة من الشهر المذكور ولكن هذه الأرقام لا تمثل عدد الضحايا الحقيقى بسبب ترحيل سجناء موسلمانر -Musel manner إلى دورا ، وفى بداية فبراير ١٩٤٥ غادر جى مارتى Guy Marty البلوك الذى يسكنه برفقة فريق من المرضى الذين استقلوا القطار حتى بلدة ووفليبن Woffleben ثم

توجهوا إلى معسكر دورا سيراً على الأقدام عن طريق بلدة كوهنشتين Kohnstein وفى الأسابيع الأولى من عام ١٩٤٥ كان معسكر إلريخ مفعمًا بالسجناء المنهكين الفاقدين لنشاطهم وحيويتهم ، فبين إجمالى عدد سجنائه المسجلين فى ٢٩ يناير ١٩٤٥ وهم ٦٥٧١ دخل ٤٦٧ منهم المستشفى بالإضافة إلى ١١٨٦ آخرين كانوا على أهبة الاستعداد لنقلهم كمرضى إلى أماكن أخرى، وهكذا أصبح العدد الكلى لسجناء إلريخ غير الصالحين للعمل ١٦٥٣ ، وهذا العدد يمثل ربع نزلاء هذا المعسكر علمًا بأن معظم السجناء الملحقين بمواقع العمل لم يكونوا أحسن حالاً بل كانوا يعانون أيضًا من اعتلال صحتهم .

قافلة سجناء إلريخ بتاريخ ٣ مارس ١٩٤٥ والأسابيع الأخيرة فى هذا المعسكر:

فى ظل الظروف السالفة الذكر تم إعداد هذه القافلة فى ٣ مارس ١٩٤٥ لإجلاء ١٦٠٢ سجين ينتمون إلى جميع الجنسيات من معسكر إلريخ وأخيراً استقر هذا الفوج فى قطاع بويلك كاسرن فى نوردهاوزن ، وأيضًا غادرت قافلة من السجناء يوم ٦ مارس نوردهاوزن إلى جهة غير معلومة ، وهى تضم ١١٨٤ سجينًا من بين السجناء الـ ١٦٠٢ المشار إليهم والذين سبق لهم الوصول يوم ٣ مارس، وكذلك توفى ٢٤٦ سجينًا على فترات متفاوتة فى نوردهاوزن كما أن بعضهم وافته المنية عند وصولهم إليهما، والأرجح أنه تم ترحيل فوج ٦ مارس إلى معسكر برجن بلسن وأن جميع سجناء هذا الفوج توفوا أثناء عملية الترحيل أو فور وصولهم والجدير بالذكر أن لافوند فقد عدداً كبيراً من أعز أصدقائه فى هذا الفوج، وفى الأسابيع الأخيرة من معسكر إلريخ كان الموت حاضراً فى كل أرجاء المعسكر مثلما كان حاضراً فى نفق دورا قبل ذلك بعام واحد، وعندما دخل لافوند قطاع فلوجل Flugele علق قائلاً : "بعد وصول السجين مباشرة ينزعون عنه كل ثيابه للمرة الأولى والأخيرة ثم يكتبون رقمه بالحبر على صدره ويعدون أسنانه الذهبية وعندما يخرج يفعل هذا عن طريق فرن المحرقة" .

وطبقًا لشهادة ماكس أوشن تراكمت جثث السجناء فى الخارج، يقول أوشن فى هذا الشأن: "كانوا يموتون فى المستشفى والبلوكات ومواقع العمل، وأثناء وقوفهم فى طابور النداء عليهم، وكانوا يلقون كل هذه الجثث العجاف البارزة العظام على بعد أربع خطوات من نافذة حجرتى . " ولكن نظراً لنفاد وقود الشاحنة التى تنقل هذه الجثث تم نقلها جميعاً عندما وصل عددها إلى نحو ثلاثمائة جثة إلى نعش جماعى كبير موجود فى أرض النداء على الطابور، وقاموا بوضع كومة من القش على النعش وقطع خشبية مغموسة فى مادة القار، كانت الجثث توضع جنبًا إلى جنب وخلف خلاف على طول صفين تعلوها القطع الخشبية ، ثم يضاف إليهما صفان آخران من الجثث ، وهكذا دواليك، وفى صباح اليوم التالى يحضر شخص ليشعل النار فى النعش، فيمتلىء المعسكر طوال الليل بدخان كثيف خانق وفى المساء كانت الجثث لا تزال تحترق يعفرها الغبار الذى تثيره الغارات الجوية الأنجلو- الأمريكية ." ويستطرد أويش قائلاً : " وأيضاً يحضر أحد رجال وحدة البوليس الخاصة حاملاً صندوقًا وورقة وقلم رصاص وبرفقته طبيب أسنان يحمل معداته لانتزع الأسنان المصنوعة من الذهب، ثم يقوم عامل بجذب الجثث الواحدة تلو الأخرى من القدمين ثم يتم وضع خاتم على الجثة المطلوبة حتى يتولى رجل الوحدة الخاصة انتزا ع أسنانه الذهبية ويسجل هذا فى أوراقه قبل أن وضعها فى الصندوق وبعدئذ يأخذ الحانوتية الجثث ويلقون بها فى كومة الجثث المتراكمة .

ويجدر بالذكر أنه تم تشغيل المحرقة الجديدة القائمة على التل المطل على معسكر دورا فى مارس ١٩٤٥ ، أى قبل تحريره بوقت قصير .

ثلاثة أحداث وفيات تقع بشكل درامى:

اختفت من معسكر إلريخ التابع لدورا مجموعات كاملة من السجناء، وتكون الضحايا الأوائل من أربعة عشر سجينًا جاءوا من أيل جودى Ile- Judy وهو مرفأ لصيد السمك فى منطقة فينستير Finistere فى بريتانى حيث ألقى القبض عليهم فى

٢٠ يونيه ١٩٤٤ وزج بهم جميعًا فى معسكر إلريخ، وأعطوا أرقام سجن فى مسلسل السبعة والسبعين ألف، وأسماء هؤلاء السجناء وأرقام سجنهم كتالى : جوزيف كلويو Joseph Cluyou (ورقم سجنه ٧٧٧٨٤) وفرانسوا كوبا (٧٧٧٤٢)Francois Coupa وجريجوار كوبا Gregoire Coupa (٧٧٧٣٨) وإيوجين كراتيس (٧٧٧٤٣)Eugen Crates وبيير ديكوبلو Pierre Diquelou (٧٧٧٨٧) وجورج جوسدو (٧٧٧٣٧) -Georg es Goosdoue وإيمى جويجن Aimé Guégen (٧٧٨٠١) وإدجار فيلكس جونيفارش Edgar-Felix Guinvarch (٧٧٧٥٧) – وجين جونيفارش (٧٧٧٤١) Jean Guinvarch وجلبرت لى برى Gilbert Le Bris (٧٧٧٤٠) ومارسيل بيرين (ورقم سجنه غير معروف) Marcel Perrin وموريس فولاند Maurice Voland (٧٧٧٤٤) وكانوا جيمعًا صيادى سمك أو موظفين صغارًا فى سلاح البحرية، وبحلول عام ١٩٤٥ قضوا جميعًا ولم ينج منهم غير سجين واحد هو بيير جو سوديه ، كما كانوا جميعًا من الشباب المولود فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٠٩ و ١٩٢٤ ولكن الرهائن الذين وقعوا فى أسر النازيين فى ١٦ أغسطس ١٩٤٤ فى بلدة بويسو Puiseaux فى منطقة اللواريت Loiret فكانوا بوجه عام أكبر سنًا بكثير، وأسماء الرهائن كالتالى : العمدة إميل تينت Emile Tinet (المولود عام ١٨٧٨) وابنه الطبيب البيطرى إيتيين Etienne المولود عام ١٩١٢ وأمين قاعة المدينة مارسل لانج Marcel Lange المولود عام ١٨٨٣ والقس هنرى ريتورو Henri Retaureau المولود عام ١٨٨١ وجاك بارانتون Jacques Barant (المولود عام ١٩٠٣) ورئيس الجندرمة جورج ديتو (المولود عام ١٩٠٠) Gearges Detoux والجندرمة إدموند مارين Edmond Marienne (المولود عام ١٩٠٥) وصاحب جراج اسمه جيرمان بيرثيه Germain Berthier (١٨٩٣) والميكانيكى لوسيان بيتروا Lucien Pietrois (المولود عام ١٩٠١) والميكانيكى جورج بيرتييه (المولود عام ١٩٢٣) Georges Berthier والحلوانى لويس ماريس (المولود عام ١٩٠٢) Louis Maris وتاجر البطاطس موريس فوارى المولود عام ١٨٩٩ Maurice Foiry وتاجر السماد هنرى ماسور (المولود عام ١٩١٣) Henry Masure والبقال ريموند بوردوا Raymond Bourdois وتم اقتيادهم إلى فرسنس ثم ترحيلهم من بانتين Pantin إلى بوخنوالد بعد إعطائهم أرقام

سجن فى مسلسل السبعة والسبعين ألفًا ثم تهجيرهم بعد ذلك عن بكرة أبيهم إلى معسكر دورا ، ومن هناك رحل نصفهم إلى معسكر إلريخ، ومن بين الأربعة عشر سجينًا المرحلين لم ينج من الموت عام ١٩٤٥ سوى ثلاثة هم القسيس المتقدم فى العمر ريتيرو والسجين بوردوا وجورج بريبه .

وتستمد دفعة السجناء الأموات الثالثة من قائمة الرفاق الموتى الذين أهدى إليهم إيتيين لافوند كتابه عن ذكرياته، وهى قائة تضم أسماء أرستقراطية عريقة : الماركيز رينيه دى روى René de Roye (الذى يحمل رقم سجن ٧٧٧٢٢) وفرانسوا دى بوبين (ورقم سجنه ٣١٠٨٣) Francois de Buibne وإيفان دى كولومبل Ivan de Colombel (٧٧٠٤٠) وكريستيان دى دانكورت (٥٣٢٥٧) Christian de Dancourt وفيليب ديلبى (٧٧٥٣٨) Philppe d'Elbée وريتشارد دى لافاليز (٧٧٢٠٠) Richard de La falaise وربرت دى رنتى (٧٧٠٩٦) Robert de Renty الذى وافته المنية أيضًا فى معسكر إلريخ .

وفى عام ١٩٤٥ تجمعت معلومات خاصة بوفاة أحد الرهائن اسمه جورج ديتو Georges Detoux كان مصدرها رئيس الجندرمة بويسو Puiceaux يقول بويسو: " كان ديتو يعانى من الدوزنتاريا وبلغ به الضعف كل مبلغ ، ولم يستطع التحكم فى جسده الذى انبعثت منه رائحة تثير التقزز والغثيان الأمر الذى أثار ثائرة حراس البلوك والسجناء الآخرين ضده، فانقضوا عليه وأوسعوه ضربًا وقذفوا به بعنف من الدور الثالث على السلالم الشديدة الانحدار ، وبعد أن استطاع استجماع توازنه تمكن بشق الأنفس من العودة إلى مكانه الأصلى ، ولكن واحدًا ضربه بكل قوته بملة سريره. حدث ذلك فى الثامنة مساء فى شهر ديسمبر ١٩٤٤ ، وفى صباح اليوم التالى وجده زملاؤه السجناء طريحًا على بسطة الدور الأول ملقى على ظهره فاغرا فاه ومسلمًا الروح ".

وبوجه عام يمكن القول إن السجناء الذين وصلوا مؤخرًا عانوا أكثر ممن سبقوهم ، وهو استنتاج يؤيده الفحص الدقيق لقوائم السجناء فى معسكر لانجنشتين Langensti-en ، ولا شك أن السجناء الذين طال حبسهم فى إلريخ أمثال سيرج ميلر Serge Miller وجاك كورتود Jacques Coartoud وميشيل ديبوفيه Michel Debeauvais وريمى فسنت

Ramy Vinecent وماكس أوش Max Oesch كانوا فى وضع يسمح لهم بمعرفة تاريخ معسكر إلريخ وما جرى فيه أكثر فى غيرهم

إغلاق مواقع العمل في قطاعي كوهنتشين Kohnstein وهيملبرج Himmelberg .

أثناء موسم الإجازات توقف العمل فى أواخر عام ١٩٤٤ لإعطاء العاملين المدنيين الألمان الفرصة لقضاء إجازاتهم مع عائلتهم داخل ألمانيا التى لم تكن - باستثناء أخن وطرف في بروسيا الشرقية - قد أصابها الدمار. وأخذ جميع الألمان إجازة باستثناء عامل مدنى ألمانى واحد كان مقطوعا من شجرة وليس له أهل أو عائلة. وعند استئناف العمل فى شهر يناير ١٩٤٥ أصبح من الواضح وجود نقص شديد فى عمالة معسكر الرايخ الذى لم يعد يعتمد على عمالة معسكر بخنوالد الذى توقف بدوره عن استقبال أية أفواج مرحلة جديدة والذى انصرف إلى تزويد معسكر أوهردروف بعدد من سجنائه. بل إنه تحتم على معسكر إلريخ وغيره فى المعسكرات الاعتماد على المتوفر من العمالة الحالية . وابتلى الربع الأول من عام ١٩٤٥ بشتاء قارس البرودة وتسلم قطاع أوهيوكليدر OhochLeider فى إلريخ كمية هائلة من زى السجناء الأمر الذى مكن هذا القطاع من إعادة سجنائه للعمل فى معسكرات العمل. وفى ديسمبر عام ١٩٤٤ أنشىء بالقطاع رقم ٣٢ فى معسكر دورا. وتم إرسال سجنائه للعمل فى موقع نيدر ساشسورفين. وكان بيير ماهو Moho يعمل فى هذا القطاع الذى تمت إقامته فى الأبنية الشاغرة فى بويلك كاسرن فى نوردهاوزن.

وعندما تسبب الصقيع فى توقف العمل فى هلمتالباهن Helmetalabhn تم استقدام سجناء بوبريدجادن baubridgaden وتشغيلهم فى الفترة من ٢ يناير حتى ١٥ فبراير ١٩٤٥ . وجاء العمال من أوسترهاجن Ostrcrheycn بالقطار يوميا للعمل فى ولفبابن Woffpaben . ونجم عن إجلاء معسكرى أوشفيتز وجروس روزن قدوم جحافل من سجنائهما إلى معسكر دورا ثم نقل سبعمائة سجين منهم فى أبريل إلى معسكر ولفبابن التابع لدورا للعمل فى مصنع B 12 . وكلف كل هذا لم يجد قتيلاً لأن هؤلاء السجناء كانوا فى حالة من الإعياء لا تسمح لهم بالعمل والإنجاز.

وتلقى المعلومات التى أدلى بها بورنمان الضوء على الموقف فى مواقع العمل المختلفة عند الإجلاء . وكانت مساحة الأرض المحفورة فى القطاع ب ٣٢٥١٢ ألف قدم مربع. ورغم هذا فإن المساحة المحفورة فى نفق دورا والمخطط زيادتها إلى ١,٧٣ مليون قدم مربع لم تكن قد تهيأت بعد لتصنيع الطائرات.

والجدير بالذكر أن جميع سجناء B 17 كانوا من عمال المناجم وكان العمل فى قطاعى B 11 و B 17 على وجه الخصوص فى يد شركة أمونيا ويرك ميرسبرج Amoni-awwork Merseburg الكائنة فى نيدر ساشسورفن. وكان عدد العاملين فى هذه الشركة من المدنيين الألمان والأجانب يفوق عدد العمال السجناء ، وفى حين أن شهادات السجناء نادرا ما تشير إلى قطاع B 11 فقد كثرت الإشارات إلى مواقع قطاعى B 3 و B 12 وخاصة إلى مصانع الطوب وقطاع الأحمال الثقيلة فى سهل ولفلبن .

والحق يقال إن الإداريين فى المعسكرات الصغيرة فى هازونجن وإلريخ وولفبابن فى الفترة من مايو ١٩٤٤ حتى أبريل ١٩٤٥ كانوا ينفذون الأوامر والتعليمات الصادرة إليهم، علمًا بأن قومندان معسكر هارزونجن وأطباء هذا المعسكر ومعسكر إلريخ كانوا على عكس رجال وحدة البوليس الخاصة الذين عاملوا السجناء بوحشية وتفننوا فى تعذيبهم ، ولكن هذا لا يعفى كرامر من تحمل المسئولية حيث أنه كان المسئول الأول والأخير عن إدارة مواقع العمل والمعسكرات التابعة لدورا ، ولاشك أن مشروع حفر الأنفاق والأروقة فى معسكر دورا على مساحة تقدر بأربعة ملايين قدم مربع كانت فكرة جنونية تحتاج فى تنفيذها إلى تشبث وعناد لا مثيل لهما حتى فى الأسابيع الأخيرة من تاريخ دورا بدون توفير أدنى حماية للعمالة التى تنقص يومًا بعد يوم، والأمر الذى يجعل من كرامر ومعاونيه مجرمى حرب .

سلسلة أخرى من المعسكرات الصغيرة التابعة لمعسكر دورا ميتلبو Dora Mettelbo

كان معسكر دورا والنفق المحفور داخله والمعسكرات الصغيرة ومواقع العمل فى هلتمالباهن Helmetlbahn وهارزونجن وإلريخ وولفبابن ومواقع العمل الجديدة فى كل من كوهنشتين وهملبرج Himmelberg تشمل وحدة جغرافية متكاملة تتميز بالاتساق

وتتبادل السجناء الأصحاء والمرضى على السواء . ولكن بحلول ربيع عام ١٩٤٤ نشأت مجموعة أخرى من المعسكرات الصغيرة فى منطقة دورا حول جبال هارز Harz وانسلخت عن معسكر بوخنوالد ، وفيما بعد انضمت بعض هذه الصغيرة إلى معسكر نيونجام Neuengamme كما أن خريف عام ١٩٤٤ شاهد ظهور معسكرات صغيرة أخرى مرتبطة بدورا وإلريخ وهارزونجن مكونة مما يعرف بمعسكر ميتلبو ، ولكن بقية المعسكرات الصغيرة الأخرى ظلت تعتمد على معسكر بوخنوالد، والجدير بالذكر أن بعض أسماء السجناء البارزة فى مثل سيرج بالاشوفسكى Serge Balachowsky وستيفان هيسل Stephane Hessel ودافيد روسيت David Rousset وروبرت أمتلم Robert Amtelme وروبرت دسنوس Robert Desnos ارتبطت بهذه المعسكرات الصغيرة المجاورة لدورا .

معسكر روتلبرود Rottleberode والمصنع المقام فيه :

نقلت مصانع تجميع الطائرات فى مجمعات تحت سطح الأرض والمنشأة فى ربيع عام ١٩٤٤ إلى ميتلروم Mittelraum التابعة لشركة يونكرز – بيتريبب Junkers-Betreibe التى اتخذت من شرق أنهالت Anhalt ودسو Dessau وبرنبرج Bernburg وكوثن Kothen بالإضافة إلى لينرج وماجدبرج مقرات تقليدية لها .

وكانت الورش المنقولة إلى الجزء الشمالى فى نفق دورا والتى تم إجلاؤها بناء على أوامر كاملر تعرف باسم ورش نورد ويرك نيدرساشسفيرفن Nordwerk Nieder-scachswerfen ولم تستخدم هذه الورش عمالة السجناء فى معسكرات الاعتقال بل مجموعة كبيرة من العمال الأجانب يبلغ عددهم خمسة آلاف عامل أجنبى وخمسمائة ألمانى مدنى كان محظوراً عليهم الاتصال بالسجناء العاملين فى مصانع ميتلويرك فى دورا .

وفى نفس الوقت تولى كاملر إقامة مصنع فى كهف من صنع الطبيعة فى هايمكهل Heimkeheleإلى المشرق من نوردهارزن ، وبالقرب من مصنع شونبيك Schonbeck جنوب ماجدنبرج كان هناك مصنع كبير تابع لمعسكر بوخنوالد يعمل فيه عمال مهرة تم اختيارهم عقب وصول أفواج السجناء المرحلين وتم نقل عدد كبير من العاملين فى مصنع شوفيك إلى كهف هايمكهل وكذلك تم العثور على معسكر آخر يعرف باسم هالبرستادت Halberstadt .

وأقيم مصنع جديد باسم ثيرافيرك Thyrawerke Rottleberode على أيدى فيكتور ليتورنيه Victor Letourneux الذى وصل إلى بوخنوالد فى سبتمبر ١٩٤٣ ثم تم ترحيله بعدئذ من مصنع شونبيك الواقع فى قطاع روتلبرود، أما جين روجييه Jean Rougier فقد جاء مباشرة من بوخنوالد فى ١٥ يونيه ١٩٤٤ وفيما بعد اجتاز ستيفان هيسل شوينيك ووصل إلى معسكر روتبلرود فى ٤ نوفمبر ١٩٤٤ ، وقد أقيم هذا المعسكر من شمال قرية ماكس شوك Max Schuck وقد بلغ عدد سجنائه فى ٣١ ديسمبر ١٩٤٤ إلى ٩٠٣ سجيناً، ثم ارتفع عددهم عشية إجلائهم إلى ١٧٠٠ سجينًا ، وفى يوليه ١٩٤٤ كان طبيب المستشفى رجلاً بلجيكيًا اسمه الدكتور فرناند مايستريو Fernand Maistriaux وكان المرض طالبًا فرنسيًا من الألزاس اسمه روبرت جاندار Robert Gandar وبسبب تفانى هذين الرجلين وإخلاصهما فى علاج المرضى أثنى عليهما كل من روجييه Rougier وليتورنيه ، وكمثال على هذا التفانى قام جاندار بتوفير الدواء Maistriaux عندما أصيب قبل إجلائه بالالتهاب البللورى فى رئته اليسرى، وأيضًا كان هناك ممرض يستحق التنويه اسمه جونى Johnny وفى نفس الوقت انتهى المطاف بكل من ستيفان هيسل وجونى فى معسكر روتلبرود ، والجدير بالذكر أن كاملر افتتح موقعًا للعمل تحت الأرض اسمه B4 فى بلدة ستمبيدا Stempeda بالقرب من شمال روتلبرود ، ويبدو أن هذا الموقع كان مخصصاً لإيواء اليهود المجريين .

ستيفان هيسل وألفريد بالاشوفسكى Alfred Balachowsky

فى نهاية مارس ١٩٤٤ وصل من لندن ستيفان هيسل إلى فرنسا فى مهمة لإعادة تنظيم شبكة الاتصالات اللاسلكية، وكان يعاونه فى القيام بهذه المهمة جاك برون Jacques Brun وجين بيير كوتير Jean- Pierre Couture وألقى القبض على هيسل وكوتير يوم ١٠ يوليه ١٩٤٤ كما ألقوا القبض على برون Brun فى اليوم التالى الموافق ١١ يوليه .

كان هيسل ينحدر من أصل ألمانى وكان مثل سمبرون Semprun يتحدث بلغة ألمانية بديعة، وفى ٨ أغسطس من هذا العام التحق بإحدى مجموعات المقاومة المكونة من ٣٧ مناضلاً ألقى القبض عليهم فى فرنسا، وتشكلت غالبية هذه المجموعة من الفرنسيين والعديد من البلجيكيين ، وثلاثة إنجليز وأمريكى وكندى تم نقلهم من باريس إلى معسكر بوخنوالد الذى وصلوا إليه فى ١٢ أغسطس من العام المذكور ليسكنوا فى البلوك رقم ١٧ ، وكان هؤلاء القادمون على اتصال بسجناء معسكر بوخنوالد ، وتقابل هيسل مع بينو Pineau الذى كان قد تعرف به فى لندن كما تقابل هنرى فراجر Henri Frager مع سمبرون الذى كان أحد أفراد شبكته وقام بزيارتهم ألفريد بلاشوسكى العامل فى البلوك رقم ٥٠ حيث جرى إعداد اللقاح المضاد لوباء التيفوس .

وصل بلاشوسكى – وهو فرنسى من أصل روسى– إلى معسكر بوخنوالد ضمن أول فوج قادم فى يناير ١٩٤٤ ثم أرسل على وجه السرعة إلى معسكر دورا حيث تلخص عمله فى طلاء بعض أجزاء الصاروخ V2 ونظراً لشهرته العلمية فى معهد باستير قام معسكر بوخنوالد باسترجاعه من معسكر دورا بناء على قرار خاص اتخذه النازيون على أعلى مستوى وفى معسكر بوخنوالد تم الزج به فى زنزانة ثم أرسل إلى البلوك ٥٠ الذى ضم خمسة وستين سجيناً من جميع الجنسيات ومن بينهم سبعة يهود، وأيضاً كان ضمن هؤلاء السجناء دارسون وسياسيون كثيرون على رأسهم الطبيب النمساوى الشهير إيوجن كوجن Eugen Kogon الذى ترك أثراً واضحاً فى الطبيب دنج شولر Ding Schuler رئيس البلوكين رقمى ٥٠ و٤٦ حيث كانت التجارب الطبية

تجرى على السجناء بحقنهم بجراثيم التيفوس، علمًا بأن هذين البلوكين تم عزلهما عن بقية المعسكر وأن رجال وحدة البوليس الخاصة امتنعوا عن دخولهما خوفًا من انتقال عدوى التيفوس إليهم .

وفى ٨ سبتمبر من العام المشار إليه استدعى النازيون ستة عشر من رجال المقاومة البالغ عددهم سبعة وثلاثين وتم شنقهم عند باب المعسكر، وأدرك بقيتهم أن نهايتهم محتومة، ولكن المقاومة نجحت عن طريق بلاشوفسكى فى إنقاذ ثلاثة منهم من الموت، وتمكن كوجن بالتواطؤ مع الطبيب دنج شولر وكابو البلوك ٤٦ ديتش Dietzsch من استخراج أوراق هوية مزورة لهم كانت فى الأصل أوراق هوية سجناء فرنسيين ماتوا بالتيفوس ، وهكذا قدر لاثنين من الإنجليز هما يو توماس Yeo Thomas وبلييف Peuleve والفرنسى ستيفان هيسل البقاء على قيد الحياة، وتم إعدام معظم الباقين كما روى لنا بالتفصيل كوجن فى كتابه "دولة وحدة البوليس الخاصة" وكما ورد فى كتاب هيسل "رقصة مع القرن" .

وأرسل النازيون هيسل إلى معسكر روتلبرود عن طريق شونيبيك Schonebeck حاملاً أوراق هوية باسم ميشيل بوتيل Michel Bootel ورقم سجنه ٨١٦٢٦ وبفضل اتقانه للغة الألمانية تمكن من الحصول على وظيفة محاسب، وبقى فى معسكر روتلبرود لحين إعادته إلى العمل بمساعدة سجينين سياسيين هما الكابو والتر وأولبرخت Ulbricht وبعد عودته إلى المعسكر قرر الهرب مع صديق له يدعى روبرت ليموان Robert Lemoine وانتهز هذان السجينان فرصة سيرهما فى أوائل فبراير ١٩٤٥ فى الطريق من المعسكر إلى المصنع وتسللا هاربين ولكن سرعان ما تم القبض عليهما وإرسالهما إلى معسكر دورا ومرة أخرى استغل هيسل إتقانه للألمانية فتم إرساله ورفيقه ليموان إلى معسكر مخصص للهاربين، وألحق هيسل بالعمل فى مصنع لضرب الطوب، كما كلف بنزع ثياب الجثث القادمة فى قوافل الإجلاء من معسكرات شرق أوربا .

الزنجى جونى Negro Johny

كان "الزنجى" جونى - كما يصفه راسينيير -شخصيته معروفة فى معسكر بوخنوالد ضمن الأفواج المرحلة إليه فى عام ١٩٤٤ مدعيًا بأنه زنجى أمريكى واستطاع هذا الرجل الالتحاق بالمستشفى كطبيب ولكن ادعاءه وجهله بالطب سرعان ما افتضحا ، وانتقل جونى من مستشفى بوخنوالد إلى مستشفى دورا حيث قابله راسينييه، ثم عمل بالتمريض فى مستشفى روتلبرود حيث قام جاندار بالسيطرة عليه وتوجيهه، وأخيرًا تم تحريره فى ميلكنبرج Mecklenburg برفقة المترجم جورج شميدت ، وبعد انتهاءً الحرب العالمية الثانية اتضح للباحثين أن جونى نيكولاس لم يكن أمريكيًا بل فرنسيًا وأن اسمه الحقيقى هو جين مارسيل نيكولاس. وهو من مواليد جزيرة هايتى عام ١٩١٨ وينحدر من والدين فرنسيين من منطقة جواديلوب Guadeloupe وتلقى هذا الزنجى جانبًا من تعليمه فى فرنسا والتحق لفترة بخدمة الأسطول الفرنسى وكان يعيش فى فرنسا عندما اندلعت ألسنة الحرب العالمية الثانية .

وأثناء الاحتلال النازى لفرنسا أدعى أنه كان طيارًا فى سلاح الطيران الأمريكى وأطلق على نفسه اسم جونى نيكولاس، وجندته مخابرات الحلفاء للعمل فى صفوفها ولكن فتاة عشيقة له فى باريس أبلغت عنه فتم إرساله إلى معسكر بوخنوالد ثم إلى معسكر دورا وبقى على قيد الحياة حتى نهاية الحرب، ولكنه توفى فى فرنسا فى سبتمبر ١٩٤٥ ، وكما يقول الدكتور جرونيفلد Groneeveld كان صاحب شخصية قوية منذ يفاعته ، يتقن اللغة الألمانية جيداً، الأمر الذى ساعده على النجاة من براثن الموت ومن تقديم مساعدته إلى زملائه السجناء فى المعسكر . وكان جونى شخصية جذابة فتن بها كثير من السجناء وخاصة الشباب الروسى الذين لم يسبق لهم رؤية رجل أسود من قبل .

معسكرات بلانكبرج Blankenburg :

تقع مدينة بلانكنبرج الصغيرة فى الجزء الشمالى الشرقى من جبال هارز على الجانب المقابل لنورد هاوزن . وتنتشر فى منطقة هارز المناجم والمحاجر القريبة، بعضها آهل وبعضها الآخر مهجور، وفى منتصف عام ١٩٤٤ قررت منظمة تودت افتتاح موقع لها فى هذه المنطقة ، ويشير جستين جروات Justin gruat فى هذا الشأن إلى "عمال منجم مهجور يعملون فى توسيع الأروقة والقاعات وتحويلها إلى مصنع تحت الأرض ."

ويقع معسكر كلستويرك Klosterwerke فى مدينة أوسيج Oesig غرب بلدة بلانكنبرج ويرجع الفضل فى معرفة تاريخ هذا المعسكر إلى شهادة السجناء البلجيكيين وخاصة ألبرت فان هوى Albert Van Hoey ونارسيس دوفران Narcisse Dufrane أنشىء هذا المعسكر فى ٢٣ أغسطس ١٩٤٤ بسواعد خمسمائة سجين عقب وصولهم بالقطار مباشرة من معسكر بوخنوالد، وكان بينهم ٣٦٩ بلجيكيًا ينتمون إلى فوج العاشر من أغسطس (١٩٤٤) وسجناء فرنسيون عديدون ألقى القبض عليهم إما فى بلجيكا نفسها مثل هيوبرت توميريل Hubert Tumerelle أو فى شمال فرنسا مثل بولسلاس ليسزويسكى Boleslas Leciejewski القادم من لنز. أما السجناء الآخرون فكانوا من لابسى الشارات الخضراء العريقين فى الإجرام (المكلفين بالإشراف على البلوكات والقطاعات) والبولنديين والروس ... وفى البداية كان سجناء هذا المعسكر يسكنون الخيام وكلف بعضهم ومن بينهم فان هوى بإنشاء معسكر يضم ثكنات قام بتصميمها فان هوى وموريس بوشيه Maurice Bouchez فى حين تم إرسال السجناء الآخرين لحفر الأنفاق ونقل الأحجار وأكياس الأسمنت وحديد التسليح، ولم تفلح جهود الدكتور جورج روبرز George Roperes الطبيب الفرنسى القادم من معسكر الريخ فى رفع المعاناة عن السجناء بسبب نقص الدواء، ولهذا كان معدل الوفيات مرتفعًا كما كانت الجثث بعد نزع ملابسها تلقى فى قبور جماعية .

وفى نهاية يناير ١٩٤٥ أقيم معسكر آخر فى ريجنشتين Regensteinn وهو تل يقع فى شمال بلاكنبرج . وكان اسم هذا المعسكر الكودى تورمالين Turmalin ، أما

سجناؤه فكانوا يهودا تم إجلاؤهم من معسكر فور ستتجروب Furstengrube التابع لمعسكر أوشفيتز ولم يكتمل العمل فى معسكرى تورمالين وكلوستروبك اللذين تم إجلاء سجنائهما فى نفس اليوم .

معسكرات أوسترود Osterodo :

من المعروف أن معسكرًا أنشىء فى أوسترود بناء على قرار اتخذ فى فى نهاية عام ١٩٤٤ لربطه بمعسكر دورا فى نفس الوقت الذى تم فيه ربط معسكرى روتلبرودو ويلانكبرج به، وكان معسكر أوسترودو معروفًا باسم هيبر Herber ويأوى آنذاك ٢٨٦ سجينًا، وأقيم هذا المعسكر فى بلدة فيرهايت Freiheit فى الفترة من أغسطس حتى سبتمبر من العام الآنف الذكر لإنتاج معدات الطائرات .

وأيضًا أقيم معسكر أخر تحت الأرض فى منطقة أوسترود بيتر شوت Osterode - Petershutte وكانت مؤسسة تود تستخدمه فى تنقية الزيوت المعدنية، ويرجع الفضل فى معرفة العالم بهذا المعسكر إلى شهادة الدكتور جول هوفشتين Jules Hofstein ففى يناير ١٩٤٥ وجد هذا الطبيب اليهودى الفرنسى نفسه حبيسًا فى معسكر دورا بعد ترحيله من معسكر أوشفيتز، وقد جاء هذا الرجل من ملحق معسكر بشمارخوت Bis-marchshuttz حيث مارس مهنة الطب وهى نفس المهنة التى زاولها عند نقله إلى معسكر أوسترود ، ويذكر لنا هذا الطبيب اليهودى المعلومة الهامة التالية : "أوشك بناء المعسكر على الانتهاء، وكان يأوى آنذاك ثمانمائة سجين كلفوا على ورديات ثلاث بحفر الأروقة فى الجبل لتركيب المصانع تحت الأرض "ويستطرد مشيرًا إلى بعض التفاصيل المستغرقة فيقول إنه أثناء دفن الموتى تعين على الطبيب الوجود للتأكد من سلامة طقوس الدفن، وهكذا توفرت لى فرصة الاشتراك فى دفن سجناء يهود فى مدافن اليهود التى سلمت من تدمير النازيين لها والعبث بها كما كانت عادتهم، وإنى أشير إلى هذه الواقعة غير العادية، إشارة عابرة لأنها بدون شك فريدة من نوعها فى ألمانيا

النازية، ونحو ١٥ مارس ١٩٤٥ تعين علينا مغادرة معسكر أوسترود لنخلى المكان لأسرى الحرب الروس وتم تقسيمنا إلى ثلاثة أفواج، وقد نزل الفوج الذى ضمنى فى معسكر نوردهاوزن " .

معسكر لانجنشتين Langenstein :

فى عام ١٩٤٤ / ١٩٤٥ كان هناك معسكر اعتقال كبير فى لانجشتين الواقعة فى منتصف الطريق بين مدينتى هالبرستادت Hallbrstadt وبلانكبرج ، وكان هذا المعسكر على بعد أقل من ستة أميال من معسكر بلانكنبرج - أوسيج Oesig غير أنه لم تكن هناك علاقة بين هذين المعسكرين أو بين مواقع العمل فيهما، وكان موقع العمل فى معسكر لانجشتين يعرف باسم قطاع كاملر B2 وحتى أكتوبر عام ١٩٤٤ كان هذان المعسكران يتبعان معسكر بوخنوالد، وفى ذلك الوقت كان معسكر بلانكنبرج تابعًا لدورا فى حين ظل معسكر لانجشتين تابعًا لمعسكر بوخنوالد، ولكن عمليات الإجلاء التى حدثت فى أبريل ١٩٤٥ تمت فى ظروف مختلفة للغاية، وظل معسكر لانجنشتين مجهولاً لفترة طويلة من الزمن، ولكن الباحث بول لى جوبيل Paul Le Goupil كشف النقاب عنه بأن كتب عام ١٩٩٦ دراسة بعنوان"شاهد ذكرى للفرنسين " وتحتوى هذه الدراسة على تاريخ هذا المعسكر والحقائق الأساسية عنه، علمًا بأن هذا المعسكر كان يعرف أيضًا بمعسكر زوبيرج Zwieberge والواقع أن هذا المعسكر أقيم على سفح جبل صلصال معروف بهذا الاسم .

جاء أول فوج من سجناء لانجشتين من معسكر بوخنوالد يوم ٢١ أبريل ١٩٤٤ ، كما جاء الفوج الثانى من معسكر نيونجام يوم ٢٧ أبريل من العام نفسه وحتى فبراير ١٩٤٥ جاءت جميع الأفواج الأخرى من بوخنوالد باستثناء الفوج القادم فى ١٥ أكتوبر ١٩٤٤ والمشتمل على خمسمائة سجين جاءوا مباشرة من معسكر ساشسنهاوزن وكان الوافدون يمثلون جميع الجنسيات :الألمانية والبولندية

والروسية والتشيكية إلخ، وأيضًا وصل عن طريق بوخنوالد عدد من الليتوانيين من معسكر ريجا Riga يوم ٨ أغسطس ١٩٤٤ غير أنه لم تكن هناك في معسكر لانجشتين أية أفواج من يهود المجر كما كان الحال في معسكر دورا، علمًا بأن اليهود القادمين من معسكر أوشفيتز في فبراير ١٩٤٥ عن طريق بوخنوالد كانوا ينتمون إلى مختلف الجنسيات ، وكالعادة كانت أفواج السجناء الأولى تقيم في أبنية مؤقتة ، وأيضًا كلف عدد منهم بتشييد بلوكات دائمة لأنفسهم وزملائهم في حين اضطلع الآخرون بمهمة حفر الأنفاق والقاعات في باطن الأرض .

وفي أغسطس ١٩٤٤ بلغ عدد السجناء الذين يأويهم معسكر رورنبرج نحو ألفي سجين ثم ارتفع عددهم من أوائل يناير ١٩٤٥ إلى ٣٥٩٠ سجينًا ليصل إلى الذروة وهي ٥١٦٠ سجينًا في فبراير ١٩٤٥، بعد وصول عدد من القوافل قوام كل منها ألف سجين ولكن بسبب كثرة الوفيات انخفض عددهم إلى ٤١٩١ في شهر أبريل ١٩٤٥ ، والجدير بالذكر أن هذا المعسكر كان له ملحق يعرف باسم معسكر يونكرز أو المعسكر الصغير الذي كان يأوي ٨٨٥ سجينًا جاءوا من مصانع يونكر القائمة في كل من هالبرستادت Halberstadt وأشرسليبن Ascherleben ونيدر روسشل Niede-rorschel ، ورغم أن إجمالي عدد السجناء الذين هبطوا في معسكر لانجشتين وصل في ٣ أبريل ١٩٤٥ إلى ٧٠١٣ سجينًا فلم يبق على قيد الحياة منهم سوى ٥٠٨٩ ويرجع هذا الانخفاض في العدد إلى إعادة ٢٩٥ سجينًا إلى معسكر بوخنوالد وموت ١٦٢٩ من المعسكر وحتى ١٦ مارس ١٩٤٥ كان الموتى يحرقون في محرقة كويدلنبرج Quedlinburg وكانت جثثهم تلقى في قبر جماعي ، وأيضًا كان هناك في ذلك التاريخ ٤٨٣ سجينًا في المستشفى و١٢٥١ في دار النقاهة وبذلك يصبح مجموعهم ١٧٣٤ يمثلون ٣٤,١٪ من إجمالي الناجين من الموت، وهي نسبة عالية كما هو واضح ، والحقيقة أن كثرة الوفيات ترجع في الأساس إلى حفر الأنفاق، والجدير بالذكر أن كتاب بول لي جوييل "شاهد ذكرى للفرنسيين، يشمل فصلاً بعنوان" الإبادة عن طريق الإنهاك في العمل والحياة في المعسكر " . وهناك أيضًا

كتاب ألفه هيل دى سانت مارك Helie de Saint Marc بعنوان دروس الظلام "يلقى الضوء على الجوانب الأليمة فى معسكرات الاعتقال النازية .

معسكر نيو ستاسفورت New Stassfurt :

فى يوم ١٤ سبتمبر عام ١٩٤٤ غادر معسكر بوخنوالد فوج يتكون من خمسة عشر سجينًا كان قد وصل من فرنسا ما يعرف بفوج رثنديس Rethondes المرحل فى ١٨ أغسطس وجاء هذا الفوج إلى نيوستاسفورت أكبر منطقة منتجة لأملاح البوتاس فى ألمانيا ، وكان هناك منجمان لهذه الأملاح هم المنجم رقم (٦) والمنجم رقم (٧) ، وأعدت خطة لتحويل هذه المناجم التى يبلغ عمقها بين ١٣٠٠ و ١٥٠٠ قدم إلى مصانع تحت سطح الأرض بما يتفق مع مشروعات كاملر، وقد بدأ العمل فى هذا المشروع فى نفس الوقت الذى بدأ فيه العمل فى معسكر بلانكنبرج فى حين تزامن إنشاء معسكر لانجنشتين مع معسكرى إلريخ وهارزونجن .

وجاء الفوج المشار إليه إلى معسكر يتكون من أربع ثكنات كان موجودًا أصلاً وكلف بعض هؤلاء السجناء بالعمل فوق سطح الأرض فى شق الطرق، وتركيب مواسير المياه الرئيسية إلخ، وأيضًا قاموا بإنشاء معسكر آخر لم يسبق استعماله قط، وتم حفر ثقوب تحت الأرض لإنشاء قوائم اختبار لمحركات الطائرات ، وتعين على عمال قطاع المناجم إخلاء المكان، وتنظيف كل المخلفات فيه بإزالة تلال الملح، وصب الخرسانة فى بعض المناطق، وسواء أكان العمل فى باطن الأرض أو على سطحها فإنه اقتضى من السجناء التخلص من الركام والأنقاض وحمل أكياس الأسمنت وحديد التسليح، إلخ، ثم تعين بعدئذ تركيب الآلات ومرة أخرى نجد أن العاملين بقطاع شركة سيمنز للأدوات الكهربائية كانوا يتمتعون ببعض الامتيازات، وكانت الشركات المتعاقدة لأداء هذا العمل شركات لا تستخدم عمالة السجناء فقط بل عمالة المدنيين أيضًا وخاصة العمال الهولنديين وأسرى الحرب الروس، وفى فبراير ١٩٤٥ انضم ثلثمائة سجين روسى وبولندى إلى زملائهم الفرنسيين، ولكن الاتصال بهم كان محظورًا .

والجدير بالذكر أن جمعية المهجرين الفرنسيين السابقين إلى معسكر نيوستاستدت جمعت مجموعة من الشهادات البالغة الأهمية نشرت عام ١٩٩٦ بعنوان "خطوة تتلوها خطوة أخرى فى سبيل النجاة من الإبادة" . وهذا العنوان يشير إلى إجلاء معسكر نيو ستراسفورت وترحيل سجنائه إلى إرزجبرج Erzgeboirge وقد توفى نحو ٢٠٪ من المرحلين الفرنسيين داخل المعسكر (توفى ٩٧ من أصل ٤٩٣ سجينًا) وخاصة فى الأشهر الأخيرة واستمر حرقهم فى محرقة ماجدبرج حتى أواخر فبراير ١٩٤٥ ، ونظرًا لتدمير المحرقة أثناء قصف الحلفاء الجوى فقد وورى آخر الضحايا فى مقبرة جماعية.

وفى أوائل أبريل ١٩٤٥ أصبحت المناجم جاهزة لإنشاء مصنع تحت الأرض لإنتاج قطع غيار الدبابات كما يتضح من قائمة عثر عليها الباحثون فى معسكر بوخنوالد تحمل تاريخ ٢٥ مارس ١٩٤٥ .

وفى جنوب معسكر نيوستاسفورت تولت فرقة من سجناء قطاع فانسلبن Wansle-ben العمل فى ظروف مماثلة، وكلف السجين أندريه كوزيت André Cozett بالتخلص من الحجارة الناجمة عن الحفر ، وشاهد هذا الرجل بأم عينيه وصول آلات المصنع الجديدة وبعض معداته الفرنسية الصنع .

معسكرا بورتا فستفاليكا وهلمستدت Porta Westfalica , Helemstedt [1]

وصل دافيد روسيت David Rousset إلى معسكر بوخنوالد ضمن الفوج الثالث القادم من كومبيين بفرنسا فى يناير ١٩٤٤ ، وفى أحد أيام شهر مارس من هذا العام انضم إلى الفوج الذى ينتمى إليه ماكس إينز Max Eins وفى نفس الوقت سافر الفوج الذى انتمى إليه هانا Hanna إلى معسكر دورا، وأرسل روسيت وأصدقاؤه

(١) بورتا فيستفاليا .

لافتتاح معسكر أقيم فى بورتا فستفاليكا وهى مدينة صغيرة تقع على نهر فسر Wes-ser وتتضمن الرواية التى نشرها روست عام ١٩٤٧ بعنوان "الأيام التى توفينا فيها " المرحلة التى قطعها حتى إلحاقه بمعسكر ووبلن Wobbelin فى ماكنبرج فى الفترة من أبريل حتى ١٩٤٥ وأيضًا كانت بورتا فستفاليكا موقعًا للعمل معروفًا باسم AZ ولم يتمكن روسيت من إعطاء أية تفاصيل عن هذا المعسكر نظرًا لقصر الفترة التى قضاها فيه .

وبعد وصوله من معسكرى نوينبرم Neuenbremme وبوخنوالد فى مارس فى اليوم السالف الذكر مكث بيير بلتون Pierre Bleton فى معسكر بورتا فستفاليا حتى بداية شهر سبتمبر وهناك اشترك فى حفر الأورقة تحت سطح الأرض ثم نقل بعدئذ إلى معسكر نوينجام ثم إلى معسكرى جروس روزن ودورا .

وزج بالسجين البولندى فايسلاف كيلار Wieslaw Kielar فى معسكر بورتا نوفمبر عام ١٩٤٤ قادمًا من معسكرى أوشفيتز عن طريق معسكر ساشنسهاوزن واستمر الحفر عند سفح تل برمسبرج Bremsborg كما تم إنشاء خط سكة حديد جعل من الممكن الوصول إلى مستويات المنجم المهجور التسعة والتى شغلتها ورش مصانع فيلبس وفى نفس الوقت تم ترحيل روسيت إلى معسكر نوينجام الذى حل محل بوخنوالد كمعسكر رئيسى، ويجب علينا أن نذكر أن الأفواج القادمة من كومبيين رحلت أيضًا إلى معسكر نوينجام. ومن هناك تم إرسال روسيت إلى هلمستدت حيث ظل هناك حتى وقت إجلاء المعسكر، وعلى أية حال لم يكن معسكر هلمستدت فى هلمستدت نفسها، ولكنه كان يقع إلى الشرق من بندروف Benddrof Be وكان هناك منجمان للملح أحدهما فى بارتنسليبن Bartensleben وجرى إعداده لاستخدام شركة أسكانيا Askania كما خصص المنجم الآخر (وهو نفق مارتا) لاستخدام مصانع سيمنز .

وينتمى معسكر مدينة هلمستدت إلى دوقية برونزويك Brunswiek وفى هذا المعسكر توطدت علاقة دافيد روسيت بالكابو إميل كوندر Emil Kunder وهو شيوعى ألمانى، علمًا بأنه تم إجلاء السجناء من معسكرى بورنافستفاليكا أمثال دافيد روست وإميل كوندر وألفريد روهمر Alfred Rohmer وفيسلاف كييل Wieslaw Kiel إلى معسكر دوبلين وفى فترة انتقال الولاية على معسكر هلمستدت من سلطة بوخنوالد

إلى سلطة معسكر نونيجام ، أقامت سلطة بوخنوالد فى أغسطس ١٩٤٤ معسكراً جديداً فى وفلورنجن Weferlingen التى تبعد نحو ستة أميال إلى شمال بارتنسلبن Bartensleben وتلخصت مهمة هذا المعسكر الجديد المعروف باسم معسكر الغزال فى تحويل منجم الملح الذى يبلغ عمقه ألف وخمسمائة قدم إلى مصنع، ويرجع الفضل فى إماطة اللثام عن هذا المعسكر إلى شهادة أندريه تشيكود André Chicoud

معسكر جاندرشايم Gandersheim : (١)

أعتمد هذا المعسكر على معسكر بوخنوالد رغم بعده عنه حيث إن بلدة جاندرشايم التى يقع فيها هذا المعسكر تقع نحو سبعة أميال من حافة جبال هارز، وفى سبتمبر عام ١٩٤٤ تولى الفريق العامل فى هذا المعسكر إنشاء مصنع لإنتاج قمرات (كبائن) قيادة الطائرات الألمانية من طراز هينكل وهى كبائن تماثل تلك الكبائن التى تزود بها الطائرات المصنعة من قاطعات ووتلبرود وهالبر ستادت وأشرسلبن Aschersleben ونيدروشيل Niederorschel ولانجسالزا Langersalza وغيرها من المعسكرات الفرعية . وعندما غادر فريق السجناء معسكر بوخنوالد للعمل فى جاندر شايم كان عددهم خمسمائة عامل معظمهم من الفرنسيين إلى جانب بعض البلجيكيين والروس والبولنديين والمجرمين الألمان، ولكن بعضهم كان عديم الكفاءة، ومن بين هؤلاء السجناء روبت أنتلم Robert Anteleme الذى نشر مذكراته عام ١٩٥٧ تحت عنوان "الجنس البشرى" ، وهو كتاب متميز فى أسلوبه الأدبى ومعلوماته التاريخية عن معسكر ظلت وتيرة الحياة فيه عادية ثم ما لبثت وقت الإجلاء أن اتخذت أبعاداً مأساوية .

(١) جاندر رزهايم .

معسكرات أخرى نائية في شرق أوربا:

من هذه المعسكرات موقع تحت سطح الأرض يعرف باسم ممر لويبل Loibl Pass أنشيء لشق طريق داخل النفق يصل كارينثيا Carinthia وكارينيول Carniole أى أنه يربط بين النمسا وما يعرف فى وقتنا الراهن باسم سلوفينيا .

الخاتمة

محاكمات مجرمى الحرب النازيين

فى نهاية عام ١٩٤٥ أنشأت القوات الأمريكية مكتبًا فى مدينة فرانكفورت أطلقت عليه اسم مكتب الحكومة الأمريكية العسكرى ، واتخذ الأمريكان والبريطانيون من معسكر كرانسبرج Kransberg مقرًا لهم حيث استدعوا للمثول أمامهم جميع العلماء والفنيين والتنفيذيين الاقتصاديين والماليين النازيين لاستجوابهم وحضر التحقيق ضباط من قوات الحلفاء يعملون بجهاز الحرب النفسية والمعنوية ويرجع الفضل إليهم فى تمكين أيوجن كوجن للانتقال إلى فرانكفورت وتأليف كتاب عن معسكرات الاعتقال النازية وفى بلدة وايزبادن [١] Wiesbaden تولى فريق المحققين فى جرائم الحرب إعداد التهم الموجهة إلى مجرمى الحرب .

واضطلع الأمريكان بالتنقيب عن مجرمى الحرب، وملاحقتهم وخاصة أولئك الذين تولوا إدارة معسكرات الاعتقال، وساعدتهم على ذلك إمكانياتهم الهائلة ومعرفة بعض اليهود وغير اليهود باللغة الألمانية بسبب انحدارهم من أصول جرمانية وإلى هؤلاء يرجع الفضل فى تحرير معسكرات بوخنوالد ودورا - ميتلبو وفلوسنبرج وداكاو وماثاوزن وكذلك المعسكرات الفرعية التابعة لها كما يرجع الفضل إليهم فى اكتشاف

(١) فيزبادن .

معسكرات أوهردرف ونورهاوزن وجاردليجن ومعسكر بوخنوالد الصغير والتيفوس المتفشى فى معسكر داكاو بالإضافة إلى معسكر ابنسى وويلن والجدير بالذكر أنهم استقبلوا فى منطقة شويرن Schwerin السجناء الذين تم إجلاؤهم من معسكرى ساشسناهوزن ورافنزبروك .

وقد مرت محاكمة الجرائم النازية بثلاث مراحل كان أولها فى واخر ١٩٤٥ قبل تشكيل محكمة نورمبرج، ثم محكمة نورمبرج التى انتهت عام ١٩٤٦ . وأخيراً عقدت محاكمات أخرى عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ومن بينها محاكمة الجرائم النازية فى دورا .

المحاكمات التى عقدت فى أواخر ١٩٤٥ :

عقدت هذه المحاكمات فى المنطقة التى احتلتها القوات النازية فى داكاو وقام الأمريكيون بحبس المتهمين فى هذا المعسكر وزجوا فى سجن لاندسبرج Landberg بالمتهمين الذين ثبتت إدانتهم وصدرت ضدهم أحكام بالحبس وعقدت أولى أهم محاكمتين بمعسكرى ماثاوزن وداكاو. وتمت إجراءات هذه المحاكمات بنوع من السرعة وكان هذا المعسكران آخر معسكرين تم تحريرهما دون أن يتوافر لرجال وحدة البوليس الخاصة أى وقت للاختباء أو الهرب، يقول مؤرخ أمريكى إن هذه المحاكمات الأولى اعتبرت قومندان أى معسكر أوتوماتيكيًا مسئولاً عما يرتكب من جرائم فى معسكره ولهذا كثرت الأحكام القاضية بإعدام وشنق مجرمى الحرب فى معسكرى ماثاوزن وداكاو بالمقارنة بمعسكر بوخنوالد وصدر حكم بإعدام فورشنر Forschner قومندان دورا الذى ظل محتفظًا بمنصبه منذ إنشاء هذا المعسكر حتى بداية عام ١٩٤٥ أى قبل أن يتولى إدارة معسكر كوفرنج Kaufering التابع لمعسكر داكاو وأكثر معسكراته الفرعية فظاعة وترويعًا، ولكن بإقصائه مؤخراً عن منصبه فى معسكر دورا فقدت محاكمة مجرمى الحرب فى هذا المعسكر شاهدا عظيم الأهمية .

ومن المحاكمات العاجلة التى أجريت فى الفترة من ١٧ سبتمبر حتى ١٧ نوفمبر ١٩٤٥ تلك المحاكمة التى عقدت فى لونبرج Luneburg لمجرمى الحرب فى معسكر

برجن بلسن والتى تمت فى المنطقة التى تحتلها القوات البريطانية وانتهت بإصدار حكم بإعدام أبرز قواد هذا المعسكر وعلى رأسهم كرامر ، وتم تنفيذ هذا الحكم ، وكان من بين المحكوم عليهم بالإعدام فرانز هوسلر [١] Franz Hessler المسئول عن ترحيل أول فوج من دورا إلى برجن بلسن .

محاكمات نورمبرج:

بصدور ميثاق لندن Lndon Charter الذى أصدره ممثلون عن قوات الاحتلال الحليفة الأربع (أمريكا - بريطانيا - روسيا - فرنسا) فى يونية ١٩٤٥ تشكلت محكمة نورمبرج لمحاكمة أبرز مجرمى الحرب فى النظام النازى ، وبلغ عدد المتهمين ٢٢ متهماً حوكم أحدهم وهو مارتن بورمان Martin Bormann غيابياً ، بدأت هذه المحاكمة فى ٢ نوفمبر ١٩٤٥ وصدر الحكم فى ٢ أكتوبر ١٩٤٦ وأنتهت المحاكمة بتبرئة ثلاثة من المتهمين وصدر حكم بإعدام ١١ متهماً من بينهم جورنج الذى انتحر فى حين نفذ حكم الإعدام فى الباقين. وكذلك صدر حكم بالسجن لمدة عشرين عامًا ضد ألبرت سبير Albert speer قضاها بالكمال والتمام فى السجن علماً بأنه كان المتهم الوحيد الذى لم تكن له أية علاقة مباشرة بمعسكر دورا .

محاكمات معسكرى بوخنوالد ودورا ١٩٤٧ :

جرت المحاكمات الخاصة بمعسكر بوخنوالد فى معسكر داكاو من أبريل حتى أغسطس ١٩٤٧ ، وكان قومندان بوخنوالد هيرمان بيستر واحداً من المتهمين فى هذه المحاكمات وصدر عليه حكم بالإعدام غير أنه توفى إثر أزمة قلبية فى سجن لاندسبرج فى سبتمبر ١٩٤٨ .

(١) فرانزهيسلر .

ولكن أرشيف المحاكمات التى جرت فى معسكر دورا لم تعرف باسم هذا المعسكر ولكنها عرفت باسم قضية جرائم الحرب فى نوردهاوزن أو قضية الولايات المتحدة الأمريكية ضد كيرت أندريا وآخرين Kurt Andrea etc ويمكن القول بأن الفضل فى الكشف عنها فى ١١ أبريل ١٩٤٥ يرجع إلى السجين الشاهد بويلك كاسرن فى نورهاوزن .

والجدير بالذكر أن وثائق محاكمات دورا تحمل اسم أول متهم وهو كيرت أندريا رغم أنه لم يكن أكثر المتهمين أهمية .

بدأت المحاكمة فى معسكر داكاو يوم ٧ أغسطس ١٩٤٧ وتم النطق بالحكم فى ٣٠ ديسمبر من هذا العام ، وبلغ عدد المتهمين سبعة عشر متهمًا أربعة عشر منهم ينتمون إلى وحدة البوليس الخاصة ، وانتهت المحاكمة إلى تبرئة ثلاثة متهمين وكان ريكهى Richhey المدنى الوحيد الذى برئت ساحته وثبتت التهمة على أربعة سجناء وكانت إجراءات المحاكمة التى اضطلع بها الادعاء الأمريكى طويلة فبدايتها ترجع إلى ٢٧ أبريل ١٩٤٥ ، أى قبل أن تبدأ إجراءات المحاكمة بنحو عامين، وقد لعب فيها محام بولندى شاب كان سجينًا فى دورا اسمه ونستى هاين Winesnty Hein دورًا مهمًا، رأسهم هذا المحامى بنصيب وافر كشاهد له خبرة قانونية واسعة فى مساندة الادعاء معتمدًا فى ذلك على وثائق المعسكر التى قدر لها عدم الاندثار ، وقد عثر على هذه الوثائق فى البلوكات التى يسكنها رجال وحدة البوليس الخاصة وفى المعسكرات الخارجية مثلى بويلك كاسرن، وقدم هذا المحامى عريضة الاتهام عام ١٩٤٥ متضمنة وصفًا شاملاً لمعسكر دورا – ميتلبو وتاريخه. وفيما بعد استخدم هذا المحامى الوثائق التى أمكنه الحصول عليها فى نشر بحث مكتوب باللغة البولندية فى وارسو. وفى عام ١٩٦٩ نشرت وارسو ترجمة فرنسية لهذا البحث بعنوان "أحوال المعيشة والعمل فى معسكر اعتقال دورا – ميتلبو" .

وفى عام ١٩٤٧ لم يكن سير المحاكمة مرضـيًا ولم يكن السبب فى هذا قصور الادعاء فى أداء واجبة بل كان يرجع إلى عدم وجود شهود على جانب كبير من

الأهمية . حيث كان من المفروض توجيه الاتهام إلى المتهم الرئيسى كاملر الذى كان مسئولاً عن بدء العمل فى حفر الأنفاق. ويرجع السبب فى عدم تقديمه إلى المحاكمة إلى اختفائه عن الأنظار فى شهر مايو ١٩٤٥. فضلاً عن غياب القومندان الأول للمعسكر فورشنر Forschner عن المحكمة حيث إنه قد تم تنفيذ حكم الأعدام فيه بعد إدانته فى المحكمة الخاصة لمعسكر داكاو. فضلاً عن أن خلفه باير Baer كان مختبئًا آنذاك ولكن تم القبض عليه فيما بعد بسبب الجرائم التى سبق أن ارتكبها فى معسكر أوشفيتز غير أنه توفى فى السجن قبل تقديمه إلى المحاكمة. وأيضًا غاب عن المحاكمة طبيب وحدة البوليس الخاصة الدكتور بلازا Plaza الذى وافته المنية. وغاب عن المحاكمة كذلك العاملان المدنيان الألمانيان اللذان لعبا دورًا مهما فى إجراء بعض التعديلات عن نفق دورا وخاصة ساوتزكى الذى توفى في مايو ١٩٤٥ فى ظروف غامضة ورودلف Rudolph الذى رحل عن قاعدة بيينموند الجوية برفقة زملائه إلى الولايات المتحدة بسبب عدم وضوح دوره قبل ترحيل السجناء فى معسكر بوخنوالد إلى قاعدة بييموند. والجدير بالذكر أن القضاء العسكرى الأمريكى استدعى بعض الألمان الذين غادروا الأراضى الألمانية إلى بلاد خارجية مثل ريكهى للتحقيق معهم بشأن الأشهر الأولى من حفر نفق دورا، وكان يمكن لثلاثة من الألمان الشيوعيين هم كونتز - وتوماس وسزفراك الإدلاء بشهادات مهمة عن معسكر دورا في أشهره الأولى لولا أن وحدة البوليس الخاصة تخلصت منهم فى عام ١٩٤٥. وبدون شهادات كاملر وفورشنر وساواتزكى ورودلف وكونتر وتوماس لم يكن فى استطاعة القضاء الحكم الدقيق على المسئولين عن ارتكاب جرائم الحرب فى معسكر دورا. ولهذا اقتصر دور القضاة على إصدار أحكام على متهمين كانت التهم الموجهة ضدهم جلية واضحة مثل شنق السجناء وقتلهم ومعاملتهم بوحشية. حتى هذه الاتهامات لم تكن قطعية فقد عجزت المحكمة عن أن تثبت أن متهمًا زنجيًا اقترف جرائم شنق بعض السجناء مما اضطرها إلى تبرئته.

وأصدرت المحكمة حكمًا واحدًا فقط بالإعدام على هانز موسر Hans Moser المشرف على إجلاء آخر فوج من دورا. وتم شنقه فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٨. كما صدر حكم بالحبس المؤبد على ستة رجال تابعين إلى وحدة البوليس الخاصة، من بينهم

إرهارد برونىErhard Brauny قومندان معسكر روتلبرود والمشرف على أحد أفواج السجناء التى وصلت إلى قطاع جاردليجن Gardelegen، وأوتو برينكمان Otto Brinkmenn قومندان الريخ وويلهلم سيمون Wilhelm Simon المسئول عن عمليات الحفر فى دورا.

وأيضًا صدرت أحكام ضد ثلاثة سجناء من محترفى الإجرام هم ويلى زويفر Willy Zwiener [(١)] فى دورا الذي حكم عليه بخمسة وعشرين سنة سجن وريتشارد ڤالينتا Riehard Walenta من معسكر إلريخ وحارس أحد السجون بعشرين سنة سجن وعشماوى معسكر دورا جوزيف كيليان بالسجن مدى الحياة. وكان بين الشهود سجينان من لابسى الشارة الخضراء المنخرطين فى الأعمال الإجرامية تطوعا بالشهادة لمساعدة الأمريكان. علمًا بأن عدداً من وحدة البوليس الخاصة تمكنوا من الهرب من المعسكر بعض التخلص من ملابسهم العسكرية قبل استيلاء القوات الأمريكية عليه. ومن بينهم رومان درونج Roman Drung والكابو ويلى شميدت WillySchmidt. وأثناء إجراء المحاكمة الرئيسية أجريت محاكمات عاجلة عديدة وأصدرت إحدى المحاكم الفرعية حكمًا ضد جورج فينكنزيلر Georg Finkenzeller فى أكتوبر ١٩٤٧ بحبسه لمدة سنتين.

محاكمة دورا المنعقدة فى إسن Essen

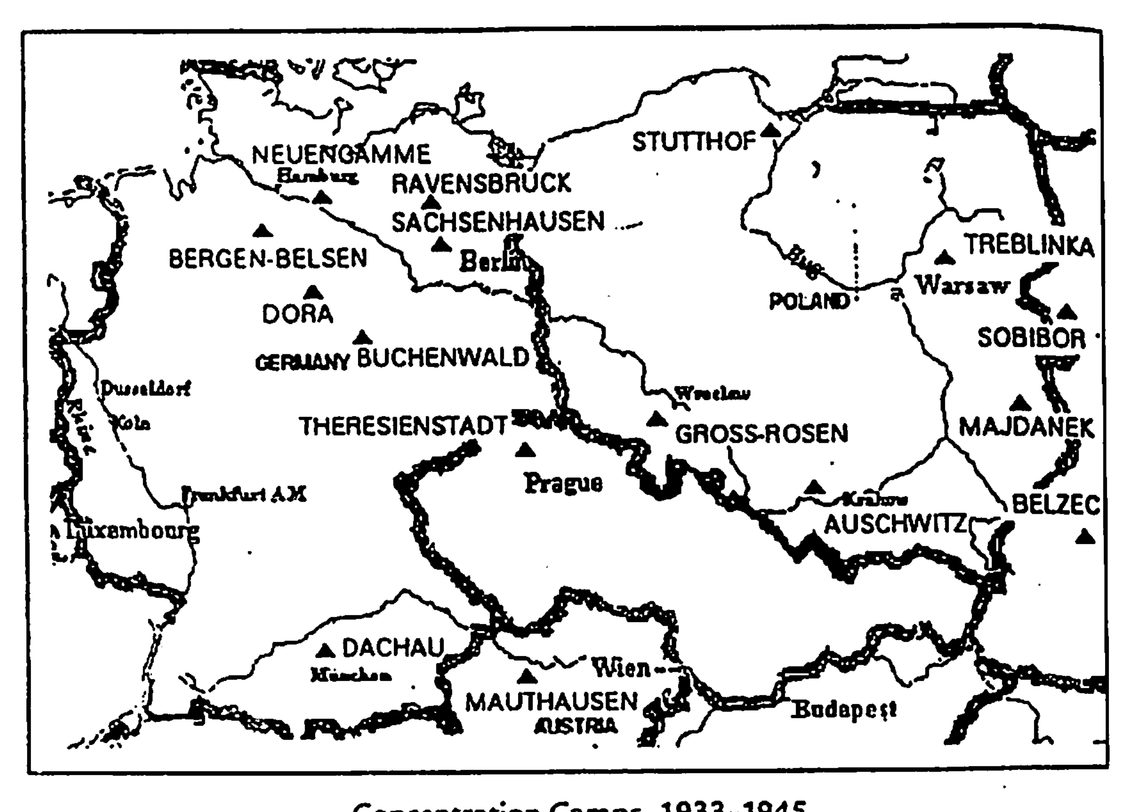
من المهم أن نشير إلى هذه المحاكمة المتأخرة للغاية والتى عقدت فى إسن فى الفترة من ١٧ نوفمبر ١٩٦٧ حتى ٨ مايو ١٩٧٠ لثلاثة من رجال وحدة البوليس الخاصة العاملين فى معسكر دورا. ولكن المحكمة فى هذه المرة لم تكن أمريكية بل كانت ألمانية. ولا شك أن إنشاء جهاز خاص للتحقيق فى الجرائم النازية سهل على الادعاء

(١) ڤيلى تسفيز .

جمع الأدلة ضد بعض مجرمى الحرب الألمان الذين أفلتوا من المحاكمة أمام محاكم قوات الخلفاء. وكان المتهمون الألمان الثلاثة الماثلون أمام محكمة إسن هم هلموت بيشوف Helmut Bischoff رئيس وحدة SD فى معسكر متلبو ومساعده إرنست ساندر Ernest Sander وإروين بوسطا Erwin Busta وصدرت ضد هؤلاء الثلاثة أحكام بالحبس.

المحاكمات الفرنسية:

أجريت محاكمتان لمحاكمة مواطنين فرنسيين لهم علاقة بمعسكر دورا. وصدر حكم ضد المتهم الفرنسى نيجيليه Naegele الذى سبق أن صدر ضده غيابيًا فى مدينة توز Touss حكم بالإعدام بسبب اشتغاله عميلاً للجستابو قبل تحرير دورا. وعند عودته ألقى القبض عليه وصدر ضده حكم آخر يدين الجرائم التى ارتكبها فى معسكر دورا. وفى يناير ١٩٤٧ تم تنفيذ حكم الأعدام فيه فى باريس. وأيضًا وجهت محكمة عسكرية فرنسية فى راستات Rastatt اتهامًا ضد جروزدوف Grozdoff الذى حاول الهرب أو الاختباء. ولكن هذه المحكمة برأت ساحته بعد إلقاء القبض عليه فى ١ يوليه ١٩٤٦.



Concentration Camps, 1933-1945

خريطة بمواقع معسكرات الاعتقال النازية فى الفترة من ١٩٣٣ حتى ١٩٤٥

المؤلف فى سطور

يعد الدكتور رمسيس عوض واحد من طليعة المثقفين المصريين المعاصرين ، فهو بالإضافة إلى انجازاته الأكاديمية ، تتعدد وتتنوع اهتماماته الثقافية والأدبية ، فهو ناقد ومؤرخ أدبى ومترجم ورائد فى مجال البحوث البيلوجرافية ، وقد نشر حتى كتابة هذه السطور ما ينيف عن السبعين كتابًا باللغة العربية وبحثًا باللغة الإنجليزية، وكلها تتسم بدفاعها الشديد عن حرية الرأى والتعبير .

كتب وأبحاث أخرى للمؤلف

كتب باللغة العربية:

١ - برتراند راسل الإنسان، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦١ .

٢ - برتراند راسل المفكر السياسى، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٦ .

٣ - دراسات تمهيدية فى الرواية الإنجليزية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦ .

٤ - توفيق الحكيم الذى لا نعرفه، مطبعة وهدان، ١٩٧٤ .

٥ - اتجاهات سياسية فى المسرح قبل ثورة ١٩١٩ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ .

٦ - برتراند راسل، تأليف آلان وود (ترجمة)، الأندلس ، بيروت ١٩٨١ .

٧ - س.ب . سنو والثورة العلمية ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١ .

٨ - موسوعة المسرح المصرى الببليوجرافية (١٩٠٠ - ١٩٣٠) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢ .

٩ - موقف ماركس وأنجلز من الآداب العالمية، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٨٤ .

١٠ - شكسبير فى مصر، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ ونشرت ترجمته إلى الإنجليزية مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٣ .

١١ - ماذا قالوا عن أهل الكهف، الهيئة العامة ، القاهرة ١٩٨٦ .

١٢ - جورج أورويل (حياته وأدبه)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧ .

١٣ - الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها، الألف كتاب الثانى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩ .

١٤ - وول سونيكا (ترجمة)، الهيئة العامة لكتاب، القاهرة ١٩٨٩ .

١٥ - أدباء روس منشقون فى عهد جوزيف ستالين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١ .

١٦ - الأدب الروسى والبرويسترويكا، دار الهلال، القاهرة ١٩٩١ .

١٧ - الأدب والجنس ، دار أخبار اليوم ، القاهرة ١٩٩٣ .

١٨ - الثالوث المحرم، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٤ .

١٩ - الشذوذ والإبداع، دار الهلال ، القاهرة ١٩٩٥

٢٠ - دراسات فى الأدبين الإنجليزى والأمريكى ، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ١٩٩٥ .

٢١ - من ستالين إلى جورباتشوف، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٩٦ .

٢٢ - الإلحاد فى الغرب ، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ .

٢٣ - الهرطقة فى الغرب، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ .

٢٤ - العلم والدين، تأليف برتراند راسل (ترجمة) ، دار الهلال ١٩٩٧ .

٢٥ - الرجل الذى مات ، تأليف د . هـ . لورنس (ترجمة) ، دار الهلال ١٩٩٨ .

٢٦ - ملحدون محدثون ومعاصرون، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ١٩٩٨ .

٢٧ - رباعيات الشذوذ والإبداع، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ١٩٩٨ .

٢٨ - اليهود والأدب الأمريكى المعاصر ، دار الهلال ١٩٩٨ .

٢٩ - موسوعة الرقابة والأعمال المصادرة فى العالم، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة ١٩٩٨ .

٣٠ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى تأليف برتراند راسل (ترجمة)، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٨ .

٣١ - سيرة حياة برتراند راسل تأليف آلان وود (ترجمة) ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٨ .

٣٢ - اليهود والأدب الأمريكى المعاصر، دار الهلال نوفمبر ١٩٩٨ .

٣٣ - صورة اليهودى فى الأدب الإنجليزى ، دار الهلال ١٩٩٩ .

٣٤ - الهولوكست بين الإنكار والتأكيد، دار الهلال ، ديسمبر ٢٠٠٠ .

٣٥ - اليهود فى الأدب الأمريكى فى أربعة قرون، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١ .

٣٦ - الهولوكست فى الأدب الأمريكى ، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١ .

٣٧ - الهولوكست فى الأدب الفرنسى ، دار نهضة الشرق يناير ٢٠٠٢ .

٣٨ - اليهود فى الأدب الروسى، دار نهضة الشرق يناير ٢٠٠٢

٣٩ - محاكم التفتيش ، دار الهلال ٢٠٠٢ .

٤٠ - محاكم التفتيش فى إسبانيا ، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ٢٠٠٢ .

٤١ - محاكم التفتيش فى إيطاليا، دار الهلال ٢٠٠٣ .

٤٢ - أبرز ضحايا محاكم التفتيش، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤ .

٤٣ – محاكم التفتيش فى فرنسا، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥ .

٤٤ – ألبرت آينشتاين: سيرة حياته ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥ .

٤٥ – اليهود فى الأدب الإنجليزى من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٥ .

٤٦ – الغجر بين المجزرة والمحرقة، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦ .

٤٧ – معسكر اعتقال داكاو، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦ .

٤٨ – من أدب الانشقاق: ألكسندر سولجنتسن ، دار الهلال ٢٠٠٦ .

٤٩ – محرقة اليهود، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٦ .

٥٠ – معسكر اعتقال برجن بلس، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧ .

٥١ – العرب ومحرقة اليهود، دار أخبار اليوم ٢٠٠٧ .

٥٢ – معسكر رافنزبروك للنساء، مكتبة الأنجلو ٢٠٠٧ .

٥٣ – العرب ومحرقة اليهود، كتاب اليوم العدد ٤٩٥ يونيه ٢٠٠٧ .

٥٤ – معسكر اعتقال ماثاوزن ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٧ .

٥٥ – معسكر اعتقال بوخنوالد، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٨ .

٥٦ – معسكر اعتقال صوبيبور (المجلس الأعلى للثقافة) .

٥٧ – معسكر اعتقال تريبلينكا (المجلس الأعلى للثقافة) .

٥٨ – هل أنت شيوعى يا مستر شابلن ؟ قصور الثقافة ٢٠٠٨ .

٥٩ – براتراند راسل أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية ، دار الهلال ٢٠٠٩ .

٦٠ – د. هـ لورانس وهنرى ميلر أمام المحاكم الإنجليزية والأمريكية (المجلس الأعلى للثقافة) .

٦١ – معسكر اعتقال دورا (المجلس الأعلى للثقافة) .

٦٢ – ظلام فى الظهيرة تأليف أرثر كيسلر (المركز القومى للترجمة) .

٦٣ – محاكمات فنية وأدبية وفكرية (محاضر تحقيق أمام لجان تحقيق أمريكية) جزءان صادر عن المركز القومى للترجمة ٢٠١٠ .

٦٤ – فلاديمير نابوكوف (حياته وأدبه) صادر عن دار الهلال ٢٠١٠ .

٦٥ – جيمس جويس أمام المحاكم الأمريكيج ، الأنجلو المصرية ، ٢٠١١

٦٦ – فيودور دستيوفسكى فى المنف ومحن أخرى، الهلال ٢٠١٢ .

٦٧ – رواية "الغداء العارى" أمام المحاكم الأمريكية (تحت الطبع) .

٦٨ – الغصن الذهبى فى الميزان (تحت الطبع) .

مقال باللغة العربية :

نقد رواية العنقاء ، تأليف لويس عوض، المجل فبراير ١٩٧٠ .

كتب باللغة الإنجليزية :

1 - Naguib Mahfouz, The Beginnig and the End (Translation), The Amercian Univ. in Cairo, 1975 .

2 - George Orwell as an Ambivalent Writer. National Bookshop, Cairo 1978.

3 - Animal Farm, National Bookshop, Cairo 1978.

4 - Nineteen Eighty Four, National Bookshop, Cairo 1978.

5 - Hardy's Tragic and Ironic Vision in Tess, National Bookshop, Cairo, 1978.

6 - Shakespear in Egypt, Rapack, Cairo, 1980.

7 - English Literary Criticism, Univ. Book, Tanta 1985 .

8 - Macbeth, Anglo, Egyptian, Cairo, 1989.

9 - The Mayor oF Casterbridge, Anglo- Egyptian, Cairo, 1989.

10 - Sons and Lovers, Anglo- Egyptian, Cairo, 1989 .

11 - Joseph Andrews. Anglo- Egyptian, Cairo, 1989.

12 - King Lear Anglo- Egyptianm Cairo, 1989.

13 - Merchant of Venice, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1989.

14 - Jane Eyre, Anglo, Egyptian, Cairo, 1989 .

15 - A Passage to India, Anglo- Egyptian, Cairo, 1994.

16 - Robinson Crusoe, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1994.

17 - Animal Farm, Anglo, Egyptian, Cairo, 1995.

18 - Lord of the Flies, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

19 - As You like It, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

20 - The Adventures of Huckleberry Finn, Anglo Egyptian, Cairo, 2004.

21 - Oliver Twist, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

22 - The Vicar of Wakefield, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

23 - Emma, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

24 - A Midsummer Night's Dream, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

25 - The Tempest, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

26 - Julius Caeasr, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

27 - Hamlet, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

28 - Romeo and Juliet, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

29 - Twelfth Night, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

30 - Sense and Sensibility, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

31 - To the lighthouse, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

32 - Forhtcomig:Egypt in the Modern British Novel: A Collection of Articles on Newby, Ghali, Enright. Forster, Liddell and Olivia Manning. Published in Al-Ahram Weekley in the following issues, 4 July, 5 September. 10.24 October (1991) and 23.30 Juanuary, 1.23 April (1992).

٤ – مقالات باللغة الإنجليزية :

1 - John Wain's "Young Visitors", Faculty of Alsun Journal, 1975.

2 - King Lear as a Religious "Play", Faculty of Alsun Journal, 1967.

4 - The Development of Liberal Culture in Modern Egyp". as series of articles published in the Egyptian Gazette in the following issues, 23.30 March, 6.13 20. 27. 28 April, 4.11 May, 1983.

المراجعة اللغوية : السيد العيسوى
الإشــراف الفنى : أحـــمــد بلال